من أعلام الولاء

٣

# أبو الأسود الدؤلي

السيد هاشم محمد

من أعلام الولاء

٣

# أبو الاسود الدؤلي

السيد هاشم محمد

المجمع العالمي لأهل البيت

بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

| | |
|---|---|
| الكتاب : | أبو الأسود الدؤلي |
| المؤلف : | هاشم محمد |
| الناشر : | المجمع العالمي لأهل البيت(ع) ـ قم |
| الطبعة : | الاولى |
| المطبعة : | نگين |
| سنة الطبع : | ١٩٩٥ ـ ١٤١٦هـ |
| الكمية : | ٣٠٠٠ |


«حقوق الطبع محفوظة»

قم، ص. ب ٨٣٧ ـ ٣٧١٨٥، ت ٧٤٠٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مَكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

# كلمة المجمع

منذ بدأت بواكير الرسالة المحمدية تلوح في أفق الأمة، كانت قضية الولاء لآل البيت عليهم السلام قد أخذت من جسد تلك الرسالة الطاهرة موقع الرأس، فلم يُغفِل رسولها الكريم صلى الله عليه وآله أن يهيئ لتلك القضية العادلة الأرض الصلبة، ويَركزها في نفوس الذين بدأ بهم دعوته الكريمة الىٰ الله تعالى إذ أمره بقوله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. ولئن كانت تلك الدعوة ـ وفي ضمنها بذر نواة الولاء الأولىٰ ـ لم تجد في أولئك الجمع أذناً صاغية في باديْ أمرها، فقد شقت طريقها بعد ذلك لتملأ قلوباً واعية حملتها عقيدة وعملاً بكل أسسها وأبعادها، ولم يأل الرسول الهادي صلى الله عليه وآله جهداً في ترسيخها، وإرسائها متينة في الوعي الانساني للأمة الاسلامية الفتية ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة﴾.

وهكذا تمخض السعي الحثيث لصاحب الرسالة صلى الله عليه وآله في منهجه التربوي ذاك للأمة عن فئة مؤمنة أخلصت في ايمانها، وتفانت في سبيل عقيدتها، ولم يكُ ذلك السعي ليجد طريقه الىٰ تلك النفوس لولا أنها شفّت ليخترق آفاقها نداء الفطرة السليمة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾. وقد عانت بذرة الولاء لأهل البيت عليهم السلام منذ قرارها الأول في أرض الواقع الاسلامي ألواناً

من العنَت والجور، والتعصب الاعمىٰ للأهواء الضالة، والنزوات الطائشة، فكان أن لقي حاملوها من سلاطين الجور وأعوانهم من القتل والتنكيل والقمع والتشريد ما يربأ عنه الضمير الانساني الحي، وينفر منه حس التأريخ المنصف ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ ولكنهم تابعوا خطاهم واثقة في ذلك الطريق داعين إلىٰ عقيدتهم الصالحة، وذابّين عن حماها بكل ما تقتضي تلك الدعوة الراشدة من مفردات فداء، حتىٰ ملكت صفحات جهادهم الناصعة امتداداً واسعاً من رقعة التأريخ الاسلامي مليئة بالقيم السامية والنقاط المضيئة.ولكن ـ وللأسف حرقة ـ لم يُنصَف أولئك الرجال، ولم يُوفَّوا حقهم من التعظيم والاجلال، بل أُسدلت علىٰ ظلالهم الخالدة في لوحة ذلك التأريخ حُجب كثيفة، واستار من التمويه كادت أن تخفيها، بل تطمسها، لولا أن الله تعالىٰ قيض لها بين حين وآخر من ذوي الاقلام المنصفة من أزاح عنها غبار النسيان، وكشف عن ملامحها آثار ذلك التمويه.

وسلسلة «من أعلام الولاء» التي يتولىٰ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إصدارها قد حملت علىٰ عاتقها مسؤولية نشر تلك الصفحات المفقودة من تأريخنا الاسلامي، وفتح الأبواب واسعة للولوج إلىٰ عوالم اولئك الافذاذ المفعمة بالنور.

وهذا هو كتابها الثالث الذي جاد به يراع مؤلفه المحقق سماحة السيد هاشم محمد مستعرضاً فيه دراسة دقيقة لسيرة واحد من اولئك الاعلام

الذين تروّوا من غير الولاء الصافي، وتربوا في أحضان المودة الصادقة لأهل البيت ﷺ، وبذلوا من أجل ذلك ما أمكنهم البذل. ذلك هو واضع النحو أبو الاسود الدؤلي الذي لاقىٰ في سبيل هذا المبدأ الأصيل من الاضطهاد تارة، والإغراء تارة أخرىٰ ما يدل علىٰ رسوخ عقيدته ووعيه العميق لها.

كما تعرض الكاتب في هذه الدراسة لقضية مهمة وبارزة في حياة أبي الاسود، ألا وهي قضية وضعه للنحو بتوجيه من الامام أمير المؤمنين ﷺ، وقد بحثها بإسهاب متطرقاً الىٰ كل ما يتعلق بها من جوانب موضوعية.

والكتاب جدير بأن يطالع للتعرف علىٰ سيرة أبي الاسود الدؤلي من خلال التاريخ الصحيح الذي حاولت الاقلام المزيّفة طمس وجهه الناصع وتسويد صفحاته البيضاء.

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

## بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

هذه دراسة من حياة أبي الأسود الدؤلي، ومن دوره في وضع النحو العربي، وقد قسمتها الى بابين:

في الباب الأول: بحثت عن ترجمة حياته، حيث حاولت فيه تسليط الأضواء على سيرته، وجمعت اخباره المتناثرة هنا وهناك للتعريف بسيرته كاملة، متواصلة الحلقات.

وفي الباب الثاني: بحثت عن صلة أبي الأسود بوضع النحو العربي، وقد توسعت فيه قدر الامكان، وعالجت الكثير من الشبهات التي برزت حول مدىٰ صحة الرأي القائل بانه واضع النحو العربي، بتوجيه من الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد كتبت هذه الدراسة سنة ١٣٩٠ هجرية، ولكن لم أوفق لنشرها، وخلال هذه السنوات الطويلة كنت أضيف اليها ما اظفر به من نصوص، وما يستجد من آراء.

**هاشم محمد**

# الباب الاول

## ابو الاسود
## سيرته وحياته

**اسمه ونسبه:**

هناك اختلاف كبير بين مترجمي أبي الأسود حول اسمه وأسماء آبائه، وكل مؤرّخ من القدماء أو المعاصرين، يرجّح اسماً ما، أويذكر الأسماء دون ترجيح أحدها.

ولعل مصدر هذا الاختلاف، كما يقول الدجيلي: «هو أنّ الذي يعرف بكنيته ويشتهر بها قد يخفى على الناس اسمه الحقيقي»[1] ولذلك وصل لنا اسمه ونسبه غامضاً، ضائعاً في كثير من الأسماء.

ويضيق بنا المجال لو حاولنا عرض وجهات النظر والاختلافات كلّها، لذلك سوف نذكر نماذج لها في هذا المجال كما وردت على ألسنة المؤرّخين:

١ ـ في الإصابة: «ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس

---

(١) مقدّمة ديوان أبي الأسود / ٣.

ابن نفاثة بن عَدِيّ بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهذا قول الأكثر في اسمه؛ وقال دعبل وعمر بن شبة: هو عمرو بن ظالم بن سفيان، وباقي نسبه سواء؛ وقال الواقدي: اسمه عويمر بن ظويلم؛ وقيل: عمرو بن عمران؛ وقيل: عثمان بن عمرو»[1].

٢ ـ أسد الغابة: «ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس ابن نفاثة بن عَدِيّ بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الديلي أبو الأسود، وهو مشهور بكنيته»[2].

٣ ـ في تهذيب التهذيب: «واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حنش بن ثعلبة بن عَدِيّ بن الديل، ويقال: اسمه عمرو بن عثمان، ويقال: عثمان بن عمرو»[3].

٤ ـ في أخبار النحويّين البصريّين: «ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو ابن حلس بن نفاثة بن عَدِيّ بن الدئل بن بكر بن كنانة»[4].

٥ ـ في إنباء الرواة: «ظالم بن عمر بن جندل بن سفيان بن عمرو بن عَدِيّ ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة»[5].

٦ ـ في جمهرة أنساب العرب: «عثمان بن عمرو بن سفيان بن عمر بـن

---

(١) الإصابة، ١ / ١٥.

(٢) أسد الغابة، ٣ / ٦٩.

(٣) تهذيب التهذيب، ١٢ / ١٣.

(٤) أخبار النحويّين البصريّين / ١٤.

(٥) إنباء الرواة / ٥٠.

جندب بن يعمر بن حابس»[1].

٧ ـ في لسان العرب: «ظالم بن عمرو بن سليان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عَدِيّ بن الدّيل بن بكر بن كنانة»[2].

وهكذا نرى مدى الاختلاف حول اسم أبي الأسود وأسماء آبائه.

وتجاه هذه المشكلة تُثار كثير من الشكوك حول الاسم الصحيح لأبي الأسود وحول سلسلة نسبه الصحيحة.

ولكنّنا حينما نتأمّل هذه الأسماء فسوف تبرز أمامنا عدّة ملاحظات ربّما تفتح لنا الطريق إلى وضع اليد على اسمه الصحيح، وعلى سلسلة نسبه ولو بصورة ظنّية لا يقينية. وأهمّ هذه الملاحظات ما يلي:

١ ـ أنّ مترجمي أبي الأسود لم يكتفوا بعرض الأسماء فحسب، بل رجّحوا اسماً منها، أو رجّحوا سلسلة معيّنة لنسبه، وربّما يعتمد هذا الترجيح على اعتقادهم بأنّ الّذين يروون مثل هذه السلسلة المعيّنة أوثق من الرواة الّذين يروون غيرها، أو هناك أسباب أُخرى دفعتهم إلى اختيار هذه السلسلة دون سواها، وإلّا فأيّ سبب دفعهم إلى اختيارها دون غيرها؟!

٢ ـ أنّ اسم «ظالم» هو الأكثر شيوعاً على ألسنة المؤرّخين من سائر الأسماء، وكذلك بالنسبة لسلسلة نسبه فإنّ عدداً من أسماء سلسلة معيّنة وهي «ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر» قد اتّفق عليها أكثر

---

(١) جمهرة أنساب العرب / ١٧٥.

(٢) لسان العرب، ١١ / ٢٣٤.

المؤرّخين، وأمّا الأسماء اللاحقة لها فقد اختلف المؤرّخون فيها.

٣ ـ وهناك ظاهرة في هذا المجال تنبّه لها الأستاذ الدجيلي حيث يقول: «ولو ألقينا نظرة على أسمائهم المتعدّدة كان بإمكاننا تقليص هذه الأسماء، وإدخال بعضها ببعض لقرب الشبه بينها، كما أنّ رسم الخطّ العربي القديم قد يساعدنا كثيراً على ما نريده ونتوخّاه، فعثمان وشيبان وسليمان وسفيان وعامر وحابس كانت ترسم هكذا عثمن وشيبن وسليمن وسفين وعمر وحبس، كما أنّ بين عمر و عمرو ويعمر، وحلس وحلبس وحابس، وسارق وسراق قرب شبهٍ كبير في رسم الخط»[١].

ولكن ـ بعد هذا الحديث ـ لم يرجّح الدجيلي اسماً أو أسماء معيّنة ولو أنّه ألقى ضوءاً ـ له أهميته البالغة ـ حول هذا الاختلاف بين الأسماء فإنّ رسم الخطّ العربي القديم، له دوره الكبير في اختلاف الأسماء في نظر المؤرّخين، وقراءتهم لتلك الأسماء التي كتبت بالخطّ القديم.

٤ ـ أنّ بعض المؤرّخين ربّما أهملوا ذكر بعض الأسماء في السلسلة النسبية ليصلوا من أقرب طريق إلى دئل وكنانة، فيحذفون من وسط السلسلة بعض الأسماء، ولعلّ السبب في ذلك ليس هو عدم وجود هذه الأسماء، بل محاولة اختصار السلسلة النسبية فحسب كما فعل ابن قتيبة في «المعارف» فقال حول اسم أبي الأسود: «هو ظالم بن عمر بن جندل بن سفيان بن كنانة» مع أنّ بين سفيان وبين كنانة عدداً كبيراً من الأسماء، إذاً فإهمال بعض الأسماء

---

(١) مقدّمة ديوان أبي الأسود / ٣.

وحذفها يكون أحياناً لأجل الاختصار فحسب.

٥ ـ أنّ الأسماء رغم اختلافها في التقديم والتأخير هي واحدة، أو على الأقل متشابهة، فرغم اختلاف ابن قتيبة عن صاحب الإصابة في السلسلة إلّا أنّ الأسماء واحدة، والاختلاف إنّما يقع في تقديم بعضها أو تأخيره، فـ«جندل» مثلاً يقدّم عند بعضهم ويؤخّر عند الآخر.

فهذه الملاحظات وغيرها، كلّها أضواء تضيء طريق الوصول إلى الاسم الصحيح أو السلسلة النسبية الصحيحة لأبي الأسود.

إلّا أننا نلاحظ أنّ السلسلة التي تقف عند حلس أو حلبس أو حابس وهي «ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر» هي أكثر شيوعاً على ألسنة المؤرّخين من غيرها وأكثر ترجيحاً، فالجاحظ يقف فيها عند سفيان، وكذلك صاحب «غاية النهاية»، بينما أصحاب «الإصابة» و«تهذيب التهذيب» و«أُسد الغابة» يتّفقون على هذه السلسلة، وقد التزم بها أيضاً الأُستاذ كمال إبراهيم من المعاصرين[1].

ولا أعتقد أنّ هذه السلسلة قد اكتسبها المتأخّر من المتقدّم زمنياً فيكون ترجيح المتأخّر اعتماداً على ترجيح المتقدم، والسبب في ذلك هو وجود الاختلاف بينهم أيضاً في الأسماء اللاحقة لهذه الأسماء، إذاً فلابدّ أن يعتمد الترجيح عندهم على مرجّحات متينة خاصّة لكلّ واحد منهم.

وفيما عدا هذه السلسلة التي يتّفق عليها أصحابها، لم نجد هناك سلسلة

---

(١) واضع النحو الأول، مجلّة البلاغ، العدد العاشر.

أخرى يتّفق عليها الآخرون، ولعلّ الملاحظات السابقة التي ذكرت تقرّب هذا التباعد بينها، وتجعل السلسلة التي ذكرناها أقرب للترجيح من غيرها، اعتماداً على ثقة أصحابها بها، وكثرة من تبنّاها.

إلّا أن الذي لا يشكّ فيه ـ لدى المؤرّخين ـ انتساب أبي الأسود إلى كنانة وإلى خصوص الدئل منهم، ويطول البحث لو تعرّضنا لدراسة هاتين القبيلتين، وهناك بحث طويل في كتب النحو واللغة والأنساب، حول كلمة «دئل» أعرضنا عنه لطوله، ولكثرة من بحث عنه[1].

## عام ولادته ووفاته:

لم يعيّن التاريخ عام ولادة أبي الأسود، ولكنّ أكثر مترجميه ذكروا أنّه ولد في الجاهلية، وسوف نعرف تاريخ ولادته من خلال تاريخ وفاته وعمره.

ونلاحظ في هذا المجال أنّ هناك اختلافاً واسعاً حول تحديد عام وفاته، ويمكننا تقسيم الروايات التي تشير إلى سنة وفاته إلى أربع طوائف كما يتبنّى هذا التقسيم الدجيلي[2]:

١ ـ قسم قليل يؤرّخ عام وفاته سنة (٩٩) هجرية، فقد ذكره ابن خلّكان مع غيره من الروايات والخوانساري في روضاته مع غيره من الروايات أيضاً دون أن يتبنّاه.

---

(١) لاحظ لسان العرب، ١١ / ٢٣٤.

(٢) مقدّمة ديوان أبي الأسود / ٩.

٢ ـ قسم كبير من المؤرّخين يعيّن عام وفاته سنة (٦٩) هجرية، ذكره ابن خلّكان، والقفطي، وأبو الفرج، والعسقلاني، وغيرهم جمع غفير من المؤرّخين يطول المجال لو حاولنا عرض أسمائهم «وهي كلّها محكمة مسندة»(١).

٣ ـ قسم يؤرّخ عام وفاته سنة (٦٧) هجرية، وهي إحدى روايات السيوطي في «بغية الوعاة» والحموي في «معجم الأدباء» وابن الأنباري في «نزهة الألبّاء» ويذكر السيّد الداماد في تعليقته على «اختيار معرفة الرجال» نقلاً عن «جامع الأصول»: «مات بالبصرة في الطاعون الجارف سنة سبع وستّين وكان قد أسنّ»(٢)، وهذه الرواية لا تخلو أحياناً من سند يسندها ولو أنّ من يتمسّك بها عدد قليل من المؤرّخين.

٤ ـ القسم الرابع: لم يحدّد عام وفاته، وإنّما تأتي الرواية هكذا: «وقيل مات قبل الطاعون بعلّة الفالج» وذكرت في الروضات ووفيات الأعيان باعتبارها احدىٰ الروايات، وتبنّاها صاحب «الأغاني» على اعتبار عدم وجود ذكر لأبي الأسود في قضية مسعود والمختار(٣).

وعند التحقيق حول هذه الروايات، نرى أنّ الأدلّة التي تقوّي الرواية

---

(١) في تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣: (وقال يحيىٰ بن معين وغيره: مات في طاعون الجارف سنة تسع وستين، قلت: وفيها ارخه ابن ابي خيثمة (المرزباني) وقال عنه ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ٢ / ٦١٥: (ومات بالبصرة وقد اسن سنة (٦٩) بطاعون الجارف).

(٢) اختيار معرفة الرجال، ٢ / ٤٧٥.

(٣) الأغاني ١١ / ٢٣٣، وذُكر هذا القول في إنباه الرواة ١ / ٥٥.

التي تحدّد عام وفاته سنة (٦٩) هجرية تحمل مرجّحات تفتقر إليها غيرها، وهذا ما يجعلنا نرجّح أن عام وفاته سنة (٦٩) هجرية وهذه المرجّحات هي:

١ ـ كثرة المؤرّخين القائلين بهذا التاريخ، وقلّة المؤرّخين الّذين التزموا بغيره، بل إنّ البعض الذي التزم بغير هذا التاريخ جعل التاريخ الرئيس هو عام (٦٩) هجرية ونسب غيره إلى كلمة «قيل» مشيراً بذلك إلى ضعفه.

٢ ـ الرواية التي تحدّد عام وفاته بسنة (٦٩ هـ) «محكمة متسلسلة مسندة»[١] بينما غيرها لا يملك مثل هذه الخصائص والمميّزات.

٣ ـ اقتران وفاة أبي الأسود ـ في الروايات ـ بحادثة تاريخية مهمّة هي الطاعون الجارف، حيث نرى أنّ أكثر المؤرّخين الّذين أرّخوا عام وفاته ذكروا أنّه توفّي في الطاعون الجارف «وهذا الطاعون وقع سنة (٦٩) للهجرة حسبما ذكره كثير من المؤرّخين، ولم يقل أحد بأنّ هذا الطاعون وقع بغير هذه السنة»[٢].

وفي القاموس: «الجارف: الموت العامّ والطاعون».

وفي الروضات: «وطاعون الجارف كما ذكره السيّد نعمة الله الموسوي الجزائري في كتابه (مسكّن الشجون) وغيره، هو الوباء العامّ الذي أصاب البصرة في سنة تسع وستّين من الهجرة، ولم يبق فيهم إلا ثلاثة أيّام، فقتل في

---

(١) مقدّمة الديوان / ١٠.

(٢) مقدّمة الديوان / ١٢، ولاحظ مرآة الجنان ١ / ١٤٣، ومعجم الأدباء ١٢ / ٣٤ وغيرها.

اليوم الأول سبعين ألفاً، وفي اليوم الثاني اثنين وسبعين، وفي اليوم الثالث جميع أهل البلد إلّا نادراً، يقال: إنّهم تسعة أنفس أو أقلّ، وهو غريب جداً»[1].

وهذا ما يؤكّد وفاته في سنة (٦٩) من الهجرة.

وهكذا نرى أنّ هذا التاريخ يملك مرجّحات يفتقر إليها غيره.

أمّا ما ذكره صاحب «الأغاني» نقلاً عن بعضهم أن أبا الأسود مات قبل (٦٩ هـ): «لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار بذكر»[2] فقد ناقشه الدجيلي بقوله: «وهذا تعليل غير ملزم فما دام الرجل قد ابتلاه الله بمرض الفالج في أخريات أيّامه وهذا المرض من شأنه أن يجعل الإنسان جليس البيت، ولأنّ فتنة مسعود وقعت بعد موت يزيد بن معاوية مباشرة أي في سنة (٦٤) هجرية وخروج المختار كان سنة (٦٦ هـ) إذاً فمن الطبيعي أنّ أبا الأسود لا يذكر في هذا الوقت مع وجوده حيّاً لشيخوخته ولما به من المرض»[3]، والظاهر ان هذا المرض اصابه اواخر حياته، لانه اشترك في المعارك قبل ذلك.

ويذكر في «مرآة الجنان»: «انّه أصابه فالج فكان يخرج إلى السوق يجرّ رجله»[4]، وذكر في الشعر والشعراء (ج ٢ / ص ٦١٥): «انه كان من

---

(١) روضات الجنّات ٤ / ٦٦، والنجوم الزاهرة ١ / ١٨٢.

(٢) مقدّمة الديوان / ١٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مرآة الجنان ١ / ٢٠٦، و وفيات الأعيان ١ / ٥٣٥.

(المفاليج)».

وهذا يفسّر عدم مشاركته في الانتفاضات التي حدثت في عصره وخاصّة الشيعية.

ذكر أبو العلاء المعرّي في «رسالة الغفران»: «انّ أبا الأسود الدؤلي كان أعرج »[1]، وقال عنه في الشعر والشعراء (٢ / ٦١٥): «ويعد في العُرج». وسنذكر أنّه شارك في أكثر المعارك التي وقعت في زمان خلافة الإمام علي عليه السلام.

**عمره:**

وكذلك اتّفق الأكثر على تحديد عمره حين وفاته بـ (٨٥) عاماً[2] كما أشار لذلك ابن خلّكان، وأبو الفرج، والخوانساري، وغيرهم ممّن تعرّض لتحديد عمره، وعلى هذا الأساس تكون ولادته في الجاهلية وقبل الهجرة بـ(١٦) عاماً.

**أولاده:**

يذكر المؤرّخون أنّ له ولدين، ففي إنباه الرواة: «وولد لأبي الأسود عطاء وأبو حرب، فأمّا عطاء فكان على شرط أبيه بالبصرة، ثم بعج العربية هو

---

(١) رسالة الغفران / ٤٠٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣، وشذرات الذهب ١ / ١١٤، وفيات الأعيان ١ / ٥٣٩.

يحيى بن يعمر العدواني بعد أبي الأسود، ولا عقب لعطاء، وأمّا أبو حرب فكان عاقلاً شجاعاً وولّاه الحجاج جوخا[1] وقال له: أما والله لو أدركت أبا الأسود لقتلته لأنّه كان شيعياً»[2].

وسنذكر أنّهما تعلّما على يدي أبي الأسود ورويا عنه. وفي كتاب وقعة صفين ينقل رواية عن ابي حرب (نصر بن يحيى بن سلمة عن سالم بن ابي الجعد عن ابي حرب بن ابي الاسود عن رجل من اهل الشام عن ابيه قال: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شر خلق الله خمسة: ابليس، وابن آدم الذي قتل اخاه، وفرعون ذو الاوتاد، ورجل من بني اسرائيل ردهم عن دينهم، ورجل من هذه الامة يبايع على كفره عند باب لُدّ»، قال الرجل اني لما رأيت معاوية بايع عند باب لد ذكرت قول رسول الله ﷺ فلحقت بعلي فكنت معه)[3].

ويظهر من بعض الروايات ان له بنات ايضاً، كما في الرواية التي سننقلها في القسم الثاني حيث قالت له: (ما اجمل السماء) ودفعه قولها الى التفكير في وضع النحو. وكذلك البنت التي غضبت عندما ارسل معاوية هدية لوالدها، ولعلها واحدة.

---

(١) لاحظ المعارف، ابن قتيبة ٢٤٧.

(٢) إنباه الرواة ١ / ٥٦.

(٣) وقعة صفين / ص ٢١٧.

**طبقته وإسلامه:**

هناك ثلاثة مصطلحات يجدر بنا التعرّف عليها وعلى مدى ارتباطها بأبي الأسود، وهذه المصطلحات هي (الصحابي، التابعي، المخضرم) ولا أُريد هنا البحث عن هذه التعاريف وتقييمها، فإنّ ذلك يحتاج لدراسة موسّعة، وإنّما أذكر التعريف المشهور في مصطلح علم الرجال، لنتعرّف على مدى دلالة كلمات العلماء على سيرة أبي الأسود. يلاحظ في هذا المجال الكتب التي بحثت هذه المصطلحات، وخاصة مصطلح «الصحابي» أمثال كتاب «وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار» للشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي، و«تنقيح المقال» للشيخ المامقاني وغيرهما.

الصحابي: وقد اختلف في تعريفه على أقوال كثيرة، ولعلّ الرأي الشائع ماذكره الشيخ المامقاني وهو: «أنّه من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الايمان والإسلام، وإن تخلّلت ردّته بين كونه مؤمناً وبين موته مسلماً على الأظهر، مريدين باللقاء ما هو أعمّ من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه ولم يره بعينه»[1] أمثال ابن مكتوم الأعمى.

وبذلك نعرف أنّ الصحابي من لقي النبي ﷺ سواء روى عنه أم لا، وسواء قصرت مدّة الملاقاة أم طالت، ولكن يشترط أن يلاقيه وهو مسلم مؤمن بالإسلام، وإن ارتدّ بعد ذلك، ولكن يشترط عودته للإسلام حين

---

(١) مقباس الهداية / ص ١١٤.

موته.

التابعي: وقد عرّف أنّه من لقي الصحابي مؤمناً بالنبي ﷺ ومات على الإيمان وإن ارتدّ بعد ذلك، ولكن يشترط عودته للإيمان حين موته وسواء طالت مدة لقائه بالصحابي أم قصرت، وسواء روى عنه أم لا، وكذلك يشمل التابعي من لاق النبي ﷺ في غير حال إسلامه، وكذلك يشمل من أسلم في حياة النبي ﷺ ولكن لم يلاق النبي ﷺ بل لاق الصحابي، وهناك أقوال أخرى في تعريف التابعي ولكنّ ما ذكرناه هو الشائع.

المخضرم: وقد اختلف في تعريفه وتحديده على أقوال، ولأجل عدم وضوحه نذكر بعض أقوال العلماء في تعريفه:

ذكر ابن الصلاح في مقدّمته: «المخضرمون من التابعين هم الّذين أدركوا الجاهلية وحياة رسول الله ﷺ وأسلموا ولا صحبة لهم، واحدهم مخضرم ـ بفتح الراء ـ كأنّه خضرم، أي قطع عن نظرائه الّذين أدركوا الصحبة وغيرها».

وعلّق عليه البلقيني بقوله: «فائدة: ليس في هذا الكلام أنّهم أسلموا في حياة النبي ﷺ، وقد ذكر بعضهم أنّهم الّذين أسلموا في حياة النبي ﷺ ولم يروه، ومجرّد ذلك لا يصحّ، إذ كان يلزم عليه أن يعدّ الصنابحي وأويساً القرني من المخضرمين، فلابدّ من ذكر إدراك الجاهلية إلى آخره، ثم الظاهر أنّه كيف حصل الإسلام يسمّى مخضرماً، وقال أبو موسىٰ في كتابه (معرفة الصحابة): إنّ جماعة من أحياء العرب أسلموا ولم يهاجروا فخضرموا آذان

إبلهم لتكون علامة لإسلامهم حتى لا يغار عليهم ولم يقاتلوا فسمّوا مخضرمين[1].

ويقول المامقاني: «وهم الّذين أدركوا الجاهلية والإسلام ولم يلقوا النبي ﷺ ولم يدركوا صحبته، سواء أسلموا في زمن النبي ﷺ كالنجاشي أم لا كغيره، وقد وقع الخلاف في أنّ المخضرمين من الصحابة أو التابعين والأشهر الأظهر الثاني لاعتبارهم فيه عدم ملاقاة النبي ﷺ والصحابي من لاقاه»[2] وذكر أيضاً أقوالاً أُخرى في تعريف المخضرم.

من هذه الأقوال يظهر الاختلاف حول تحديد المخضرم فقد يظهر من بعضهم أنّه من أسلم في حياة الرسول ﷺ ولكن لم يلاقه، ولم يصحبه سواء أدرك الجاهلية أم لا، كما استظهره البلقيني عن بعضهم، وناقشه.

ويظهر من بعض أنّه من أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم في حياة الرسول ﷺ ولكن لم يصحب النبي ﷺ ولم يلاقه.

بينما يذهب الأكثر ولعلّه الرأي الحقّ إلى أنّه هو الذي أدرك الجاهلية والإسلام ولم يلاق النبي ﷺ وهو مسلم ولم يصحبه، سواء أسلم في حياة الرسول ﷺ أو بعده، ولكن يشترط إدراكه الجاهلية والإسلام.

وتحدّد الجاهلية بما قبل بعثة الرسول ﷺ، وبما أنّه لم يلاق النبي ﷺ لذلك لا يعدّ صحابياً، وكذلك لو لم يدرك الجاهلية فلا يعدّ مخضرماً.

---

(١) مقدّمة ابن الصلاح مع تعليقة البلقيني / ٤٥١.

(٢) مقباس الهداية / ١١٤.

ويذكر هذا الرأي الشيخ المامقاني بقوله: «وهو الذي أدرك الجاهلية والإسلام ولم يصحب الرسول ﷺ بالمعنى الذي ذكرناه في تعريف الصحابي، وسواء أسلم في حياة الرسول ﷺ أو أسلم بعد حياته، وهو من التابعين لعدم ملاقاته للرسول ﷺ، ويشترط في الصحابي ملاقاة الرسول ﷺ وإنّما لاقى صحابته ﷺ».

وبعد أن تعرّفنا على هذه المصطلحات فبأيّ منها يتّصف أبو الأسود؟

ونحن هنا نجيب عن سؤالين:

هل لاقى أبو الأسود الرسول ﷺ ليكون صحابياً أم لا؟

وهل أسلم في حياة الرسول ﷺ أم لا؟

وقبل أن نبحث عن ذلك، نذكر أقوال مترجمي أبي الأسود في هذا المجال.

فقد ذكر أكثر مترجميه أنّه من التابعين، ومن المخضرمين، والأقوال كثيرة في ذلك، لذلك نكتفي بذكر بعضها ـ وإن ذكرنا بعضاً منها خلال هذه الدراسة.

ففي الأغاني: «وكان أبو الأسود الدؤلي من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم»(١).

وعن الجاحظ: «كان معدوداً في التابعين»(٢).

ويقول السيوطي عنه: «وكان من سادات التابعين»(٣).

---

(١) الأغاني ١١ / ١٩٨، الشعر والشعراء ٢ / ٦١٥.

(٢) الأغاني ١١ / ٢٠٠.

(٣) بغية الوعاة ٤ / ٢٢، وتهذيب التهذيب ١٢ / ١٣، وغيرهما.

وفي التعليقة على اختيار معرفة الرجال نقلاً عن جامع الأصول: «من سادات التابعين وأعيانهم»[1] وهي نفس عبارة وفيات الأعيان. وقال في تهذيب التهذيب (ج ١٢ / ص ١٢): (وقال العجلي: كوفي تابعي، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وكان من كبار التابعين).

وفي غاية النهاية: «أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره فهو من المخضرمين»[2].

ويقول الشيخ المامقاني: «ثم اعلم أنّ أبا الأسود بصري مخضرم»[3].

وفي تقريب التهذيب لابن حجر في باب الكنى: «أبو الاسود الدِيْلي بكسر المهملة وسكون التحتانية، ويقال: «الدؤلي بالضمّ... ثقة فاضل مخضرم»[4] وغيرها أقوال كثيرة في هذا المجال.

إذاً فيذهب أكثر مترجميه على أنّه «تابعي مخضرم» ولم يذكروا أنّه من الصحابة.

ولكن نقل عن بعض ملاقاته للرسول ﷺ، بل روايته عنه، ولكن أنكر ذلك حتى أُولئك الّذين نقلوا هذه النسبة.

فأبوا الفرج يقول: «ذكر أبو عبيدة أنّه أدرك الإسلام، وشهد بدراً مع

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢ / ٤٧٥.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٣٤٦.

(٣) تنقيح المقال ٢ / ١١١.

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ٣٩١.

المسلمين»(١) وهذه الرواية ـ بتصريح أبي الفرج نفسه ـ غريبة إذ يعلّق عليها: «وما سمعت بذلك عن غيره» كما أنّ أصحاب بدر محصورون في كتب التاريخ، ولم يذكر أبو الأسود منهم، بالإضافة إلى ما ذكره كلّ مترجميه أنّه من التابعين، ولو كان من أصحاب بدر لكان قد لاقى النبي ﷺ وشاهده، وهذا يوجب كونه صحابياً لا تابعياً، وقد صرّح أبو الأسود نفسه حين طلب من الإمام عليه السلام ترشيحه للتحكيم أنّه لا صحبة له(٢).

ولكن هناك من ذكر روايات لأبي الأسود عن النبي ﷺ بصورة مباشرة، وهذا يفترض صحبته أيضاً، ولكن حتى هؤلاء قد أنكروا ذلك، ففي كتاب أسد الغابة: «ذكره ابن شاهين في الصحابة، وروى بإسناده عن القاسم بن يزيد، عن سفيان، عن بكير، عن عطاء الليثي، عن أبي الأسود الديلي، قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة فأتاه نفر من أهل نجد فقالوا: يا رسول الله، كيف الحجّ؟ فأمر رجلاً فنادى: الحجّ يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصبح ليلة جمع فقد تمّ حجّه. هكذا أورده وهو خطأ. رواه شعبة عن بكير عن عبدالرحمن بن يعمر الديلي، ورواه غير واحد عن سفيان كذلك: وهو الصواب، ولا مدخل لأبي الأسود فيه»(٣) إذاً فينكر كون الراوي أبا الأسود، وإنّما هو رجل آخر من بني الديل غير أبي الأسود، وإنّما هو خط

---

(١) الأغاني ١١ / ١٩٨.

(٢) أمالي السيّد المرتضى ١ / ٢١٢.

(٣) أسد الغابة ٣ / ٧٠، وفي الإصابة ٦ / ١٥ أنكر الرواية لأبي الأسود أيضاً.

الرواة.

وكذلك يذكر: «وروى عبدالرزّاق، عن ابن جريج، عن عبدالله بن عثمان ابن خيثم: أنّ محمد بن خلف أخبره أنّ أبا الأسود أتى النبي ﷺ وهو يبايع الناس يوم الفتح؛ وهذا أيضاً خطأ رواه أبو عاصم، عن ابن جريج، عن ابن خيثم، عن محمد بن الأسود بن خلف: أنّ أباه الأسود حضر النبي ﷺ وهو يبايع، فسقط على الراوي الهاء في الكتابة من (أباه) فجعله أبا الأسود وليس لأبي الأسود صحبة وهو تابعي بصري مشهور»[1].

وهكذا نرى أن هذه الروايات ينكر نسبتها إلى أبي الأسود حتى الذين نقلوها، بل ينسبونها لغيره، وإن نسبتها له تخالف إجماع العلماء والمؤرّخين على كونه تابعياً، وليست له صحبة مع الرسول ﷺ. وفي الاصابة (ج ٢ / ص ٢٤٣)، (ذكره ابن شاهين في الصحابة وقد ذكرت سبب وهمه فيه في الكنى) وفي باب الكنى (ج ٤ / ص ١٥) ذكر ما يشابه كلام اسد الغابة من الحديثين وان المراد من ابي الاسود فرد آخر غير الدؤلي.

وبذلك أجبنا عن السؤال الأول.

وأمّا الجواب عن السؤال الثاني، وهو أنه هل أسلم في حياة الرسول ﷺ أم لا فقد ذكرنا أن كونه مخضرماً لا ينافي إسلامه في حياة الرسول ﷺ.

وهناك من القدامى والمحدثين من يذهب إلى أنّه أسلم في حياة الرسول ﷺ وفي وقت متأخّر، ولذلك لم يصحبه ولم يتّصل به، لأنّه أسلم

---

(١) أسد الغابة ٣ / ٧٠.

حين كان في بلده بعيداً عن المدينة، ولمّا جاء إلى المدينة كان النبي ﷺ قد توفّي.

ففي تهذيب التهذيب عنه: «قال الواقدي: كان ممّن أسلم على عهد النبي»[1].

وإلى هذا يذهب كمال إبراهيم: «وغالب الظنّ أنّ أبا الأسود دخل الإسلام بعد فتح مكّة وانتشاره في قبائل العرب، وبعد وفاة الرسول انتقل إلى مكّة والمدينة»[2].

ويتأكّد على هذا القول تعريف المخضرم بأنّه الذي أسلم في حياة الرسول ﷺ، فعلى هذا القول يكون أبو الأسود قد أسلم في حياته ﷺ، ويؤيّد هذا القول أيضاً بعض أبياته الشعرية التي تدلّ على أنّ إسلامه كان قديماً.

ولكن على الرأي الآخر في تفسير المخضرم ـ بأنّه الذي أدرك الجاهلية والإسلام، ولا يشترط إسلامه في حياة الرسول ﷺ ـ يعود الشكّ في إسلامه في حياة الرسول ﷺ إذ إنّ هؤلاء لا يشترطون إسلامه ولكن لا ينفونه، إذ يمكن أن يكون قد أسلم كما يمكن عدم إسلامه.

وعلى هذا الرأي، فليس هناك ما يدلّ على إسلامه أو عدم إسلامه في

---

(١) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٤، وذهب إليه الجزري في غاية النهاية ١ / ٣٤٦، وتاريخ الاسلام للذهبي: ج ٥ / ص٢٧٦.

(٢) مجلة البلاغ، العدد العاشر.

حياة الرسول ﷺ، فيحتمل أن يكون قد أسلم ولكن لم يوفّق لملاقاة الرسول ﷺ ورؤيته. وما ذكر من الأدلّة على إسلامه، وأقوال مترجميه يرجّح إسلامه في حياة الرسول ﷺ.

وبإيجاز فأبو الأسود تابعي لأنّه لم يلاق الرسول ﷺ، بل لاقى صحابته وروى عنهم، ومخضرم لأنّه أدرك الجاهلية والإسلام، لأنّنا حين نلاحظ عام وفاته حيث ذكرنا أنّه توفي سنة (٦٩) من الهجرة، وقد ذكروا أنّ عمره كان (٨٥) سنة حين وفاته، يكون قد ولد قبل الهجرة بـ(١٦) عاماً، أي أنّه ولد قبل البعثة فيكون قد أدرك الجاهلية والإسلام. وقال السيوطي في المزهر (ج ٢ / ص ٤٦١): (ابو الأسود الدؤلي، قال ابو الطيب: قال ابو حاتم: ولد في الجاهلية).

## دراسته، وشيوخه، وتلامذته:

وأبو الأسود من خلال مواهبه وملكاته النفسية، كان يميل إلى المجالات الثقافية والفكرية كما نرى ذلك في أعماله وآثاره.

قال السيوطي عنه: «وهو أكمل الرجال رأياً، وأسدّهم عقلاً»[1].

وفي تهذيب التهذيب: «وكان ذا دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم»[2].

---

(١) بغية الوعاة ٢ / ٢٢.

(٢) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٢.

والجاحظ صرّح بهذه المواهب أيضاً، وغيره من المؤرّخين والمترجمين أكّدوا على هذه الخصائص التي يملكها أبو الأسود، وقد شعر أبو الأسود نفسه بما يملكه من مواهب، وربّما نبّه عليها آخرون، فأخذ بتزويد نفسه من مختلف المجالات الثقافية المتعارفة آنذاك، سواء المجالات التي تتّصل بالشريعة الإسلامية كالفقه والقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أو غيرها كاللغة والنحو والأدب، وقد صرّح بامتلاكه لمثل هذه المجالات الثقافية المؤرّخون، فما كان يملكه من مواهب وملكات فكرية كانت توفّر له القدرة على استيعاب هذه المجالات. شأنه في ذلك شأن بعض رجال ذلك العصر، ممّن يملك مثل هذه المواهب.

وأبو الأسود ـ كما سترى ـ قد اتّجه في عقيدته الدينية لأهل البيت عليهم السلام، وربّما نشأ هذا الاتّجاه في نفسه منذ بداية إسلامه، كما ذكر ذلك في شعره:

هَوىً أُعطيتُه لما آستَدارتْ    رَحا الإسلام لَمْ أعدِلْ سَوِيّا

وبما أنّه كان من التابعين والشيعة ـ كما يجمع على ذلك المؤرّخون ـ فلابدّ أن يكون أكثر اتّصالاً وصحبة للإمام عليه السلام وللصحابة من شيعته ومواليه.

**أما شيوخه:**

١ ـ في الرواية:

قال الشيخ الطوسي: «وقد روى عن علي والحسن والحسين وعلي بن

الحسين»[1].

وفي محاضرات الراغب: « روى عن أبي ذرّ وابن عبّاس وعلي عليه السلام وغيرهم»[2].

وفي بغية الوعاة: «روى عن عمر وعلي وابن عبّاس وأبي ذرّ وغيرهم»[3].

وقال في الأغاني: «وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعلي بن أبي طالب فأكثر، وروى عن ابن عبّاس وغيره»[4] وفي تعبيره (فأكثر) يشير إلى أنّ أبا الأسود كان أكثر اتّصالاً ودراسة ورواية عن الإمام عليه السلام من غيره.

وقال العسقلاني: «روى عن عمر وعلي ومعاذ وأبي ذرّ وابن مسعود والزبير بن العوّام وأُبيّ بن كعب وأبي موسى وابن عبّاس وعمران بن حصين»[5].

وفي روضات الجنّات: «وأمّا روايته عن أمير المؤمنين عليه السلام فهي أيضاً كثيرة»[6] ثم يذكر بعض رواياته. وسنذكر بعضها في فصل لاحق، وقد ذكر

---

(١) رجال الشيخ الطوسي، حيث ذكر أبا الأسود في عدّة مواضع من كتابه / ص ٤٦، ٦٩، ٧٥، ٩٥.

(٢) نقلاً عن روضات الجنّات ٤ / ١٦٧.

(٣) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢ / ٢٢، وكذلك في معجم الأدباء ١٢ / ٣٤.

(٤) الأغاني ١ / ١٩٨.

(٥) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ص ٢٧٦.

(٦) روضات الجنّات ٤ / ١٦٤.

في أكثر كتب الرجال من الشيعة وأهل السُّنّة، وعمّن روى.

٢ ـ في القرآن الكريم:

فقد ذكر في أكثر الكتب أنّه كان من القرّاء، ويدلّ على ثقافته في هذا المجال تحريكه للقرآن الكريم.

وقد ذكر في روضات الجنّات: «وهو أحد القرّاء، قرأ القرآن على علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وفي غاية النهاية: «أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب»[2].

وفي إنباه الرواة: «وكان أبو الأسود من القرّاء، قرأ على أمير المؤمنين عليه السلام»[3].

٣ ـ في العربية:

وثقافته في هذا المجال أشهر من أن تذكر، فإنّه وضع النحو، وكان شاعراً وعارفاً باللغة العربية والأدب العربي وغيرهما.

ففي أخبار النحويّين: «وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية»[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) غاية النهاية في طبقات القرّاء ١ / ٣٤٦، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ص ٢٧٦.

(٣) إنباه الرواة ١ / ٥٠.

(٤) أخبار النحويّين البصريّين / ١٢.

وفي إنباء الرواة: «وقيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ ـ ويعنون النحو ـ فقال: لُقّنت حدوده من علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وفي الأغاني: «قيل لأبي الأسود: من أين لك هذا العلم؟ ـ يعنون النحو ـ فقال: أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

وكذلك لأجل ما يملكه من صفات ومؤهّلات اعترف بها مترجموه، توفّرت عنده لعوامل وراثية ومحيطية وتربوية، ولما يتمتّع به من دقّة في الملاحظة، وذكاء وتجارب في الحياة، وحبّه للاطّلاع والمعرفة، كل هذه العوامل وغيرها زوّدته بثقافة واسعة وثروة أدبية ولغوية كبيرة وخبرة في الحياة، ظهرت آثارها في حياته العملية وفي نثره وشعره، وسائر مجالات ثقافته كما مرّ ذكر بعضها خلال هذه الدراسة.

وهكذا نرى أنّ أبا الأسود كان قد تعرّف على الكثير من المجالات الثقافية كالقرآن الكريم والفقه والحديث والعربية، سوف نذكر ذلك كلّه في فصل لاحق، ولم تكن هذه المجالات بمثل تلك السعة والعمق والتطوّر ليتعذّر التعرّف عليها آنذاك.

وكذلك رأينا ـ من خلال ما سبق ـ أنّ أكثر ما تعلّمه أبو الأسود في شتىٰ مجالات ثقافته كان على يد الإمام علي عليه السلام، سواء كان بتصريحه أو بتصريح مترجميه وعلى أيدي الصحابة من مواليه وشيعته، وذلك لاتّجاهه العقائدي.

---

(١) إنباء الرواة ١ / ٥١.

(٢) الاغاني ١١ / ١٩٩.

**تلاميذه:**

هناك بعض الأفراد أخذوا العلم من أبي الأسود، ودرسوا علی يديه وخاصّة علم النحو والعربية، وقراءة القرآن الكريم أو رووا عنه بعض الروايات الشريفة.

فيذكر في الكامل في حوادث سنة تسعين من الهجرة: «وفيها توفّي نصر بن عاصم الليثي النحوي، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي»[1].

وفي حوادث سنة تسع وعشرين ومائة يقول: «وفيها مات يحيى بن يعمر العدوي بخراسان، وكان قد تعلّم النحو من أبي الأسود الدؤلي، وكان من فصحاء التابعين»[2] وغيرهما من النحاة والقرّاء الّذين كان لهم دورهم الثقافي آنذاك.

وفي تهذيب الأسماء واللغات: «وروى عنه ابنه ويحيى بن يعمر»[3].

وقال الذهبي في (تاريخ الاسلام): «كان الداني، وقرأ القرآن على عثمان وعلي، قرأ عليه ابنه ابوحرب، ونصر بن عاصم وحمران بن اعين و يحيى بن يعمر»[4].

---

(١) الكامل ٤ / ٥٤٨.

(٢) الكامل ٥ / ٢٧٦.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات / ١٧٥.

(٤) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ٢٦٧.

ويقول السيد حسن الصدر: «وله ولد هو أبو حرب بن أبي الأسود وهو يروي عن أبيه عن أبي ذرّ كما يظهر من بعض أسانيد أخبار مجالس الطوسي ﷺ»[1].

وفي الروضات: «وقيل إنّ أبا الأسود خلّف خمسة من التلامذة منهم عطاء و أبو حرب ـ وهما ابناه ـ وثلاثة آخرين: عنبسة وميمون ويحيى بن النعمان العداوني»[2].

وفي بهجة الآمال: «وبالجملة، لأبي الأسود تلامذة فضلاء منهم سعد بن شدّاد الكوفي النحوي المضحك، المعروف بسعد الرابية، وقيل: إنّ أبا الأسود خلّف خمسة من التلامذة...»[3] ثم ذكر ما ذكره صاحب الروضات.

وفي غاية النهاية: «روى القرآن عنه ابنه أبو حرب ويحيى بن يعمر»[4].

وفي تهذيب التهذيب: «وروى عنه ابنه أبو حرب، وعبدالله بن بريدة، ويحيى بن يعمر، وعمر بن عبدالله ـ مولى غفيرة ـ، وسعيد بن عبد الرحمن بن قيس»[5].

وفي فهرست ابن النديم: «أخذ عن أبي الأسود جماعة منهم يحيى بن يعمر، وعنبسة بن حمدان، وميمون بن الأقرن، وقال بعض العلماء: إنّ نصر

---

(١) تأسيس الشيعة / ٤٧.

(٢) روضات الجنّات ٤ / ١٧٢.

(٣) بهجة الآمال ٥ / ٧١.

(٤) غاية النهاية في طبقات القرّاء ١ / ٣٤٦.

(٥) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣، تاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ٢٧٦.

بن عاصم أخذ عن أبي الأسود»[١].

**تقييمه في علم الرجال:**

لو راجعنا كتب الرجال ـ سواء عند الشيعة أو أهل السُنّة ـ لرأينا أكثرها متّفقة على مدح أبي الأسود. بمختلف التعابير التي تدلّ على مدحه. ونحن لو أردنا استعراض أقوالهم وآرائهم في ذلك لطال المجال، ولكن نذكر هنا بعض أقوالهم.

فبعض العلماء اكتفى بذكره وأنّه من أصحاب أئمّةٍ أربعة من أئمّتنا الطاهرين عليهم السلام ولم يتعرّض لتقييمه كما ذكر ذلك الشيخ الطوسي.

فقد ذكره الشيخ الطوسي في عدّة مواضع من رجاله، مكتفياً بأنّه من أصحاب الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام علي بن الحسين عليهم السلام وممّن روى عنهم ولم يتعرّض لتقييمه كما هي طريقته في كتابه من تعداد الرجال دون تقييمهم إلّا نادراً.

ولكن يمكن استفادة مدحه من عدم وجود ذمّ وقدح فيه في كتب الرجال المعتبرة، ومن استمرارية صحبته للأئمّة عليهم السلام، دون ابتعاد عنهم، ومن خلال سيرته الثابتة على ولاية أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم، ومن هذه الشواهد والمؤشرات يمكن استفادة مدح الشيخ الطوسي لابي الأسود كما ذكر ذلك بعض العلماء عن طريقة الشيخ الطوسي في تقييم الرجال، ويستفاد

(١) فهرست ابن النديم: ٤٦.

ذلك من كتابه «عُدّة الأُصول».

وذكره ابن داود الحلّي في قسم الممدوحين من رجاله فقال في كتابه: «ظالم بن ظالم ـ وقيل: بن عمرو ـ أبو الأسود الدؤلي، ن، سين، ين جخ»[١] ومراده من هذه الرموز، (ن) أنّه من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، و(سين) من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، و(ين) من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام، و(جخ) أي نقلاً عن رجال الشيخ الطوسي.

ولكن يلاحظ عليه أنّ الشيخ الطوسي يذكره من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكان على ابن داود ذكره أيضاً، ولعلّه لشهرته في ذلك لم يذكره.

وكما هو واضح، فإنّ ابن داود قسّم كتاب رجاله إلى قسمين، قسم الممدوحين وقسم الضعاف، وقد ذكر أبا الأسود في قسم الممدوحين.

وذكره السيّد الداماد في تعليقاته على كتاب «اختيار معرفة الرجال»: «أبو الأسود الدؤلي من أصفياء أصحاب أمير المؤمنين والسبطين والسجّاد عليهم السلام وأجلّائهم»[٢] وهذه الالفاظ تدلّ على مدحه، إن لم نقل تدلّ على توثيقه، ومصطلح اصفياء امير المؤمنين عليه السلام اطلق على بعض الرجال الّذين يتصفون بما فوق الوثاقة امثال ميثم ورشيد الهجري ومحمد بن ابي بكر، كما يلاحظ ذلك في تنقيح المقال، ولكن الشيخ المامقاني لم يذكر ابا الأسود منهم في كتابه. لاحظ مقدمة تنقيح المقال (ج ١ / ص ١٩٧).

---

(١) رجال ابن داود الحلّي / ١١٢.

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢ / ٤٧٤.

ويذكر في روضات الجنّات: «وعلى كلّ حال فلنعم ما أسفر عن حقيقة أحوال الرجل بعض أصحاب كتب الرجال حيثما قال بعد الترجمة له بما يقرب من هذا المنوال: يظهر من الأخبار مدحه بحيث يمكن عدّ حديثه حسناً»[1].

ويقول الشيخ المامقاني في كتابه «تنقيح المقال» بعد ترجمة موسعة له: «ثم لا يخفى أنّ الرجل من الحسان لكونه شيعياً ممدوحاً بما سمعت»[2] حيث يذهب إلى أنّه ممدوح وإن لم يبلغ درجة الوثاقة، حيث لم ينصّ على توثيقه ولكن لا يمكن أن تنكر مدحه، لذلك يكون حديثاً حسناً كما هو المعروف من أقسام الحديث.

ويذكر الشيخ القمّي في «سفينة البحار»: «وكان من سادات التابعين وأعيانهم»[3].

وفي كتاب «عمدة عيون صحاح الآثار» ليحيىٰ بن البطريق الحلّي ـ وهو من أجلّاء علماء الإمامية القدماء ـ: «أبو الأسود الدؤلي وهو من بعض الفضلاء الفصحاء من الطبقة الاولى من شعراء الإسلام وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»[4].

---

(١) روضات الجنّات ٢ / ١٦٣.

(٢) تنقيح المقال ٢ / ١١١.

(٣) سفينة البحار ١ / ٦٦٩.

(٤) نقلاً عن بهجة الآمال ٥ / ٦٢.

ويقول أبو الفرج في الأغاني: «وكان أبو الأسود من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم»[١].

وقال في «غاية النهاية» عنه: «ثقة جليل»[٢].

وقال عنه ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: «ثقة في حديثه»[٣].

هذه وغيرها من أقوال العلماء ـ وتجد بعضها خلال هذه الدراسة ـ من الشيعة وأهل السُنّة في حقّ أبي الأسود، في مدحه وتوثيقه.

وعلماؤنا حيث كانوا مقيّدين ومتشدّدين في تعابيرهم وتقييماتهم لرجال الحديث، ويفرّقون بين الوثاقة والمدح من حيث قوّة اعتبار الرواية، يظهر من أقوالهم أنّ أبا الأسود ممدوح، حيث لم ينصّ عليه واحد منهم بأنّه «ثقة أو عدل» بل وصفوه بعبارات المدح والثناء، لذلك يدخل حديثه في قسم الحسن، ويعدّ ممدوحاً من أقسام الحديث، بينما أهل السُنّة وصفوه بالوثاقة.

وقد ذكر الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي في أبي الأسود أنّه «ممّن لم يصرّح بتوثيقه من الرواة»[٤] وهذا يؤيّد ما ذكرناه.

ولكن يمكن أن نقول إنّ توثيق الرجل لا ينحصر بهذه الألفاظ المعيّنة،

---

(١) الأغاني ١١ / ١٦٨.

(٢) غاية النهاية ١ / ٣٤٦.

(٣) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣، وبغية الوعاة ٢ / ٢٢، ووثّق في تهذيب الأسماء واللغات / ١٧٦، وطبقات ابن سعد ٧ / ٩٩، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ٢٧٦ وفيه ايضاً ان الصحاح الست تروي عنه.

(٤) معجم الثقات وترتيب الطبقات / ٢٨٩.

بل يمكن استفادة توثيقه من بعض القرائن والأحوال كتأمير الإمام عليه السلام له على الجيش، أو ولايته على بلد، أو من سيرة حياته، أو بعض ألفاظ المدح الكبيرة الصادرة في حقّه، وهذه الطريقة في استفادة توثيق الرجل من خلال هذه القرائن والاحوال وعدم حصر التوثيق بالفاظ معينة، قد ذهب اليها بعض العلماء واشار اليها الشيخ المامقاني في مقدمة كتابه «تنقيح المقال»[1]:

(وقد توفّرت بعض هذه الصفات في أبي الأسود، فقد وَلِيَ البصرة، وكان على رأس الجيش الذي خرج لمحاربة الخوارج ـ كما سنرى ذلك ـ ووصف السيّد الداماد له أنّه من أصفياء أصحاب أمير المؤمنين والسبطين والسجّاد عليهم السلام وأجلّائهم، وغيرها من أقوال العلماء في حقّه).

وإن ناقش البعض في دلالة بعض هذه الأمارات على الوثاقة بمعناها المصطلح بل على الحسن[2].

ولكن إنكار وثاقته ـ بمعناها المصطلح ـ لا ينافي جلالته ومدحه وقبول روايته، كما هو الملاحظ في بعض علمائنا ورجالنا، حيث لم ينصّ على وثاقتهم ولكن لم يسلب ذلك اعتبارهم وجلالتهم وقبول روايتهم.

---

(١) مقدمة تنقيح المقال ١ / ٢١٠.

(٢) يراجع قاموس الرجال ١ / ٧٠، وبحوث في علم الرجال ص ١٥.

## سيرته خلال حياته:

تمهيد:

هناك مراحل عديدة من حياة أبي الأسود محاطة بالغموض، ورغم الحديث الطويل في مختلف الكتب حوله إلّا أنه لا يعدو ذكر بعض أخباره، وليس هناك كشف تفصيلي واضح لهذه الحياة التي أعتقد بأنّها كانت حافلة بمختلف النشاطات الملائمة لمثل هذه الشخصية، إلّا أنّني من خلال هذه الأحاديث سوف أُعطي صورة عن سيرته.

فأبو الأسود رغم توجّهه واهتمامه الكبير بالمجالات الثقافية نراه قد شارك في الكثير من الحوادث والأنشطة السياسية والاجتماعية لتلك الفترة الحاسمة من تاريخ الاسلام، فلم يقتصر نشاطه على الفكر والثقافة فحسب، بل تجاوزه الى مجالات عملية أخرى سوف تعرفها في حينها.

ومن الجدير بهذه الشخصية أن تشارك في مثل هذه الممارسات لما كان يملكه من خصائص ومؤهّلات، فقد وصف بالعقل والذكاء والتدبير والفقاهة وغيرها ممّا يوجّه له الأنظار، أو تحثّه توجّهاته على التفكير في مصير الأُمّة، وممّا يفرض على ولاة الأمور أن يسندوا إليه بعض المهام التي تتلاءم ومؤهّلاته واكثر ما وصفه مترجموه أنّه كان متّسماً بالعقل وأنّه من العقلاء، ولعلّ مرادهم من هذا التعبير حسن التصرّف والتدبير والحنكة في إدارة الأُمور ومعالجة القضايا، وقد نشأ ذلك من مواهب ذاتية وراثية، ومن

تربية جيّدة، ومن خلال تجاربه في الحياة كما صرّح بذلك نفسه. قال الجمحي في طبقات الشعراء (ص ٣٩): «وكان رجل اهل البصرة».

يقول عنه ابن أبي الحديد: «وكان أبو الأسود الدؤلي من عقلاء الرجال وذوي الحزم والرأي»(١).

ويقول عنه السيوطي: «ومن أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً، سريع الجواب»(٢).

ويقول اليافعي: «من أكمل الرجال رأياً وأرجحهم عقلاً»(٣).

وفي تهذيب التهذيب: «وكان ذا دين وعقل ولسان وبيان وفهم وذكاء وحزم»(٤).

وفي شذرات الذهب: «وكان عاقلاً حازماً»(٥).

ويقول عنه الجاحظ وهو يذكر صفاته: «أبو الأسود معدود في طبقات من الناس وهو في كلّها مقدّم مأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويّين والحاضري الجواب والشيعة»(٦). وفي كتاب البخلاء (ص ٣٠)

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٨ / ٤١٤.

(٢) بغية الوعاة ٢ / ٢٢، ووفيات الأعيان ١ / ٥٣٥.

(٣) مرآة الجنان ١ / ٢٠٣، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ص ٢٧٦.

(٤) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣.

(٥) شذرات الذهب ١ / ١٤٤.

(٦) الأغاني ١١ / ٢٠٠، والبيان والتبيين ١ / ٢١٧.

قال الجاحظ عن ابي الأسود: «وكان حكياً اديباً وداهياً اريباً».

ولهذه المؤهلات والخصائص التي يمتاز بها أبو الاسود فليس من المستغرب أن تسند له بعض المناصب المهمة آنذاك.

وقد وصل الى ما وصل اليه من مؤهلات نتيجة لحبه للمعرفة، ولتجاربه في الحياة، ودقة ملاحظته واستفادته من هذه التجارب، وفي شعره الكثير الذي يدل على تجاربه في الحياة، نذكر بعضه هنا:

فإنّي امرؤٌ أخشى إلهي وأتّقي ... معادي وقد جرّبتُ ما لم تُجَرّبِ

ويقول:

وبلوت أخبارَ الرجالِ وَفعلَهم ... فملئتُ علماً منهم وتجاربا

فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذه ... وتركتُ عمداً ما هنالك خائبا

ويقول أيضاً:

ألست تراني والتكرّم شيمتي ... وكلّ امرىء جارٍ على ما تعوّدا

أُطهّر أثوابي عن الغدر والخَنا ... وأنحو إلى ما كان خيراً وأمجدا

أجود على المولى إذا دلّ حلمه ... بحلمي وكان العودُ أتق وأحمدا

ويشير فيها إلى فكرة أخلاقية، وهي أنّ التعوّد والعادة تخلق الملكات النفسية وترسّخها.

ويصف تجاربه في الحياة:

تعوّدت مسَّ الضرّ حتى ألفتُه ... وأسلمني طولُ البلاءِ إلى الصبر

ووسّعَ صدري للأذى كثرةُ الأذى ... وكان قديماً قد يضيقُ به صدري

إذا أنا لم أقبلْ من الدهر كلّ ما ألاقيهِ منه طال عتبي على الدهرِ

وينصح ولده بهذه النصائح والتوجيهات:

أحبِب إذا أحببتَ حبّاً مقاربا
فإنّك لا تدري متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت غير مباعِدٍ
فإنّك لا تدري متى أنت راجعُ
وكُن معدناً للحلم وٱصفح عنِ الخنا
فإنّك راءٍ ما حييت وسامعُ

وكان ابو الاسود سريع الجواب،والبديهة، وذكياً، ويجيد النكتة، وتذكر حكايات كثيرة عن سرعة جوابه وذكائه، ونكاته. كما يلاحظ ذلك في الاغاني، وسننقل بعضها خلال هذه الدراسة، وقال عنه السيد المرتضىٰ في الامالي: «وكان ابو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح البادرة»[1]، وينقل في الامالي: «قيل له: انت والله ظرف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل، فقال: وما خير ظرف لا يمسك ما فيه» وقال لبني قشير: «ما في العرب احب اليّ طول بقاء منكم. قالوا: ولم ذاك؟ قال: لانكم اذا ركبتم امراً علمت انه غي فأجتنبه واذا اجتنبتم امراً علمت انه رشد فأتبعه»[2].

ولكن تذكر في اخبار أبي الاسود صفتان يمكن ان تعتبرا من مساوئه،

---

(١) امالي السيد المرتضىٰ ١ / ٢١٢.

(٢) الاصابة ٢ / ٢٣٣.

وهما تزلّفه للحكّام والبخل، أمّا تزلّفه للحكّام فسوف نبحث عنه في فصل لاحق، وأمّا البخل فالأخبار حول بخله كثيرة، بل اعتبر من بخلاء العرب، ورويت عنه حكايات في مختلف الكتب لا يخلو بعضها من اختلاق أو تضخيم لمن تأمّل فيها، ولعلّ في بعض شعره ما يدلّ على وجود هذه الصفة فيه، ولكن حين نلاحظ أقوال مترجميه عن تديّنه وحديثه نفسه في شعره ونثره عن التزامه الديني، وكذلك في فخره بنفسه فانه لم يكن بخله بتلك الدرجة التي تنافي التزامه الديني لأنّ الجود والإنفاق من صفات الكمال التي يحسن للإنسان أن يتمتّع بها ولكن بشرط الإنفاق في المجالات المشروعة والعقلائية وامتلاك القدرة المالية أيضاً، ولعلّ أبا الأسود كان أكثر تشدّداً ودقّة ومغالاة في تصوّر هذه المجالات ومحاولة بذل المال فيها، بحيث يحاول تحكيم قناعاته وعقله في كلّ تصرف مالي، ليرىٰ مدى صحّة هذا التصرّف بحسب رأيه، وهذه الحالة منه تخالف العرف السائد آنذاك من الجود والإنفاق، وفي شعره وأحاديثه حول الاقتصاد والتصرّفات المالية تظهر منه هذه الحالة، ونحن لا ننكر أنّه كان مقتصداً في تصرّفاته المالية بعد هذه الأحاديث والأخبار الكثيرة حول بخله، ولكنّه في شعره وأحاديثه يحاول أن يبرّر هذه الصفة فيه بما يتوافق وقناعته وآراءه في الحياة.

والحادثة التالية تدلّ على ما ذكرناه، حيث ينقل في الأغاني: «كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة، فقتل بنو الديل منهم رجلاً ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دية، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعونة على

ادائها، وألحّ عليه غلام ذو بيان وعارضة، فقال له: يا ابا الاسود، أنت شيخ العشيرة وسيّدهم وما يمنعك من معونتهم قلّة ذات يد ولا سؤدد، فلمّا أكثر أقبل عليه أبو الأسود ثم قال له: لقد أكثرت يابن أخي، فاستمع منّي، إنّ الرجل والله ما يعطي ماله إلّا لاحدى ثلاث خلال: إمّا رجل أعطى ما له رجاء مكافأة ممّن يعطيه، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الآخرة، أو رجل أحمق خدع عن ماله، والله ما أنتم أحد هذه الطبقات، ولا جئتم في شيء من هذا، ولا عمّك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء، ولما أفدتك إيّاه في عقلك خير لك من مال أبي الأسود»(١).

ويقول أبو الأسود:

أكرم صديقَ أبيكَ حيثُ لقيتَه ... واحبُ الكرامَة من بدا فحَباكَها

ويقول:

ولا تطمعن في مالِ جارٍ لقربه ... فكلّ قريب لا ينال بعيدُ

وقد حاول الدكتور الدجني في كتابه «أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي» الدفاع عن أبي الأسود، وأنّه لم يكن في الواقع كما اشتهر عن بخله فيقول: «ولم يكن غرضي نفي هذه التهمة أو أدافع عن شيْ باطل لأكون متحيزاً لأبي الأسود. بل الأمانة العلمية لها حقّها إذ إننا نقول الحق: أنّ الدؤلي لم يكن كريماً كما يقول، ولم يكن بخيلاً كما تقول الرواية. فإنّه كان وسطاً بين هؤلاء، وينطبق عليه قوله: ﴿والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم

---

(١) الأغاني ١١ / ٢٠٢.

يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾، وقوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً مدحوراً﴾ وانني وقفت هذا الموقف من هذا الموضوع وجعلت أبا الأسود في مركز الوسط، ليس بخيلاً ولا كريماً كما دلّتنا على ذلك آثاره الشعرية، ومعاملته مع الخلفاء والولاة والبيع وغير ذلك»[1].

ويستعرض الدجني الحكايات المنقولة عن بخله ويناقشها بالضعف والوضع أو بعدم دلالتها على بخله.

## طفولة أبي الأسود:

لم أجد من المؤرّخين من يتحدّث عن طفولته، وعن أُسرته بل بدأ الحديث عنه وبصورة واسعة بعد اتّصاله بالإمام علي عليه السلام وخلال خلافته بالذات، ولكنّ هذا الإنسان الذي يملك هذه المواهب لابدّ أن تكون له طفولة متميّزة، ونشأ في بيئة واعية غرست فيه هذا التطلّع للمعرفة، وزوّدته بمثل هذه الثقافة والقدرات التي ظهرت خلال حياته.

## أسرة رفيعة:

فهناك رواية يذكرها صاحب «الأغاني» تشير إلى هذا المعنى يقول: «كان بين الديل وبين بني ليث منازعة، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً، ثم

---

(١) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي / ١٤٢.

اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا ديته، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة، فقال له: يا أبا الأسود، أنت شيخ العشيرة وسيّدهم، وما يمنعك من معاونتهم قلّة ذات يد ولا سؤدد»[1].

فهذه الرواية توضّح لنا أنّ أبا الأسود لم يكن عضواً مهملاً في عشيرة بني الديل، بل كانت له مكانة مرموقة فيها، ولست أدري هل اكتسب مكانته هذه من خلال ثقافته ومنزلته الاجتماعية التي حصل عليها بعد دخوله الإسلام أو أنّ أسرته بالذات كانت تملك مثل هذه المكانة في العشيرة حتى قبل دخوله الإسلام؟ والذي أرجّحه هو الثاني لما يظهر من هذه الرواية نفسها أنّ نسبه ونسب أُسرته كان رفيعاً وللوضع العشائري الذي يرفع أصحاب الأُسر الرفيعة، ولعلّ كلام الجاحظ السابق يدلّ على شرف أُسرته.

ويؤكّد هذا المعنى الدجيلي حين يعلّق على الرواية السابقة: «ولا يكون في مثل هذه المكانة عندهم إلّا إذا كان في سنام العشيرة وعلى رأسها في الشرف وعمود النسب وشدّة البأس وسداد الرأي»[2].

ولو تصفّحنا ديوانه لرأينا وجود بعض الأبيات التي يشير فيها إلى مكانته ومكانة أُسرته في عشيرته، فمنها قوله:

وما ولدت أُمّي من القوم عاجزاً ولا كان ريشي من ذُنابى ولا لغب

---

(١) الأغاني ١١ / ١٠٣.

(٢) مقدّمة ديوان أبي الأسود / ٤٢.

ولا كـنـتُ فـقـعاً نـابتاً بـقرارةٍ ولكـنّني آوي إلى عـطفٍ رحبِ

ومنها قوله:

وإني ليثنيني عن الجـهل والخَنا وعن شتمِ ذي القربى خلائلُ أربعُ

حـياءٌ وإسـلامٌ وتـقيا وإنّـني (كريم) ومثلي قـد يـضرّ ويـنفعُ

**طفولة واعية:**

لا توجد نصوص تاريخية حول طفولته، ولكن ربما نكتشف من سيرته في كبره أنّ أبا الأسود لم يكن طفلاً خاملاً بل كان محبّاً للاطّلاع والمعرفة، ويتساءل ليتزوّد بالثقافة، وهذه الرغبة والتلهّف بقي ملازماً له حتى أواخر أيّامه حيث يروي صاحب «الأغاني» أنّ أبا الأسود كان يخرج في أيام مرضه خارج بيته «فقال له رجل: يا أبا الأسود، أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت، ولو لزمت منزلك كان أودع لك. فقال له أبو الأسود: صدقت، ولكنّ الركوب يشدّ أعضائي وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه في بيتي»[1]

وقد ذكرنا بعض أبياته الشعرية حول تجاربه في الحياة وحول تطلّعه الغريزي للمعرفة التي رسّخت فيه الملكات والصفات النفسية، ويشير في شعره إلى كثرة ما استنتجه من الحكم خلال دراسته للناس والحياة، والحصول على الثقافة آنذاك لا يتوقّف على دراسة لدى أساتذة، بل يكفي أن

(١) الأغاني ١١ / ٢٢٠.

يكون الإنسان متطلّعاً للمعرفة ومحبّاً للثقافة وأن يكون واعياً وذكياً ليتوصّل إلى ذلك، ومن مستقبل أبي الأسود ربما نكشف أنّه لم يكن طفلاً خاملاً، بل كان يتساءل و يبحث ليطّلع ويتزوّد بالثقافة المتعارفة آنذاك، فبحكم قابليّاته وبحكم نشأته في البادية ومخالطته أيضاً لقبيلة هذيل مثال الفصاحة العربية قد أثر كلّ ذلك على لسانه وسلوكه، فثقافته اللغوية والأدبية الواسعة لعلها تنبئ أنّه عاش بيئة واعية وأنّه كان طفلاً متطلّعاً واعياً، فحين جاء إلى المدينة جاء ليواصل هذا البحث الذي بدأ حين كان في قبيلته ولم يقتصر على مجالات الأدب واللغة فحسب، بل توسّع في ذلك حين ظهرت مجالات أُخرى للثقافة يعترف بها المجتمع آنذاك كالقراءة والفقه والحديث وغيرها.

**حياته في ظلّ الإسلام:**

فليس لدينا ـ إذاً ـ ما يشير إلى طفولة أبي الأسود إلا هذه المؤشّرات التي تعرّفنا ـ ولو من بعيد ـ على طفولته، وحين نأتي إلى دور المراهقة وبدايات الشباب نراه أيضاً يكاد يكون مفقوداً، وفجأة نراه يظهر في زمن خلافة عمر كما في بعض رواياته، أمّا في زمن الرسول ﷺ أو في زمن أبي بكر فليس له أيّ ذكر في كتب التاريخ، ولعلّ هذا ما يؤكّد القول أنّ أبا الأسود نزح إلى مكّة والمدينة بعد وفاة الرسول ﷺ.

ولكنّ هناك رواية يذكرها ابن أبي الحديد حول واقعة السقيفة، ولست

أدري هل كان معاصراً ومشاهداً لهذه الواقعة، أم أنّه سمعها من غيره؟ ولعلّ هذا يؤكّد وجوده في المدينة حين السقيفة لو كان مشاهداً لها، وقد ذكرها ابن أبي الحديد في موضعين من كتابه[1]: «قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز، وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي‌بكر بغير مشورة، وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمةعليها السلام معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، منهم أُسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش ـ وهما من بني عبد الأشهل ـ فصاحت فاطمةعليها السلام وناشدتهم الله، فأخذوا سيفي علي والزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما، ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا، ثم قام أبوبكر فخطب الناس واعتذر إليهم، قال: إنّ بيعتي كانت فلتة وقى الله شرّها، وخشيت الفتنة، وايم الله ما حرصت عليها يوماً...». وهناك رواية يذكرها البحار عن ابي الاسود حول مقتل حجر بن عدي واصحابه في مرج عذراء، رواه ابن وهب عن ابي لهيعة عن ابي الاسود، قال: «دخل معاوية على عائشة...»[2].

## أبو الأسود في البصرة:

وقد بقي في المدينة سنوات صاحب فيها الصحابة يغترف منهم وخاصة

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢ / ٥٠ و ٦ / ٤٧.

(٢) البحار ١٨ / ١٢٤.

الإمام علياًعليه السلام شتّى صنوف الثقافة والمعرفة، وربما نكتشف بقاءه في المدينة مدة، قبل هجرته للبصرة، من خلال ما ذكروه من شيوخه في القراءة، والحديث، فان بعض هؤلاء ممن لم يكن في البصرة، بل كان في المدينة، فيكون ابو الأسود قد تعلم على ايديهم هناك.

وقد ذكرنا سابقاً انه يظهر من رواية ان قدومه للمدينة كان في عهد خلافة عمر وربما كانت هناك مرات عديدة اتىٰ فيها المدينة، وليست هذه هي المرّة الاولى، ولكن يظهر منها انه لم يكن حتىٰ ذلك الوقت مستقراً في المدينة، ولما ارتفع مستواه الثقافي هاجر إلى البصرة في خلافة عمر(١) كما هاجر إليها وإلى غيرها من الأمصار كثير من الصحابة والتابعين، هذا ما يذكره كثير من المؤرّخين، أمّا دوره وعمله في البصرة آنذاك، وقبل خلافة الإمامعليه السلام فيكاد يغفله التاريخ، ولكن صاحب «الأغاني» يذكر: «واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب»(٢) ولم يذكر أين استعمل، وأيّ منصب أُسند إليه، ويقول صاحب «خزانة الأدب»: (واستعمله [أي الإمامعليه السلام] على البصرة بعد ابن عبّاس، وقبل هذا كان استعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان»(٣) ولعلّه يقصد من ذلك منصب الولاية، لأنّ الإمامعليه السلام كان قد جعله خلفاً لابن عبّاس والياً على البصرة،

---

(١) الأعلام للزركلي ١ / ١١٤.

(٢) الأغاني ١١ / ١٩٨.

(٣) خزانة الأدب ١ / ١٣٦.

كما أنّ كلمة استعمله ـ من العمل والعامل ـ آنذاك كانت تطلق على الوالي، ولكن حين مراجعة تاريخ تلك الفترة لم نجد من يذكر أنّ أبا الأسود كان والياً على البصرة أيّام عمر وعثمان، فلعلّه أسند إليه بعض المناصب غير البارزة وإلّا لسلّطت عليه الأضواء، أمّا الولاية فلم يقل بتولّي أبي الأسود لها أحد من المؤرّخين لتلك الفترة.

وفي «إنباه الرواة» للقفطي يذكر رسالة أرسلها عمر إلى أبي موسى في البصرة: «ليعلّم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب»[1] ولكن ما مقصوده من الإعراب؟ فإذا كان المراد منه النحو، فهو بعيد لأنّ النحو ظهر متأخّراً عن تلك المرحلة؛ وإن قصد منه اللغة العربية، فيمكن القول بصحّة هذا الرأي لما يتمتع به أبو الأسود من ثقافة واسعة في اللغة العربية وخاصّة بعد فساد اللغة على ألسنة العرب نتيجة لاختلاطهم بسائر الشعوب، كما ذكرنا في بحث دور أبي الأسود في النحو أنّه ظهر فساد اللسان في زمان خلافة عمر، وخاصة في البصرة المركز الحضاري، وقد فسر محمد الانطاكي (الاعراب) بتفسير يوضح هذا المعنىٰ وحمل عليه الاحاديث النبوية التي ورد فيها لفظ الاعراب. قال: «ان ما ورد من الاحاديث التي فيها حض على اعراب القرآن، ليس فيها دليل على شيء، لان كلمة (الاعراب) التي وردت فيها لم تكن تعني تحريك اواخر الكلمات، وكيف تعني ذلك ولم يكن الاعراب ولا النحو قد خلق بعد، لقد عنىٰ الرسول ﷺ بكلمة (الاعراب) وضوح النطق

---

(١) إنباه الرواة ١ / ٥٠.

وظهور المخارج، وخلو التلاوة من عيوب اللسان التي تذهب بالكثير من حلاوة القرآن»[1]، وبهذا التفسير يمكن حمل مهمة ابي الاسود على تعليم الاعراب، كما اعترض الانطاكي على مثل هذه الاحاديث عن الرسول ﷺ بانها موضوعة. واذا كان المراد من الإعراب النحو، فالرواية مشكوكة[2]؛ ويمكن ان يكون سبب هجرته ما ذكرناه، أنّه هاجر إلى المناطق المفتوحة، كما هاجر إليها الكثير من الصحابة والتابعين والمسلمين آنذاك، ويظهر من بعض الروايات انه كان يشتغل بالتجارة في البصرة، وقد اثرىٰ نتيجة ذلك، فكان ذا عبيد وإماء[3] ولعل عمله هذا كان في الفترة بين نزوحه للبصرة الى خلافة الامام عليه السلام، ولعله مارس التجارة بعدها بعد ان اعتزل المناصب، فيذكر انه كان لابي الاسود مولى يختلف الى الاهواز ببضاعة له، وكان الغلام يصيب من الشراب فوجد عليه ابو الاسود في بضاعة كان استبضعه اياها وقد غضب ابو الاسود على هذا الرجل، وقال فيه:

واني امرؤ قد قال في الحق قولة ... لملتمس تصديقها ببيانها
دع الخمر تشربها الغواة فانني ... وجدت اخاها مجزيا لمكانها
فان لايكنها او تكنه فانه ... اخ ارضعته امه بلبانها[4]

(١) الوجيزة في فقه اللغة / ٣٢٦.
(٢) لاحظ أبو الاسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص١١١.
(٣) المصدر السابق: ص١٤٧.
(٤) ديوان أبي الاسود، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ص١٨٢ نقلاً عن الأغاني.

ويظهر من الاغاني، انه كان يبيع اللقاح[1]. واللقحة هي الناقة الحلوب.

وقد نصح ابنه بان يطلب الرزق في التجارة، فينقل الاغاني: كـان ابـو حرب بن ابي الاسود قد لزم منزل ابيه بالبصرة لا ينتجع ارضاً ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها، فعاتبه ابوه على ذلك، فقال ابوحرب: ان كان لي رزق فسيأتيني، فقال له:

وما طـلب المـعيشة بـالتمني ... ولكـن ألق دلوك في الدلاء
تجـئك بـملئها يـوماً ويـوماً ... تجئك بحمأة وقـليل مـاء[2]

## سيرته في خلافة الإمام عليعليه السلام:

لاحظنا أنّ حياة أبي الأسود في البصرة إلى حين خلافة الإمامعليه السلام تكاد تكون غامضة أيضاً في كتب المؤرّخين، ولا نعلم إلّا أنّه سكن البـصرة في خلافة عمر، وأمّا دوره الاجتماعي والسياسي الذي لعبه خلال تلك الفترة فهو غامض إلى حين خلافة الإمامعليه السلام فيظهر فجأة وتسلّط عليه الأضواء.

## مناصبه خلال هذه الفترة:

ولا نريد الحديث عن السياسة التي نهجها الإمامعليه السلام أيام خلافته فلذلك حديث طويل، إلّا أنّنا نقول إنّ الإمامعليه السلام اختلف كثيراً عن غيره في إدارة

---

(١) الأغاني: ١١ / ٢١٥.

(٢) الاغاني: ١١ / ٢٢٩.

الدولة، وفي خصوص تعيين الأفراد في مناصب الدولة، وقد ابتعد في ذلك عن الألاعيب السياسية والممارسات الملتوية التي التزم بها بعض الحكّام، فكان يلاحظ في شتّى خطواته رضا الله تعالى ورأي الإسلام ومصلحة المسلمين، لذلك رأيناه نصب أفراداً وعزل آخرين - من الولاة وغيرهم - من مناصب الدولة نتيجة لالتزامه بهذا المبدأ رغم الأخطار السياسية التي تحدق بهذا الموقف من وجهة نظر السياسة الزمنية والسياسيّين المحترفين، وهو الذي يقول: «والله ما معاوية بادهىٰ مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهىٰ الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة، والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة»[1] وقد رسم سياسته في خطبته الاولى التي خطبها بعد استخلافه، والتي اثارت اولئك المنتفعين واصحاب المصالح فثاروا بوجه خلافته العادلة.

ولكن ما هو دور أبي الأسود في كلّ ذلك؟

لم يعطنا التاريخ صورة واضحة متسلسلة عن دور أبي الأسود في البصرة خلال خلافة الإمام عليه السلام.

فتارة يقول: «وكان ابن عبّاس لمّا خرج من البصرة استخلف عليها أبا الأسود فأقرّه علي»[2]. وفي الشعر والشعراء (وولي البصرة لابن

---

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح / ص ٣١٨ خطبة ٢٠٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٧ / ٩٩، وتهذيب التهذيب ١٢ / ١٣.

عباس)[1]

وأُخرى يقول: «ووليَ أبو الأسود القضاء بالبصرة في ولاية عبدالله بن العبّاس واستخلفه حين خرج إلى الحكمين»[2] وفي تهذيب التهذيب: «قال ابو حاتم: ولي قضاء البصرة»[3].

وحيناً يقول: «واستعمله على البصرة بعد ابن عبّاس»[4].

ويقول أيضاً: «وكان أبو الأسود كاتباً لابن عبّاس على البصرة»[5]، وفي كتاب خزانة الادب: «وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى: كان ابو الاسود كاتباً لابن عباس على البصرة»[6].

وكذلك: «وحكى خليفة بن خيّاط أنّ عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه كان عاملاً لعلي عليه السلام على البصرة فلمّا شخص إلى الحجاز استخلف أبا الأسود عليها فلم يزل حتىٰ قتل علي عليه السلام»[7].

أو: «واستعمله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على البصرة»[8].

هذه وغيرها من النصوص التاريخية التي يظهر منها دور أبي الأسود أيام

---

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٦١.

(٢) إنباه الرواة ١ / ٥٠.

(٣) تهذيب التهذيب ١٢ / ١٣.

(٤) الأغاني ١١ / ٢٠٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) خزانة الادب ١ / ٦٨٦.

(٧) مرآة الجنان ١ / ٢٠٦، ووفيات الأعيان ١ / ٥٣٨.

(٨) إنباه الرواة ١ / ٥٢.

خلافة الإمام عليه السلام.

ولكن ما هو الصحيح منها؟ وهل نعتبرها سلسلة حياته آنذاك مع ما بين بعضها من الاختلاف؟

يمكن أن نقول: من خلال أقوال التاريخ ومترجمي أبي الأسود يتبين أن أبا الأسود شغل ثلاثة مناصب: الكتابة، والقضاء، والولاية.

وقبل أن نبحث حول كيفية إشغاله لهذه المناصب نرى من الجدير أن نتعرّف على هذه المناصب بمعناها المصطلح.

وأرى أنّ تعريف القضاء أو الولاية واضح في الأذهان، وإنّما الذي يحتاج إلى توضيح موجز هو منصب الكتابة، لذلك فسوف نؤكّد على تعريفه وتحديده أكثر من غيره.

وقد بحث العلماء هذه المصطلحات وأمثالها ممّا يتّصل بالجهاز الحكومي والإداري للدولة الإسلامية في مختلف الكتب، وخاصّة الكتب التي تبحث عن النظام السياسي والإداري في الإسلام.

الإمارة: فيطلق على القائم بها: العامل، والأمير، والوالي، ومهمّته أن يتولّى الإشراف على قطر أو مصر، وتسمية الأمير بالعامل تومئ إلى سلطته الواسعة العملية، فهو يعمل كلّ ما يراه الأفضل في كلّ مرفق من مرافق الحياة دينياً ودنيوياً.

وقد قسّم الفقهاء الإمارة إلى نوعين: إمارة خاصّة، وإمارة عامّة.

ففي الإمارة العامة تكون له صلاحيات أكثر في شؤون البلاد من الإمارة

الخاصة[1] وفي توضيح هذه الأقسام تراجع الكتب الموسّعة، والملاحظ أن العامل يحتاج إلى تدبير وفقاهة.

القضاء: ويتولّى فيها القاضي الفصل بين الناس في قضايا النزاع، وقد قُسّم أيضاً إلى القضاء الخاص والقضاء العام، وفي القضاء العام يكون للقاضي صلاحيات أكثر[2] ومن الواضح أنّ القضاء يحتاج إلى فقاهة وتدبير أيضاً.

الكتابة: يذكر أحمد شلبي في كتابه أنّ القلقشندي ألّف كتاب «صبح الأعشى» في أربعة عشر جزءاً حول الكتابة وشروطها وصفاتها ووظائفها، ويذكر القلقشندي حول الكتابة: «والملك يحتاج في انتظام أُمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وجود خلل فيها:

١ ـ رسم ما يجب أن يرسم لكلّ من العمّال والقادة ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي وترغيب ووعيد وإحماد وإذمام.

٢ ـ استخراج الأموال من وجوهها واستيفاء الحقوق السلطانية فيها.

٣ ـ تفريقها على مستحقّيها وتوصيل الأجور إلى أعوان الدولة وأوليائها الّذين يحمون حوزتها ويسدّون ثغورها ويحفظون أطرافها.

وهذه الأعمال لا يقوم بها إلّا كُتّاب السلطان، ولا سبيل لهم إلى الكتابة

---

(١) يلاحظ كتاب النظم الإسلامية / ٣١٢، ويلاحظ أيضاً «السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي» للدكتور أحمد شلبي.

(٢) يلاحظ المصدر السابق.

إلّا بالتدبّر في الصناعة، فهي إذاً من أعظم الصنائع»[1].

ويقول صبحي الصالح: «ولقد حرص الخلفاء على أن يتولّى كتابة الرسائل من ينتمون إلى نسب رفيع، ومن أتاحت لهم ظروفهم أن يتمتّعوا بسعة العلم وعمق الثقافة، إذ كان مركز الكاتب ـ أحياناً ـ يتميّز بقوة الشخصية والدهاء والذكاء يعادل مركز الوزير، فهو الذي يحرّر الرسائل الرسمية والسياسية داخلية وخارجية، وهو الذي ينشر بين الناس المراسيم والقرارات والبلاغات والتراتيب الإدارية، وقد كان يتاح له أيضاً في بعض الظروف أن يجلس مع الخليفة نفسه على منصّة القضاء لينظر في الدعاوي والشكاوي ويختمها أخيراً بخاتم الخليفة»[2].

وقد بحث ابن خلدون عن الكاتب وشروطه ووظائفه في مقدّمته، حيث ذكر من جملة ما ذكره «.. وإنّما أكّد الحاجة إليها [الكتابة] في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد، فصار الكتاب يؤدّي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر، وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم، وكان الكاتب يصدّر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليه بخاتم السلطان، ومن خطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه

---

(١) السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي ـ الدكتور أحمد شلبي ـ / ١٤٢.

(٢) النظم الإسلامية / ٣٠٤.

وفصله ويوقّع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقّاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه ويحتاج الموقّع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه، واعلم أنّ صاحب هذه الخطّة لابدّ من أنْ يتخيّر أرفع طبقات الناس وأهل المروأة والحشمة فيهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة..»[1] إلى آخر ما ذكره ثم يذكر نصّاً عن عبدالحميد الكاتب في تحديد الكاتب وصفاته وشروطه ووظائفه، ويلخّص بأنّه يحتاج إلى ثقافة واسعة وأدب رفيع وبلاغة وبيان وتدبير وذكاء وغيرها من الصفات.

وهكذا نرىٰ أن الكتابة منصب خطير، لا يتولّاه إلّا من تتوفّر فيه خصائصَ ثقافية وأدبية وأخلاقية كبيرة، ولا يقل أهمّية عن منصب الوزارة، والملاحظ أيضاً أنّ هذه المناصب قد تعرّضت للتغير والتطوّر على امتداد التاريخ الإسلامي.

وبعد أن تعرّفنا على ما يملكه أبو الأسود من خصائص ومؤهّلات وثقافة، نعرف أنّه يستحقّ هذه المناصب، فهو يعدّ من العقلاء والفقهاء والأُدباء، وقد أحسّ ولاة الأُمور بما يتمتّع به أبو الأسود من ذلك، لذلك أسندوا له هذه المناصب.

ونحن نرى المؤرّخين ومترجمي أبي الأسود يذكرون إسناد هذه المناصب إليه، ولكن كيف؟ ومتى أُسندت إليه؟

قليلٌ أُولئك الّذين ذكروا أن أبا الأسود عيّنه الإمام عليه السلام والياً على البصرة

(١) مقدّمة ابن خلدون / ٢٤٦.

بصورة مباشرة، ولم يشر أحد من المؤرّخين لتلك الفترة ـ فترة خلافة الإمام عليه السلام ـ أنّ الإمام عليه السلام عيّن أبا الأسود والياً على البصرة بصورة مباشرة، ولكن هناك الكثير من مترجمي أبي الأسود ومؤرّخي تلك الفترة يؤكّد على أنّ أبا الأسود استخلفه ابن عبّاس على إمارة البصرة حين خروج الأخير منها، سواء كان ذلك «في خروجه إلى صفّين أو الحكمين»[1] كما في تعبير البعض، وفي البحار: «واستعمل ابن عباس على البصرة ابا الأسود الدؤلي وخرج حتىٰ قدم على علي عليه السلام بالنخيلة»[2] أي حين خرج الى صفين أو «عند ذهابه إلى الحجاز»[3] كما في تعبير آخر، ولو أنّني أرجّح في هذا المجال استخلافه عند ذهاب ابن عبّاس إلى الحجاز لأنّ أبا الأسود كان قد اشترك في صفّين كابن عبّاس فكيف يستخلفه وهو معه في المعركة؟ وقد رشّح أبو الأسود نفسه للتحكيم أيضاً كما سنذكر ذلك.

إذاً فالأرجح ـ في هذا المجال ـ أنّ أبا الأسود خلف ابن عبّاس على إمارة البصرة حين ذهاب الأخير إلى الحجاز لأيّ سبب كان قد دفعه إلى الابتعاد عن البصرة، ومن هنا ندرك أن أبا الأسود كانت له مكانة بارزة في البصرة في ظلّ ولاية ابن عبّاس إذ استخلفه على الولاية حين غيابه عنها، كما أنّ الملاحظ أنّ ابن عبّاس كان يخلّف أبا الأسود على ولاية البصرة حين كان

(١) إنباه الرواة ١ / ٥٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١٨٨.

(٢) البحار ٣٢ / ٧ ـ ٤٠.

(٣) روضات الجنّات ج ٤ / ١٦٥، ومرآة الجنان ١ / ٢٠٦.

يغيب عنها أحياناً.

ولكن نتساءل هنا عن المكانة التي كان عليها أبو الأسود، فكلّ مؤرّخ يسند له منصباً في ولاية ابن عبّاس يختلف عن المنصب الآخر، فتارة يعتبره كاتباً[1] وحيناً قاضياً[2].

وحينها نعترف بأنّ أبا الأسود كان يملك المؤهّلات والقدرات من الثقافة والعقيدة والتدبير بحيث يستحقّ معها أرفع المناصب، فلابُدّ أن يسند له منصب كبير، فحين تولّى ابن عبّاس إمارة البصرة وكان فيها أبو الأسود ـ كما مرّ سابقا ـ «جعله كاتباً في أول الأمر ثم ولّاه قضاء البصرة»[3] ومنصب القضاء وكذا الكتابة منصب خطير لا يقلّ عن منصب الوالي أهمّية، فلذلك حين غاب ابن عبّاس عن البصرة لم يجد غير أبي الأسود ليستخلفه على هذا المنصب، والإمام عليه السلام وافقه على ذلك ـ إذ يشترط في الاستخلاف موافقة الخليفة ـ لما يعرفه عن أبي الأسود من مؤهّلات، وبذلك نجمع بين الروايات التي تتحدّث عن دور أبي الأسود أيام خلافة الإمام عليه السلام، فكان أولاً كاتباً لعبدالله بن عبّاس، وبعد ذلك تولّى القضاء، وبعده تولّى ولاية البصرة، بعد خروج عبدالله بن عبّاس منها، وذكر بعض الباحثين أنه جمع بين الولاية والقضاء بعد خروج ابن عبّاس.

---

(١) الأغاني ١١ / ٢٠٣.

(٢) لاحظ: إنباه الرواة ١ / ٥٤، وبغية الوعاة ٢ / ٢٢، وغيرهما.

(٣) كمال إبراهيم، مجلّة البلاغ، العدد العاشر.

وتذكر بعض القضايا عن قضائه بين الناس، ويلاحظ منها انه كان يحكم بالعدالة ولو على صديقه، مما يدل على تقواه، وعدالته.

منها ما ذكر الاغاني: «كان لابي الاسود الدؤلي صديق من بني تميم بن سعد يقال له مالك بن اصرم، وكانت بينه وبين ابن عم له خصومة في دار له، وانهما اجتمعا عند ابي الاسود فحكّماه بينهما، فقال له خصم صديقه: اني بالذي بينك وبين هذا عارف فلا يحملنّك هذا على ان تحيف عليّ في الحكم، وكان صديق ابي الأسود ظالماً، فقضى ابو الاسود على صديقه لخصمه بالحق، فقال له صديقه: والله ما بارك الله لي في صداقتك ولا نفعني بعلمك وفقهك، ولقد قضيت عليّ بغير الحق، فقال ابو الاسود:

اذا كنت مظلوماً فلا تلف راضياً
عن القوم حتى تأخذ النصف فاغضب
وان كنت انت الظالم القوم فاطّرح
مقالتهم واشغب بهم كل مشغب
وقارب بذي جهل وباعد بعالم
جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حدبوا فاقعص وان هم تقاعسوا
ليستمكنوا مما وراءك فاحدب
ولاتدعني للجور واصبر على التي
بها كنت اقضي للبعيد على ابي

فـاني امـرؤ أخـشىٰ الهـي واتـقي

مـعادي وقـد جـربت مـالم تجـرب[1]

ومنها اختصم لابي الاسود رجلان، فكان احدهما نحيف الجسم وكان رجلاً فهماً، والآخر جهيراً فدما، فاستعلاه النحيف، ولكن أبا الاسود قضىٰ بينهما بالعدل، وقال في ذلك شعراً:

ترىٰ الرجل النحيف فتزدريه وفي اثـوابـه رجـل مـرير

وما عِظَمُ الرجـال لهـم بـزين ولكـن مجـدها زيـن وخـير

وقد بقي أبو الأسود والياً على البصرة بعد ابن عبّاس إلى حـين مـقتل الإمام عليه السلام، والدليل على ذلك ـ بعد قول المؤرّخين ـ[2] خطبته الشهيرة التي رثى بها الإمام عليه السلام حين وصل إليه خبر نعيه والتي دعا فيها الىٰ مبايعة الامام الحسن عليه السلام خليفة للمسلمين، إذ إنّ هذا الموقف من بعض مهامّ الوالي وأعماله وقد قام به أبو الأسود.

ولكن، ذكر البعض أنّ ابن عبّاس بقي على ولاية البصرة إلى أن قـتل الإمام عليه السلام، وأنّه لم يُعَيَّن أبو الأسود والياً على البصرة ولاية دائمة، وقد ذكرنا أنّ أبا الأسود كان ينوب عن ابن عبّاس على ولاية البصرة حين غيابه عنها أحياناً، فلعلّه صادف غياب ابن عبّاس عن البصرة حين مقتل الإمام عليه السلام وبذلك نجمع بين القولين. ويدل على هذا الرأي ولعله اصوب من غيره، ان

(١) الاغاني ١١ / ٢٠٦.

(٢) مرآة الجنان، ووفيات الأعيان، وأعلام الزركلي ٣ / ٢٣٦.

ابن عبّاس كان في الكوفة حين مقتل الامام‏ عليه السلام كما ذكر ذلك المؤرخون، وانه قد (ولي غسل الامام‏ عليه السلام ابنه الحسن وعبدالله بن عبّاس)[1]، وان ابن عبّاس (قام بين يدي الامام الحسن‏ عليه السلام فدعا الناس الىٰ بيعته فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصي امامكم فبايعوه، فاستجاب له الناس وقالوا: ما احبه الينا واوجب حقه علينا، وتبادروا الى البيعة له بالخلافة)[2]، وان الامام الحسن‏ عليه السلام (انفذ عبدالله بن العباس الى البصرة)[3] وعيّنه والياً عليها، وكل هذه الادلة وغيرها تلقي الشك على قصة سرقة ابن عباس لاموال البصرة، وتفند ما ذكره البعض حول هذه الحادثة او محاولة تضخيمها[4].

يبقى شيء، وهو السبب الذي دفع ابن عبّاس للخروج من البصرة واستخلاف أبي الأسود مكانه، فإنّ ذلك يرتبط بحادثة تاريخية مهمّة دار حولها الكثير من البحوث والشكوك، وهي قصّة سرقة ابن عبّاس للمال وهروبه به إلى الحجاز ومواجهته لأبي الأسود ومعارضة أبي الأسود له، ثم الرسائل المتبادلة بين أبي الأسود وبين الإمام‏ عليه السلام من جهة، وبين ابن عباس وبين الامام‏ عليه السلام من جهة اخرى. وهذه حادثة إن أردنا البحث عنها فسوف

---

(١) مقاتل الطالبيين / ص ٢٥، وشرح ابن ابي الحديد ٦ / ١٢٢.

(٢) مقاتل الطالبيين / ص ٣١، وكشف الغمة ٢ / ١٦١.

(٣) كشف الغمة ٢ / ١٦١.

(٤) راجع المقال القيم للسيد محمد تقي الحكيم، مجلة النجف، العدد السادس، السنة الخامسة شوال ١٣٨٢ هـ

يطول البحث كثيراً، ولكن قد كتب عنها بعض الباحثين المعاصرين وناقشوها مناقشة علمية.

ولكن يجدر بنا أن نشير إليها هنا بإيجاز، فقد ذكرت في بعض الكتب التاريخية، ففي الكامل لابن الأثير «وكان سبب خروجه ـ أي عبدالله بن عبّاس ـ أنّه مرّ بأبي الأسود فقال: لو كنت من البهائم لكنت جملاً، ولو كنتَ راعياً لما بلغت المرعى؛ فكتب أبو الأسود إلى علي: أمّا بعد، فإنّ الله عزّوجلّ جعلك والياً مؤتمناً وراعياً مستولياً، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحاً للرعية، توفّر لهم فيئهم، وتكفّ نفسك عن دنياهم، ولا تأكل أموالهم، ولا ترتشي في أحكامهم، وانّ ابن عمّك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك، ولم يسعني كتمانك رحمك الله. فانظر فيما هناك واكتب إليّ برأيك فيما أحببت، والسلام»[1] وقد أجابه الإمام عليه السلام برسالة.

ويذكر غيره أيضاً ما وقع بين أبي الأسود وابن عبّاس من مواجهة، وقد بحث الكثير هذه الحادثة، وبعضهم شكّك فيها أو أنكرها، وبعضهم أثبت وقوعها وبعضهم ذكر ان ابن عبّاس كان يملك مبرراً شرعياً في اخذ المال، غفل عنه ابو الاسود، ولم تكن سرقة، ولكن الامام حين امر ابن عباس باعادة المال، رده الى بيت المال، كما احتمل ذلك السيد محمد تقي الحكيم.

والأفراد البارزون ـ وخاصّة أمثال عبدالله بن عبّاس لما يملكه من مميّزات ومواقف وأحاديث وعلاقات ـ يحتاج في تقييمهم إلى منهج معيّن،

---

(١) الكامل ٣ / ٣٨٦.

وإلى دراسة خاصة ـ تختلف عن دراسة سائر الأفراد العاديّين ـ في علم الرجال أو الّذين ليست لهم مثل هذه العلاقات والمواقف التي كان يملكها عبدالله بن عبّاس، ومن هنا علينا أن نميّز في علم الرجال في تقييم ودراسة الأفراد بحسب مستوياتهم ونفوذهم وملابساتهم وظروفهم.

ولعلّ خلق هذه الحادثة أو تضخيمها، كان من وضع بعض أعداء أهل البيت عليهم السلام، لأنّ ابن عبّاس مصدر زاخر للكثير من الروايات في فضل أهل البيت عليهم السلام، ولأنّه التلميذ المتميّز للإمام عليه السلام أو من وضع بعض أعداء العبّاسيين الّذين كان ابن عبّاس سنداً هاماً في دعم مشروعية خلافتهم كما يدّعون، أو كان بسبب عدم الدقّة في نقل الحوادث التاريخية وتضخيمها بمرور الزمن، والإضافات التي تعلق بها من قبل ناقليها، أو غيرها من العوامل والأسباب الأُخرى المغرضة أو غير المغرضة التي لها دور كبير في تشويه كتابة التاريخ.

وقد ناقش هذه الحكاية بعض العلماء والباحثين المعاصرين، منهم السيد الفاني في كتابه «عبدالله بن عباس» وكذّبها لضعف سندها ولاعتراضات مضمونية واجتماعية أُخرى، وكذلك ناقشها وكذّبها السيد جعفر مرتضى في كتابه «ابن عبّاس وأموال البصرة»، وبحث عنها أيضاً السيد محمد تقي الحكيم في مقالة في «مجلة النجف» بعنوان (قصة بيت المال في البصرة ودور ابن عبّاس فيها) والسيد محسن الامين في كتابه (في رحاب ائمة اهل البيت) وغيرهم من الباحثين الّذين بحثوا هذه القضية وناقشوها.

**نشاطه الحربي:**

ساهم أبو الاسود مع الإمام عليه السلام في كثير من الحوادث والمعارك التي حدثت أيام خلافة الإمام عليه السلام التي أثارها البعض ممّن لم يتلاءم حكمُ الإمام العادل مع مطامعهم ورغباتهم، فاشترك في صفّين والجمل ومحاربة الخوارج كما يؤكّد ذلك المؤرّخون(١) وإن لم يذكروا لنا صورة تفصيلية عن مدى مشاركته في هذه المعارك وبالرغم من أنّه كان من الفرسان ـ كما يقول الجاحظ ـ وكما يذكر ذلك أبو الأسود نفسه في شعره ويدل على شجاعته مشاركته في الحروب، ويشير لذلك في بعض اشعاره منها:

اجيب اذا الداعي دعاني واحتمي　　　بابيض مصقول ضريبته عضب
واني لمن قوم اذا حاربوا العدىٰ　　　اغاروا بفتيان مغاوير كالشهب

إلّا أنّنا نلاحظ أنّ التاريخ لم يذكر إلا بعض الممارسات التي تتّسم بالطابع السياسي أكثر من كونها نشاطاً عسكرياً، ولكنّ خروجه مع الإمام عليه السلام إلى هذه المعارك يفترض مشاركته العسكرية أيضاً فيها.

أمّا الحروب التي شارك فيها فهي:

١ ـ الجمل: فكان لأبي الأسود في حرب الجمل دور فعّال يشير إليه

---

(١) انظر: إنباء الرواة، وتهذيب التهذيب، وبغية الوعاة، ووفيات الأعيان، والمعارف لابن قتيبة،وغيرها.

المؤرّخون، فقد أُرسل من قبل عامل الإمام عليه السلام على البصرة عثمان بن حنيف لمفاوضة عائشة وطلحة والزبير، وقد ذكرت هذه المهمّة في مختلف الكتب، فقد ذكرها ابن عساكر في تهذيبه[1] وذكرها ابن الأثير في تاريخه الكامل[2]، وذكرها الطبري أيضاً في تاريخه[3].

وأشارت إليها دائرة المعارف الإسلامية فقالت: «وكان أبو الأسود من أنصار علي، أوفده علي على البصرة ليفاوض عائشة وطلحة والزبير»[4].

وذكرها أيضاً ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة بصورة مفصّلة ونحن نذكرها من شرح النهج لأنّه أكثر تفصيلاً من غيره، ولأنّ ذكرها يدل على قدرة أبي الأسود في الحوار، وقد ذكرها ابن أبي الحديد في موضعين من كتابه، أحدهما في الجز السادس، والثاني في الجزء التاسع.

ففي الجزء السادس ذكر أنّ عثمان بن حنيف أرسل أبا الأسود وحده، بينما في الجزء التاسع ذكر أنّه أرسله مع عمران بن الحصين الخزاعي، وفي أحدهما يذكر حواره مع عائشة، بينما في الآخر لا يذكره، ونحن نجمع بين النصّين، يقول ابن أبي الحديد:

«لمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى قريباً من البصرة،

(١) تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٠٤.

(٢) الكامل ٣ / ٢١١.

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٤٦٣.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٠٧.

أرسل عثمان بن حنيف ـ وقد قام عثمان بن حنيف بهذا العمل بأمر من الامام عليه السلام حيث بعث له رسالة ليقوم بذلك، ذكرها ابن أبي الحديد في الجزء التاسع إلى القوم ـ أبا الأسود الدؤلي ـ وفي الجزء التاسع: وعمران بن الحصين الخزاعي ـ يعلم له علمهم، فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها.

فقالت: اطلب بدم عثمان.

قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد.

قالت: صدقت، ولكنّهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم.

فقال لها: ما أنت من السوط والسيف؟! إنّما أنتِ حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله، أمركِ أن تقرّي في بيتكِ، وتتلي كتاب ربّكِ، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وإنّ عليّاً لأولى بعثمان منكِ، وأمسّ رحماً، فإنّهما ابنا عبد مناف.

فقالت: لست منصرفة حتى أمضي لما قدمت له، أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟

قال: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد.

فقالت لها: القيا طلحة والزبير.

فقاما من عندها، ولقيا الزبير فكلّماه، فقال لهما: إنّا جئنا للطلب بدم عثمان، وندعو الناس إلى أن يردّوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس

لأنفسهم.

فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان مَن هم، وأين هم، وإنّك وصاحبك وعائشة كنتم أشدّ الناس عليه وأعظمهم إغراءً بدمه، فأقيدوا من أنفسكم، وأمّا إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين؟! وأنت يا أبا عبدالله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحقّ بالخلافة منه ولا أولى بها منه، وامتنعت من بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟!

فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة.

فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس، شديد العريكة، قويّ العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف، فأخبراه، وقال له أبو الأسود:

يابنَ حُنيف قد أُتيت فانفِرِ    وطاعنِ القومَ وجالدْ واصبِرِ
وابرزْ لها مستلئماً وشمّرِ

فقال ابن حنيف: إي والحرمين لأفعلنّ، وأمر مناديه فنادى في الناس: السلاح السلاح، فاجتمعوا إليه، وقال أبو الأسود:

أتينا الزبيرَ فداني الكلامَ    وطلحة كالنجم أو أبعدُ
وأحسنُ قوليهما فادحٌ    يضيق به الخطب مستنكدُ
وقد أوعَدونا بجهد الوعيد    فأهون علينا بما أوعدوا

فـــقلنا ركـــضتم ولم تـــرملوا　　　واصـــدرتم قـــبل أن تـــوردوا
فإنّ تلقحوا الحرب بين الرجـال　　　فـــلقحها حـــدّه الأنكـــدُ
وإنّ عـــليّاً لكـــم مـــصحِرٌ　　　ألا إنّـــه الأســـد الأســـودُ
أمـــا إنّـــه ثـــالث العـــابدين　　　بمكّـــــة والله لا يـــعبدُ
فـــرخّـوا الخـناق ولا تـعجلوا　　　فـــإنّ غـــداً لكـــم مـــوعدُ[1]

ومن هذه الحكاية يظهر مدى قدرة أبي الأسود على الحوار، وتدلّ على أنّ أبا الأسود كان يكلّف بالمهام السياسية كذلك.

وينقل ابن أبي الحديد الرواية التالية عن أبي الأسـود: «أبـو الأسـود الدؤلي: لمّا ظهر عليعليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين وأنا معهم، فلمّا رأوا كثرة ما فيه قال: غرّي غيري ـ مراراً ـ ثم نظر إلى المال وصعّد فيه بصره وصوّب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحقّ ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستّة آلاف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً»[2].

وهناك رواية ربّما يظهر منها مشاركته الحربية في معركة الجمل، وكذلك يدلّ شعره على فروسيّته وشجاعته، فقد قيل: إنّ رجلاً يقال له الحارث بن

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦ / ٢٢٦، و ٩ / ٣١٣. وذكر هذا الحديث في الغدير ٩ / ١٠٦، نقلاً عن الامامة والسياسة ١ / ٥٧، والعقد الفريد ٢ / ٢٧٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٤٩.

خليد قابل أبا الأسود فعيّره بالفرار من حرب الجمل، ولكن أبا الأسود أنكر ذلك وردّه بقوله:

وما وَلَدتْ أُمّي من القومِ عاجزاً ... ولا كان ريشي من ذنابى ولا لغبِ
ولا كنتُ فقعاً نابتاً بقرارة ... ولكنّني آوي إلى كنف رحبِ
أُجيب إذا الداعي دعاني وأحتمي ... بأبيضَ مصقولٍ ضريبتُه عضبِ
وإنّي لمن قوم إذا حاربوا العدى ... أغاروا بفتيان مغاوير كالشهبِ
فلا يوعدوني بالفجار فإنّني ... سأحملكم منّي على مركبٍ صعبِ

وفي تاريخ الاسلام للذهبي: «قاتل يوم الجمل مع علي»[1] وهي تدل على مشاركته القتالية في هذه المعركة.

٢ ـ صفّين: وشارك أيضاً في حرب صفّين، وإن ذكر الطبري أنّ ابن عبّاس خلّفه على البصرة، وقد ناقشنا ذلك فيما سبق، والذي يذكره التاريخ هو دور سياسي أيضاً، ولم يحدّثنا عن نشاطه الحربي، ودوره في صفّين أنّه رشح نفسه للتحكيم، فيقول صاحب (روضات الجنّات): «إنّه التمس من عليٍّ عليه السلام أن يكون شريكاً مع الحكمين، لكنّ أهل الباطل لم يرضوا به ولا بمشاركته مع أحد»[2].

وقد ذكر السيّد المرتضى حديث أبي الأسود مع الإمام عليه السلام وكيف تنبأ أبو الأسود بنتيجة التحكيم قبل نهاية المسرحية، وأنّ أبا موسى لا يصلح لهذه

---

(١) تاريخ الاسلام: ج ٥ / ص ٢٧٦.

(٢) روضات الجنّات ٤ / ١٦٩.

المهمّة، وطلبه أن يقوم هو بهذه المهمّة، وهي كلّها دلائل تشير إلى مدى وعيه للحوادث «وقد روي أنّ أبا الأسود طلب أن يكون في الحكومة وقال لأمير المؤمنين في وقت الحكمين: يا أمير المؤمنين، لا ترض بأبي موسى، فإنّي قد عجمت الرجل وبلوته فحلبت أشطره، فوجدته قريب القعر مع أنّه يمان، وما أدري ما يبلغ نصحه، فابعثني فإنّه لا يحلّ عقدة إلّا عقدت له أشدّ منها، وإنّهم قد رموك بحجر الأرض فإن قيل: إنّه لا صحبة لي، فاجعلني ثاني اثنين، فليس صاحبهم إلّا من تعرف، وكان في الخلاف عليهم كالنجم، فأبى عليه السلام»[1]. ولكن ينقل غيره ان الامام عليه السلام قبل أبا الأسود ولكن اصحابه رفضوه[2].

ويشير لذلك أبو الأسود نفسه لمّا وفد على معاوية «أنّه سأل منه ـ أبي الأسود ـ معاوية يوماً: إنّي سمعت أنّك ذكرت لحكومة حرب صفّين، قال: نعم، قال معاوية: لو كنت تُجعل حكماً ما كنت تفعل؟ قال: كنت أقول لهم: يا معشر الحاضرين من الأنصار والمهاجرين أيّما أحقّ بالخلافة، رجل من المهاجرين أم رجل من الطلقاء الّذين أسره المسلمون حال الكفر ثم أطلقوه؟ فلما قال ذلك لعنه معاوية، وقال: الحمد لله الذي كفاني شرّك»[3]، وذكرت هذه الرواية مع شيء من التغيير في مصادر اخرى:

---

(١) أمالي السيد المرتضى ١ / ٢١٢.

(٢) ابو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي / ص ١١٧.

(٣) وقد ذكرت هذه الرواية في أمالي السيّد المرتضى ١ / ٢١٢.

«قال معاوية لابي الأسود لما وفد عليه حين بويع: انت القائل لعلي بن ابي طالب اجعلني حكماً؟! فوالله ما انت هناك. انك لفي المحاورة عيّ بالجواب فكيف كنت صانعاً؟ قال: كنت انظر رهطاً من المهاجرين ورهطاً من الانصار فاقول لهم: أناشدكم الله هل المهاجرون احق بالخلافة ام الطلقاء؟ فقال له معاوية: اقسمت عليك لاتذكر هذا الحديث ما عشت، ثم قال: قاتله الله لقد خلعني خلع الوصيف»(١).

وفي حياة الحيوان: «إنّه ﷺ دخل يوماً على معاوية، وروي أنّه التمس من علي ﷺ أن يكون شريكاً مع الحكمين ولكنّ أهل الباطل لم يرضوا به ولا بمشاركته مع أحد»(٢).

ولكن هذه الروايات وإن دلّت على نشاط سياسي فحسب، فهي لا تعني أنّ أبا الأسود لم يشارك عسكرياً في الحربين، بل من المفترض أن يشارك مادام قد ذهب لذلك، ففي الشعر والشعراء: «وشهد مع علي بن ابي طالب ﷺ صفّين»(٣) وفي سفينة البحار: «وشهد معه ـ مع الإمام ﷺ ـ وقعة صفّين»(٤) وفي التعليقة على اختيار معرفة الرجال نقلاً عن جامع الأُصول: «شهد مع علي بن أبي طالب صفّين»(٥).

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ / ١٠٧.

(٢) روضات الجنّات ٤ / ١٦٨.

(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٦١٥.

(٤) سفينة البحار ١ / ٦٦٩.

(٥) اختيار معرفة الرجال ٢ / ٤٧٥.

٣ ـ حرب الخوارج: وقد شارك أبو الأسود أيضاً في محاربة الخوارج الّذين ظهروا بعد صفّين، في الكامل: «وأمّا خوارج البصرة فإنّهم اجتمعوا في خمسمائة رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي فعلم بهم ابن عبّاس، فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي، فلحقهم بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل»[١].

وفي دائرة المعارف الإسلامية: «وكان ـ أبو الأسود ـ على رأس الجيش الذي أرسله ابن العبّاس لقتال الخوارج، وكذلك حضر مع علي وقعة صفّين»[٢] وهذا ممّا يدلّ على مشاركته العسكرية في الحرب.

وهكذا نرى حياة أبي الأسود في زمن خلافة الإمام عليه السلام أكثر نشاطاً، حياة حافلة بالنشاط الفكري والإداري والحربي والسياسي، ولعلّ هذه الفترة من حياته هي الأكثر وضوحاً في التاريخ.

وذكر في الأغاني: «أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام، فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته:

«وإنّ رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين علياً كرّم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجي فيها مصادفة ليلة القدر، فقتله، فيالله هو من قتيل، وأكرم به وبمقتله وروحه من روح

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣ / ٣٣٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٠٧.

عرجت إلى الله تعالىٰ بالبرّ والتق والايمان والإحسان، لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً، وهدم ركناً من أركان الله تعالىٰ لا يشاد مثله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه سلام الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً، ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصىٰ بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإنّي لأرجو أن يجبر الله به ما وهي ويسدّ به ما انثلم، ويجمع به الشمل ويطفئ به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا.

فبايعت الشيعه كلّها، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأي العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك، وهربوا إلى معاوية مع رسول دسّه إليهم يعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ويعده ويمنّيه».

إذاً فقد حاول معاوية خداع أبي الأسود بهذه الحيلة، ولكنّ أبا الأسود لم يخدع بذلك وقال:

| | |
|---|---|
| ألا ابلغ معاوية بن حرب | فلا قرّت عيون الشامتينا |
| أفي شهر الصيام فجعتمونا | بخير الناس طرّاً أجمعينا |
| قتلتم خير من ركب المطايا | وخيسها ومن ركب السفينا |
| ومن لبس النعال ومن حذاها | ومن قرأ المثاني والمئينا |
| إذا استقبلت وجه أبي حسين | رأيت البدرَ راق الناظرينا |
| لقد علمتْ قريش حيث حلت | بأنّك خيرها حسباً ودينا[1] |

---

(١) الأغاني ١١ / ٢٩٩، وذكرت القصيدة في أكثر المصادر التي ترجمت له.

وهذه القصيدة طويلة ذكر في الأغاني بعض أبياتها، بينما ذكر ابن شهرآشوب في كتابه «مناقب آل أبي طالب»[1] أبياتاً أُخرىٰ منها، ولعلّنا نشير إليها خلال هذه الدراسة فإنّها حافلة بولائه لأهل البيت عليهم السلام ومعتقداته.

**حياته بعد مقتل الإمام عليه السلام:**

وحينما قتل الإمام عليه السلام «اعتزل العمل، بل عزل في عهد الأمويّين»[2] لما يعرف من تشيّعه ومواقفه تجاه معاوية أيّام خلافة الإمام عليه السلام، فكان لابُدّ من عزله حين تبيّن للأمويّين عدم إمكان ابتعاده عن الولاء لأهل البيت عليهم السلام بشتّىٰ وسائل الإغراء والترهيب.

وخلال هذه الفترة ظلّ أبو الأسود ملتزماً وفيّاً لولائه وتشيّعه، وحين تسمح له الفرص يحاول نشر معتقداته ودفع الشبهات التي يثيرها الخصوم، ويحاول مناقشتهم بما يملكه من قوّة بيان وسعة ثقافة وعمق في الفكر، ويعبّر عن ذلك بالنثر تارة وبالشعر أُخرىٰ وسنشير إلى أنّه خلال هذه الفترة ربّما استعمل التقيّة والمرونة مع معارضي أهل البيت عليهم السلام، وربّما حضر مجالسهم وبيوتهم، ولكن لم يتنازل بذلك عن عقيدته وولائه وسنشير إلى هذه الملاحظة التي تثير التساؤل في حياته.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٩٧.

(٢) كمال إبراهيم، مجلّة البلاغ، العدد العاشر، ص ٢٤.

وبعد ذلك «انقطع للعلم والفتيا وتبصير الناس في أُمور دينهم ودنياهم، وتعليم العربية ودقائقها والضوابط النحوية التي وضعها، وعقد مجلساً لذلك في جامع البصرة»[1] فكان يذهب إلى ذلك الجامع رغم كبر سنّه ومرضه «وانصرف إليه بعض الناس يتعلّمون»[2].

وهذه الفترة من حياته ـ كما يبدو من التاريخ ـ حافلة بالنشاط الفكري والثقافي بعد أن جُرّد من كلّ منصب سياسي، فواصل بحوثه النحوية والأدبية والدينية.

وخلال هذه الفترة كانت تدفعه الحاجة ـ أو أيّ سبب آخر ـ إلى أن يزور بعض الولاة، أو يخرج للتكسّب، كما زار خلالها معاوية وكانت له منزلة عنده ممّا حفز عمرو بن العاص ـ كما ينقل التاريخ ـ أن يحيك له مؤامرة يزرع من خلالها الشكوك حول عقيدته وولائه في ذهن معاوية ليبعده عن الشام، وهي حكاية طويلة سنذكرها في فصل لاحق.

**تشيّعه:**

صرّح بتشيّعه كل من كتب عنه، سواء من الشيعة أو من أهل السُنّة، ففي الإنباء: «وكان أبو الأسود من المتحقّقين بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) كمال إبراهيم، مجلّة البلاغ، العدد العاشر، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق.

طالب ومحبّته وصحبته ومحبة ولده»[1].

وقال أبو الفرج: «وكان من وجوه الشيعة»[2].

وقال الصدر: «وذكره علماء الشيعة في أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين وأثنوا عليه ثناءاً حسناً»[3]. وقال في تهذيب التهذيب ج١٢ ص١٣: «وكان شاعراً متشيعاً». وفي خزانة الادب ج١ ص١٣٦ «وكان من وجوه شيعته ـ أي الامام ـ» وفي طبقات الشعراء للجمحي ص ٣٩ «وكان علوي الرأي».

وقد ذكرنا خلال هذه الدراسة تصريح كثير من العلماء والمؤرّخين بتشيّعه، وهو لوضوحه لا يحتاج لدليل.

ولم يكن إيمانه بالتشيّع إيماناً ساذجاً أو تقليدياً، بل كان عن وعي وفهم للإسلام، وعن دراسة وتجربة، لذلك بقي ملتزماً به حتىٰ وفاته رغم التحدّيات التي واجهته في هذا السبيل.

ولعلّ إيمانه بالتشيّع بدأ منذ بداية إسلامه، وربّما أشار إلى ذلك في قوله عن محبته لأهل البيت عليهم السلام:

هوىً أعطيتُه لمّا استدارتْ ... رَحى الإسلامِ لَم يعدل سويّا

ويدلّ علىٰ إيمانه الواعي بالتشيّع تردّد كثير من المعتقدات والأفكار

(١) إنباه الرواة ١ / ٥٠.

(٢) الأغاني ١١ / ١٨٨، وتاريخ الاسلام للذهبي ج٥ / ص٢٧٦.

(٣) تأسيس الشيعة: ٤٦.

الشيعية في أحاديثه وشعره، ونحن نشير إلى بعضها:

١ ـ فكرة الوصاية: حيث يعتقد أنّ الرسول ﷺ أوصى بالخلافة للإمام علي عليه السلام من بعده، وهذه الفكرة تراها تتردّد على لسان أبي الأسود، فحينما سأله معاوية عن أصحاب النبي ﷺ حين اجتمع إليه في الشام «فأيّهم كان أوثق عنده؟ قال: من أوصى إليه من بعده»[1] وكذلك قوله في محبّته لأهل البيت عليهم السلام:

أُحبّ محمداً حبّاً شديداً ... وعبّاساً وحمزة و(الوصيّا)

ويقول في قصيدته التي رثى فيها أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه عليه السلام:

وكُنّا قبل مهلكه بخيرٍ ... نرى فيه وصيّ المسلمينا

وكذلك يعتقد بالفكرة الشيعية التي تقول بأنّ الإمامة والخلافة تكون بوصاية الإمام السابق للإمام اللاحق وتعيينه، فحين سمع بمقتل الإمام عليه السلام قام فخطب في البصرة، ودعا إلى بيعة الإمام الحسن عليه السلام كما ذكرناها سابقاً.

٢ ـ اعتقاده بأنّ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام طريق الخلاص والفوز بالنعيم الأُخروي.

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ / ١٠٥. ويشير بهذا البيت وغيره الى وصية رسول الله ﷺ بالخلافة من بعده للامام عليه السلام، وقد اكد الرسول ﷺ على خلافة الامام عليه السلام من بعده في مواقف كثيرة اشهرها في غدير خم، وحديث الغدير متواتر. يلاحظ الجزء الاول من الغدير فانه قد خصصه الشيخ الاميني لحديث الغدير، وذكر له مصادر كثيرة من اهل السنة، وانشد حسان بن ثابت في ذلك اليوم قصيدته التي منها:

فقال له قم يا علي فانني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

ويؤكّد هذا المعنىٰ في قصيدته التي رثى بها الإمام الحسن عليه السلام:

سأجعلُ نفسي لهم جُنَّةً فلا تكثري لي من اللائمه
أرجي بذلك حوضَ الرسولِ والفوز والنعمة الدائمه
لتهلكَ إنْ هلكتْ بَرّة وتخلُص إنْ خَلصَتْ غانمةْ

ويشير لهذا المعنىٰ في قوله حين سأله زياد عن حبّه لعلي بن أبي طالب فقال: «إنّ حبّ علي يزداد في قلبي كما يزداد حبّ معاوية في قلبك، فإنّي أُريد الله والدار الآخرة بحبّي علياً، وتريد الدنيا وزينتها بحبّك معاوية»(1).

٣ ـ أفضلية أهل البيت عليهم السلام: ويشير إلى هذا المعنىٰ في أحاديثه وشعره ومنها القصيدة التي رثىٰ بها الإمام علياً عليه السلام وقد ذكرناها، ومنها:

وَمن بعد النبيّ فخير نفسٍ أبو حسنٍ وخير الصالحينا
لَقد علمت (قريشٌ) حيث كانت بأنّك (خيرُهم) حسباً ودينا

ولعلّ في قوله: «لقد علمت قريش بأنك خيرهم» إشارة إلى الفكرة القائلة بأنّ الخلافة تختصّ في قريش، فيرشّح للخلافة أفضل شخص من

---

(1) روضات الجنّات ٤ / ١٦٩. ولعله يشير في الابيات المذكورة الى روايات كثيرة في هذا المعنىٰ منها: ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٤ ص٣٢١، (عن ام سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض». ونقل هذا الحديث كثيرون. يلاحظ مصادره في الغدير ج ٣ ص١٧٧، وقال صلى الله عليه وآله: «علي احبهم الي واحبهم إلى الله» تاريخ الخطيب ج ١ / ١٦٠. وقال صلى الله عليه وآله في الامام علي عليه السلام: «لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق» ذكرته مصادر كثيرة. راجع الغدير ٣ / ١٨٤.

قريش إسلامياً.

وهناك مؤشّرات من شعره تدلّ علىٰ تشيّعه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وبراءته من خصومهم:

فحول حديث سدّ النبي صلى الله عليه وآله الأبواب كلّها إلّا باب علي في مسجد الرسول والإذن لها بدخولها جنبين، ولعلّ فيها اشارة إلى العصمة، يقول:

هل أرض مسجده توطأ منهم من بعد ذاك سواهما جُنبانِ
إذ ذاك أذهب كلَّ رجس عنهم ربّي وطهّرهم من الأدرانِ
أتراك في شكّ له من أنّه للفضل خصّ بفتحه بابانِ[1]

وله يرثي امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام:

يا من بمقتله دهىٰ الدهر قد كان منك ومنهم أمر
زعموا قتلت وعندهم عذر كذبوا وقبرك ما لهم عذر
يا قبر سيدنا المجنّ سماحة صلىٰ عليك الله يا قبر
ما ضر قبراً أنت ساكنه ان لا يمر بارضه القطر

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٤٠، ويلاحظ حديث سد الابواب في مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٣٦٩، والغدير ٣ / ٢٠٢ حيث نقل مصادر كثيرة لهذا الحديث، ويشير في البيت الثاني الى آية التطهير ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت﴾ حيث نزلت في فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، ويدل على ذلك الكثير من الاحاديث في مختلف المصادر امثال تفسير الدر المنثور ٥ / ١٩٨، والمستدرك للحاكم ٣ / ١٤٦، وصحيح مسلم ٧ / ١٣٠، وغيرها، وهي تدل علىٰ عصمتهم. لاحظ في هذا المجال كتاب (الاصول العامة) للسيد محمد تقي الحكيم فانه بحث عن هذه الآية بحثاً قيماً ص١٤٩.

وإذا رقـــدت فـــانت مـــنتبه     وإذا انـــتبهت فـــوجهك البـــدر
وإذا غـــضبت تـــصدعت فـــرقاً     مـــنك الجبال وخـــافك الذعـــر
يا ســـاكن القبر السلام على     مـــن حـــال دون لقـــائه القبر
يـــا هـــاجري اذ جـئت زائـره     مـــا كـــان مـــن عـــاداتك الهجر
والله لو بك لم ادع احـــــــداً     إلّا قـــتلت لفـــاتني الوتـــر[1]

وقال يرثي الإمام الحسين عليه السلام ومن أصيب معه من بني هاشم:

أقـــولُ لعـــاذلتي مـــرّةً     وكـــانت عـــلى ودِّنـــا قـــائمه
إذا أنتِ لم تُـــبصري مـــا أرى     فـــبيني وأنتِ له صـــارمه
ألستِ تـــرين بـــني هـــاشمٍ     قـــد آفـــنتْهم الفـــئةُ الظـــالمه
فلو كنتِ راسخةً في الكتاب     وبـــالحربِ خـــابرةً عـــالمه
عـــلمتِ بأنّهـــم مـــعشرٌ     لهـــم ســـبقتْ لعـــنةٌ حـــاتمه
سأجـــعلُ نـــفسي لهـــم جُـــنّةً     فـــلا تكـــثري لي مـــن اللائمـــه
أُرجـــي بـــذلك حـــوضَ الرســـولِ     والفـــوزَ والنـــعمة الدائمـــه
لتهـــلكَ إنْ هـــلكتْ بَـــرّةً     وتخـــلص ان خـــلصت غـــانمه[2]

وتنسب هذه الأبيات لأبي الأسود في رثاء شهداء أهل البيت في كربلاء

ماذا تقولون إن قـــال النـــبيُّ لكـــم     مـــاذا فـــعلتم وأنـــتم آخـــرُ الأُمـــمِ
بـــعترتي وبأهـــلي بـــعد مـــفتقدي     منهم أُسارى ومنهم ضُرِّجوا بدمِ

---

(١) اعيان الشيعة ٧ / ٤٠٤.

(٢) إنباه الرواة ١ / ٥٤.

ان كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم    أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رَحِمي[1]

وقد نسبت هذه الأبيات لغيره أيضاً.

وعن التزامه بإمامة الإمام الحسن عليه السلام بعد أبيه يقول في رثاء الإمام علي عليه السلام:

فلا تشمتْ معاويةَ بنَ حربٍ    فإنَّ بقيّةَ الخلفاءِ فينا

وأجمعنا الإمارة عن تراض    إلى ابن نبيّنا وإلى أخينا

فلا نُعطي زمام الأمرِ فينا    سواهُ الدهرَ آخرَ ما بقينا

ويذكر عن الإمام عليه السلام أنه أول من أسلم، وقد ذُكر هذا الشعر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

وان علياً لكم مصحر    يمائله الاسد الاسود

أما إنّه أول العابدين    بمكّة والله لا يعبد[2]

وعن استعداده للتضحية في سبيل ولائه:

ولو أنا سُئلنا المال فيه    بذلنا المال فيه والبنينا

ويقول في رثاء شهداء كربلاء، وتظهر فيها بعض معتقداته، ويحرض فيها على الاخذ بثأره:

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ / ٢٦٢.

(٢) يشير في هذا البيت الى أن الامام عليه السلام هو اول من اسلم واول من آمن، وتدل على ذلك احاديث كثيرة. لاحظ كنز العمال ٦ / ١٣، والغدير ٣ / ٩٥، حيث ينقل مصادر اخرى وكذلك يلاحظ الغدير أيضاً ٣ / ٢٢٠.

يا ناعي الدين الذي ينعى التقى  قم وانعه والبيت ذا الأستارِ
ابني علي آل بيت محمدٍ  بالطفِّ تقتلهم جفاةُ نزارِ
سبحانَ ذي العرش العليِّ مكانه  انّى يُكابرُه ذوو الأوزارِ
ابني قشيرٍ إنني أدعوكم  للحقّ قبل ضلالةٍ وخسارِ
قودوا الجيادَ لنصرِ آلِ محمدٍ  ليكونَ سهمُكم مع الأنصارِ
كونوا لهم جُنناً وذودوا عنهمُ  أشياعَ كلِّ منافقٍ جبّارِ
وتقدموا في سهمكم من هاشمٍ  خيرِ البريةِ في كتابِ الباري(١)
بهمُ اهتديتم فاكفروا إن شئتم  وهمُ الخيارُ وهم بنو الأخيار

وفي هجائه لخصوم أهل البيت عليهم السلام يقول في ما فعله ابن زياد بالإمام الحسين عليه السلام(٢).

أقول وذاكَ من جزعٍ ووَجدٍ  أزالَ الله مُلك بني زيادِ
وأبعدَهُم بما غَدروا وخانوا  كما بَعُدت ثمود قوم عادِ

---

(١) يشير بذلك الى ان خير البرية في سورة البينة، هم علي عليه السلام واهل بيته وشيعته، ففي الدر المنثور عن جابر بن عبدالله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل علي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾ فكان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اقبل علي قالوا: جاء خير البرية. وفي المجمع عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿هم خير البرية﴾ قال: نزلت في علي واهل بيته، راجع تفسير الميزان ٢٠ / ٣٤١.

(٢) مروج الذهب ٣ / ٦٨.

ولا رجعت ركائبهم إليهم الى يوم القيامة والتنادِ

ومن شعره في بني أمية[1]:

صبغت أُميةُ بالدماء أكفنا وطوت أميةُ دوننا دنياها

وفي كتاب قاموس الرجال: وعن الزمخشري قال أبو الاسود:

امفندي في حب آل محمد حجر بفيك فدع ملامك أو زد

من لم يكن بحبهم متمسكاً فليعرفن بولادة لم ترشد[2]

ويشير بهذين البيتين الى احاديث عن الرسول ﷺ في هذا المعنى، وان حب اهل البيت عليهم السلام علامة على طيب الولادة وان بغضهم علامة رداءة الولادة. قال ﷺ في عترته: (لا يحبهم إلّا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقي الجد رديء الولادة)[3].

ونحن لو أردنا أن نستعرض أحاديثه وأشعاره التي تدلّ على مدى إيمانه ووعيه للتشيّع ونستعرض مدلولاتها لضاق بنا المجال، لذلك نكتفي بهذه الشواهد.

ونحن لا ندّعي بأنّ هذه الأفكار والمعتقدات الشيعية التي وردت على لسان أبي الأسود ـ وأمثاله ـ في تلك المرحلة قد بلغت المستوى الذي بلغته

---

(١) وفيات الأعيان ١ / ٥٣٨.

(٢) قاموس الرجال ٥ / ١٧٢، هكذا في المصدر واظن ان الصحيح عروضيا (من لم يكن بولائهم).

(٣) الرياض النظرة ٢ / ١٨٩، الغدير ٣ / ٢٦.

هذه الأفكار والمعتقدات اليوم من التطوّر والعمق بعد جهود أئمّتنا عليهم السلام والعلماء في تفسير هذه المعتقدات وتطويرها وتعميقها، ولكنّ هذا لا ينافي إيمانهم الصلب والقوي بمثل هذه المعتقدات، بحيث يستعدّون للتضحية في سبيلها بالمال والنفس والبنين.

## معاناته في سبيل عقيدته:

وقد جرّه ولاؤه لأهل البيت عليهم السلام كما هو شأن أتباع أهل البيت عليهم السلام في تلك المرحلة الزمنية إلى بعض المصاعب والتحدّيات، من الاضطهاد والإهانة والفقر، من قبل عشيرته أو من المجتمع أو من الحكّام، كما تعرّض للإغراء ووسائل الخداع من أجل حرفه عن ولائه.

### ١ ـ الاضطهاد:

فقد عانى الاضطهاد من أجل عقيدته.

أ ـ اضطهاد العشيرة: فهؤلاء بنو قشير، وهم أخواله وأصهاره: «وكان أبو الأسود نازلاً في بني قشير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أمّ عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من علي عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: أيّ جوار هذا؟! فيقولون له: لم نرمك، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك. فقال في ذلك:

يقولُ الأرذلون بنو قشيرٍ     طوال الدهرِ لا تنسى عليّا

فقلتُ لهم وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً عليّا
أُحب محمداً حبّاً شديداً ... وعبّاساً وحمزةَ والوصيّا
بني عمّ النبيّ وأقربيه ... أحبُّ الناس كلّهم إليّا
فإن يكُ حبُّهم رُشداً أُصبهُ ... ولستُ بمخطئٍ إن كان غيّا
هم أهلُ النصيحةِ غيرَ شكٍ ... وأهلُ مودّتي ما دمتُ حيّا
هوىً اعطيتُه لما استدارت ... رَحى الإسلامِ لَم يعدلْ سويّا
أُحبّهم لحبّ الله حتى ... أجيء إذا بُعثت على هُويّا
رأيتُ الله خالقَ كلّ شيءٍ ... هداهم واجتبى منهم نبيّا
ولم يَخصص بها أحداً سواهم ... هنيئاً ما اصطفاه لهم مريّا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول «فإن يك حبّهم رشداً أُصبه» فقال: أما سمعتم قول الله عزّوجلّ: ﴿وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ أفترى الله عزّوجلّ شك في نبيّه؟! وقد روي أنّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب»[1].

وفي وفيات الأعيان: «وكان ينزل البصرة في بني قشير، وكانوا يرجمونه بالليل لمحبّته علياً كرّم الله وجهه، فإذا ذكر رجمهم قالوا: إنّ الله يرجمك، فيقول لهم: تكذبون، لو رجمني الله لأصابني، ولكنّكم ترجمون ولا تصيبون»[2].

---

(١) الأغاني ١١ / ٢٢١، وإنباه الرواة ١ / ٥٢، وذكرها السيّد المرتضى في الأمالي ١ / ٢١٣.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٥٣٥.

إذاً فهم يضطهدونه لمذهبه.

ب ـ جفاء الأصدقاء: وكذلك لاقى جفاء الاصدقاء واضطهادهم بسبب عقيدته «قال المدائني: كان لأبي الأسود صديق يقال له الحرث بن خليد وكان في شرف من العطاء، فقال لأبي الأسود: ما يمنعك من طلب الديوان فإنّ فيه غنى وخيراً؛ فقال أبو الأسود: قد أغنانا الله عنه بالقناعة والتجمّل؛ فقال: كلّا ولكنّك تتركه إقامة على محبّة ابن أبي طالب وبغض هؤلاء القوم؛ وزاد الكلام بينهما، حتى أغلظ الحرث بن خليد، فهجره أبو الأسود»[1].

ج ـ اضطهاد الحكّام: «كان ابن عبّاس يكرم أبا الأسود الدّؤلي لمّا كان عاملاً لعلي بن أبي طالب ويقضي حوائجه، فلمّا ولي ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالبعليه السلام»[2].

وكذلك كان موقف زياد من أبي الأسود. يقول صاحب «الأغاني»: «فلمّا ادّعى معاوية زياداً وولاه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه، فربّما قضاها وربّما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب»[3].

وهناك رواية ربّما سلّطت بعض الضوء على موقف أبي الأسود بعد مقتل الإمامعليه السلام، وحول موقف حكّام عصره منه ذكرها ابن عساكر فقال: «قدم أبو الأسود على معاوية بعد مقتل علي رضي الله عنه، وقد استقامت لمعاوية

---

(١) الأغاني ١١ / ٢٢٣، و ٢٢٦.

(٢) الأغاني ١١ / ٢١٧.

(٣) الأغاني ١١ / ٢١٢.

البلاد، فأدنى مجلسه وأعظم جائزته، فحسده عمرو بن العاص، فقدم على معاوية واستأذن عليه في غير وقت الإذن فأذن له، فقال له معاوية: يا ابا عبدالله، ما أعجلك قبل وقت الإذن؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أتيتك لأمر قد أوجعني وأرّقني وغاظني، وهو من بعد ذلك نصيحة لأمير المؤمنين.

قال: وما ذاك يا عمرو؟!

قال: يا أمير المؤمنين، إنّ أبا الأسود رجل مفوّه، له عقل وأدب، من مثله الكلام يُذكر، وقد أذاع بمصرك من الذكر لعلي والبغض لعدوّه، وقد خشيت عليك أن يترى في ذلك حتى يؤخذ لعنقك، وقد رأيت أن ترسل إليه وترهبه وترعبه وتسبره وتخبره، فإنّك من مسألته على إحدى خبرتين، إمّا أن يبدي لك صفحته فتعرف مقالته، وإمّا أن يستقبلك فيقول ما ليس من رأيه، فيحتمل ذلك عنه، فيكون لك في ذلك عاقبة صلاح إن شاء الله تعالى.

فقال له معاوية: إنّي امرؤ والله لقلّما تركتُ رأياً لرأي امرئ قطّ إلّا كنت فيه بين أن أرى ما أكره وبين بين، ولكن إن أرسلتُ إليه فسألته، فخرج من مساءلتي بأمر لا أجد عليه مقدماً ويملأني غيظاً لمعرفتي بما يريد، وأنّ الأمر فيه أن يقبل ما أبدى من لفظه، فليس لنا أن نشرح عن صدره وندع ما وراء ذلك يذهب جانباً.

فقال عمرو: أنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفّين، وقد عرفت رأيي، ولست أرى خلافي، وما آلوك خيراً، فأرسل إليه ولا تفرش مهاد العجز

فتتّخذه وطيئاً.

فأرسل معاوية إلى أبي الأسود، فجاءه حتى دخل عليه فكان ثالثاً، فرحّب به معاوية، وقال: يا أبا الأسود، خلوت أنا وعمرو فتناجزنا في أصحاب محمد ﷺ، وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين.

قال: سل يا أمير المؤمنين عمّا بدا لك.

فقال: يا أبا الأسود، أيّهم كان أحبّ إلى الرسول ﷺ؟

فقال: أشدّهم كان حبّاً لرسول الله ﷺ، وأوقاهم له بنفسه.

فنظر معاوية إلى عمرو، وحرّك رأسه ثم تمادى في مسألته فقال: يا أبا الأسود، فأيّهم كان أفضلهم عندك؟

قال: أتقاهم لربّه، وأشدّهم خوفاً لدينه.

فاغتاظ معاوية على عمرو، ثم قال: يا أبا الأسود، فأيّهم كان أعلم؟

قال: أقولهم للصواب، وأفضلهم للخطاب.

قال: يا أبا الأسود، فأيّهم كان أشجع؟

قال: أعظمهم بلاء، وأحسنهم عناء، وأصبرهم على اللقاء.

قال: فأيّهم كان أوثق عنده؟

قال: من أوصى إليه فيما بعده.

قال: فأيّهم كان للنبي صدّيقاً؟

قال: أوّلهم به تصديقاً.

فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا جزاك الله خيراً، هل تستطيع أن تردّ

ممّا قال شيئاً؟!

فقال أبو الأسود: إنّي قد عرفت من أين أُتيت فهل تأذن لي فيه؟

فقال: نعم، فقل ما بدا لك.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الذي ترى هجا رسول الله بأبيات من الشعر، فقال رسول الله: اللّهمّ إنّي لا أُحسن أن أقول الشعر فالعن عمراً بكلّ بيت لعنة، أفتراه بعد هذا نائلاً فلاحاً أو مدركاً رباحاً؟! وايم الله إنّ امرأً لم يعرف إلّا بسهم أُجيل عليه فجال، لحقيق أن يكون كليل اللسان، ضعيف الجنان، مستشعراً للاستكانة، مقارناً للذلّ والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكرام أقعى، متعيّص لدينه لعظيم دينه، غير ناظر في أُبّهة الكرام، ولا منازع لهم، ثم لم يزل في دجنة ظلماء مع قلّة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، والمكر والخداع في النار.

فقال عمرو: يا أخا بني الدئل، والله إنّك لأنت الذليل العليل، ولولا ما تمت به من حسب كنانة لاختطفتك من حولك اختطاف الأجدل الحُدَيّة، غير أنّك بهم تطول، وبهم تصول، فلقد استطبق مع هذا لساناً قوالاً، سيصير عليك وبالاً، وايم الله إنّك لأعدى الناس لأمير المؤمنين قديماً وحديثاً، وما كنتَ قطّ بأشدّ عداوة له منك الساعة، وإنّك لتوالي عدوّه وتعادي وليّه، وتبغيه الغوائل، ولئن أطاعني ليقطعنّ عنه لسانك، وليخرجن من رأسك شيطانك، فأنت العدوّ المطرق له إطراق الأفعوان في أصل الشجرة.

فتكلم معاوية فقال: يا أبا الأسود، أغرقت في النزع ولم تدع رجعة لصلحك. وقال لعمرو: فلم تغرق كما أغرقت ولم تبلغ ما بلغت، غير أنّه كان منه الابتداء والاعتداء، والباغي أظلم، والثالث أحلم، فانصرفا عن هذا القول إلى غيره وقوما غير مطرودين.

فقام عمرو وهو يقول:

لعمري لقد أعيى القرون التي مضت    لغش ثوى بين الفؤادِ كمينِ

وقام أبو الأسود وهو يقول:

ألا إنّ عمراً رامَ ليث خفيّة    وكيف ينال الذئبُ ليثَ عرينِ

فانصرفا إلى منازلها، وذاع حديثهما في البلاد، فبينما أبو الأسود في بعض الطريق لقيه شاب من كلب يقال له كليب بن مالك، شديد البغض لعلي وأصحابه، شديد الحبّ لمعاوية وأصحابه، فقال له: يا أبا الأسود، أنت المنازع عمراً أمس بين يدي أمير المؤمنين؟ أما والله لو شهدتك لأعرقت جبينك. فقال له أبو الأسود: من أنت يابن أخي الذي بلغ خطرك كل هذا؟! وممّن أنت؟ قال: أنا ممّن لا ينكر، أنا امرؤ من قضاعة، ثم من كلب، ثم أنا كليب بن مالك. فقال أبو الأسود: أراك كلباً من كلب، ولا أرى للكلب شيئاً، إذا هو نبح أفضل من أن يقطع بأخسأ فأخسأ ثم اخسأ كلباً فانصرف وخلاه»(١).

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٧ / ١٠٤، وقد ذكرها الشيخ الأميني في الغدير ٢ / ١٤٦.

**الإغراء:**

وتعرّض أيضاً إلى أساليب الإغراء والخداع لحرفه عن ولائه، فقد ذكر في الروضات ـ وهي مذكورة في ربيع الأبرار ومحاضرات الراغب ـ: «بعث معاوية لأبي الاسود هدايا فيها حلوى، فنظرت إليها بنت أبي الأسود فقالت لأبيها: من أين هذه الهدية؟ فقال: بعث بها معاوية يخدعنا عن ديننا، فقالت:

أبالشهد المزعفر يابن هندٍ نبيع عليك أحسابا ودينا
معاذ الله كيف يكون هذا ومولانا أمير المؤمنينا[1]

وقد ذكرنا سابقاً محاولة معاوية خداع أبي الأسود بعد مقتل الإمام علي عليه السلام حيث أرسل إليه رسولاً يخبره أنّ الإمام الحسن عليه السلام صالحه ولكنّ أبا الأسود لم يخدع بذلك ولا بإغرائه بالمال من أجل التخلّي عن ولائه.

إذاً فلم يخضع أبو الأسود للإغراء كما لم يستسلم للاضطهاد، بل ظلّ موالياً لأهل البيت عليهم السلام ملتزماً بولائه حتى توفي.

**درجته في عقيدته:**

يذكر بعض مترجميه أنّه كان ذا دين، ويظهر من شعره أنه كان تقياً وملتزماً بالأحكام الدينية في أعماله، فيقول:

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم ذي القربى خلائق أربع

---

(١) روضات الجنات ٤ / ١٦٨.

حـياءٌ واسـلامٌ وتـقوى وأنـني كـريمٌ ومـثلي قـد يـضر ويـنفعُ

ويقول أيضاً:

فإنّي امـرؤ أخـشى إلهـي وأتّـقي معادي وقد جـرّبت مـالم تجـرّبِ

ويقول أيضاً:

تـوكّل وحمّـل أمـرك الله إنّما تراد به آتيك فاقنع بذي الفضل

ويقول أيضاً:

وإذا طلبت من الحـوائـج حـاجةً فـادع الإله وأحسـن الأعـمالا

فـليعطينك مـا أراد بـقدرةٍ فـهو اللـطيفُ لمـا أراد فـعالا

إنّ العـباد وشأنهـم وأمـورهم بـيد الإله يـقلّبُ الأحـوالا

وغيرها من أشعاره.

ولكن ربّما يؤخذ على أبي الأسود مواقفه من بعض حكّام عصره الّذين لا يؤمن بهم، حيث كان يزورهم ويحضر مجالسهم ويطلب بعض الحوائج منهم، ممّا لم يفعله أتباع أهل البيت المخلصين المضحّين الّذين كافحوا السلطات الحاكمة الجائرة بكلّ صلابة وثبات، وطاردتهم واستشهد أكثرهم آنذاك، حيث يذكر لأبي الأسود في التاريخ كثير من هذه الزيارات واللقاءات والحكايات، كما يذكر أمثال ذلك في كتاب «الأغاني» فكيف نفسّر ذلك؟

ربّما نفسّر ذلك بالتقية، أو عدم ارتفاع درجته لمستوى أُولئك الأفذاذ ولعلّه لذلك عُدّ ـ في كتب رجال الشيعة ـ من الممدوحين لا من الثقات

وربّما كانت هناك أسباب دفعته لمثل هذه المواقف، أمثال التعبير عن معتقدات أهل البيت عليهم السلام ومناقشة خصومهم، لذلك تجنّب أُسلوب العنف والشدّة، واستخدم أُسلوب المرونة ليبعد عنه الخطر والشبهات، وقد رأيناه في بعض لقاءاته ينشر معتقدات أهل البيت عليهم السلام ويناقش خصومهم، كحواره مع عمرو بن العاص في مجلس معاوية، وممّا يدلّ على ذلك أنه بقي ثابتاً على ولائه وعقيدته حتى آخر حياته لم ينحرف عنها رغم تعرّضه لأساليب الترهيب والإغراء في هذا السبيل، وكذلك حذر الحكّام منه، وعدم إسناد المناصب الحكومية له بالرغم من أنه كان يملك المؤهّلات لذلك(١).

وأما قيامه ببعض الأنشطة الثقافية والفكرية في ظلّ الحكومات الجائرة فهذا ممّا ليس فيه دعم لسلطانهم وجورهم، وإنّما كان فيه دعم للفكر الإسلامي والقرآن الكريم، كإعراب المصحف وتعليم النحو ونشره، ويدلّ على ذلك أقوال علمائنا في مدحه وأنّه من وجوه أتباع أهل البيت عليهم السلام وأعيانهم ومن أصحاب الأئمة عليهم السلام ممّا يدلّ على عدم تنازله عن عقيدته وولائه حتى آخر حياته.

وأمّا عدم مشاركته في الانتفاضات الشيعية آنذاك كثورة الإمام الحسين عليه السلام وحركات التّوابين، فالسبب في ذلك شيخوخته وإصابته بمرض الفالج الذي أقعده عن النهوض لذلك، وإلّا فإنّه كان قد شارك في معارك أمير

---

(١) ذكرنا بعض الشواهد على ذلك في موضوع: معاناته في سبيل عقيدته.

المؤمنين، وكان يعدّ من الفرسان، فلم يكن متهرباً من الواجب الديني لو كان مفروضاً عليه، وربّما كانت بعض هذه الحكايات كاذبة موضوعة يقصد بها تشويه سمعته، أو تطييب المجالس كما هو الشأن في الحكايات التي تنسب وتحاك حول كثيرٍ من ذوي الأهمّية.

فالحقّ أنّنا لا يمكن ان ننكر ثباته على ولائه لأهل البيت وعدم تنازله في عقيدته لإرادة الخصوم، ودفاعه عن ولائه، ويدلّ على ذلك مدح علمائنا له وثناؤهم عليه، وصحبته للأئمّة، والشواهد التي ذكرناها خلال هذه الدراسة.

ومما ذكرناه خلال دراستنا لولاء ابي الأسود لأهل البيت ومواقفه في هذا السبيل، وسيرته بعد شهادة الامام، يظهر عدم صحة ما ذكره الدكتور الدجني تعليقاً على الرواية التي ذكرناها وغيرها من الروايات التي دافع فيها أبو الاسود عن ولائه لأهل البيت ومبادئهم، قال: (وإذا تحققنا في هذه الروايات نجد ان الشك يحيط بها، وخاصة في الرواية التي فيها لقاء معاوية وابي الاسود مع عمرو بن العاص لانه لا يستطيع ابو الاسود مهاجمة معاوية في وجهه، او إظهار عداوة لصديقه عمرو بن العاص، وربما تم اللقاء ولم يكن على هذه الصورة، وجاء احد كتاب الشيعة وصاغها على هذه الشاكلة)[1]. ولكن الملاحظ ان غير الشيعة ذكروها في كتبهم كما ان غير ابي الاسود من الموالين للامام واجهوا معاوية امامه بأمثال هذه الاحاديث

---

(١) أبو الاسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص١٢٧.

كما يذكر ذلك المؤرخون، ثم قال الدكتور الدجني (واما الذي نستطيع قوله في هذا الشأن ان ابا الاسود ضعفت شخصيته في عهد بني امية وآله حكمهم ولكن اراد ان يعيش، وكان كبير السن، وفي عهد معاوية كان في العقد السابع من عمره)[1]. ولكن هذه تصورات من لم يدرك واقع الولاء والموالين الحقيقيين لأهل البيت، ولم يتعرف على حقيقة خصائصهم، ومبادئهم التي تمثل طريق الفلاح في الدنيا والآخرة، كما يعبر عن هذه المعرفة والولاء احاديث ابي الاسود وشعره ومواقفه، ولو كان يريد ان يعيش لاسندوا اليه المناصب، في مقابل التنازل عن مبادئه والانقياد لاساليبهم في محاربة اهل البيت، لما يعرفونه من كفاءاته، وخاصة بعد ان صار اكثر تجربة في الحياة، ولكنهم كانوا يخشونه لما كانوا يعرفونه عن ماضيه الجهادي والولائي، وعدم تنازله عن مبادئه وولائه، كما عبر عن هذه الحقيقة بعض الولاة لما كانوا يعلمونه من هواه لعلي بن ابي طالب وقد مر ذكره، وكذلك لو اراد ان يعيش لما كان يجهر بمبادئه في بعض المناسبات ومناقشة الخصوم والمخالفين، كما مر في بعض النصوص السابقة حين وفادته على معاوية، ولكن الظروف الارهابية والسلطات الجائرة، التي طاردت الموالين لاهل البيت بكل عنف، فرضت على الشيعة المخلصين ان يعيشوا هذه الحالة آنذاك دون التنازل عن مبادئهم وولائهم، ودون ان تخمد فيهم (روح التشيع) كما ذكره الكاتب، حتى تحين الفرصة المناسبة للوقوف بقوة بوجه الجاهلية بكل

---

(١) المصدر السابق.

ادرانها ومساوئها التي تحاول العودة الى الامة الاسلامية، كما ظهر ذلك فعلاً في ثورة الامام الحسين عليه السلام وحركات التوابين وسائر الانتفاضات الاخرى التي ادت الى الاطاحة بالحكم الاموي.

ومما يشهد لبقاء ابي الاسود على ولائه لأهل البيت عليهم السلام، واحتفاظه بتلك الدرجة من الولاء التي كان عليها سابقاً، في زمان خلافة الامام عليه السلام قصيدته التي نظمها في رثاء الامام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء، وقد نظمها في اواخر حياته، ويحرض فيها على الاخذ بثأره، وقد مر ذكرها.

**مجالات ثقافته:**

لمّا كان أبو الأسود يحمل مؤهّلات فكرية ونفسية، ويملك رغبة في المعرفة وحبّاً للاطّلاع والثقافة، إذاً فلابدّ أن يكون قد تعرف على المجالات الثقافية التي كانت متداولة في ذلك العصر، ونذكر هنا بعض هذه المجالات:

**القرآن الكريم:**

يعتبر القرآن الكريم من حيث قدسيّته وبلاغته وأحكامه من المجالات الثقافية للمسلم، لأنّه المصدر الأول للتشريع الإسلامي، فلا تكتمل ثقافة المسلم إلّا بالتعرف عليه، وهكذا تعرّف أبو الأسود المثقف المسلم على هذا المجال.

ولكن لتوجّه أبي الأسود للمجالات اللغوية والأدبية كان أكثر اهتماماً

بهذا الجانب من القرآن الكريم، من حيث المحافظة علىٰ قراءته وعدم اللحن فيه من الجوانب الأُخرى منه، ولو أنّ المحافظة على قراءته لها اتّصال وثيق بفهم معناه وتفسيره.

وقد ذكرنا سابقاً شيوخه في القراءة، وتلامذته.

وممّا يدلّنا على اهتمامه ومعرفته بهذا الجانب، الروايات التي تذكر السبب الذي دفعه لوضع النحو وتحريك القرآن الكريم، وأنّه كثيراً ما كان يلاحظ مدى شيوع اللحن، وخاصة في قراءة المصحف الشريف بين الناس فكان يتألم كثيراً «فقد سمع رجلاً يقرأ: ﴿إِنَّ اللهَ بريء من المشركين ورسوله﴾ بكسر اللام في (رسوله) فقال: لا أظنّ يسعني إلّا أن أضع شيئاً أُصلح به نحو هذا»[1].

وأفضل دليل علىٰ مدى ثقافته في هذا المجال، بل وإبداعه فيه تشكيله للقرآن الكريم بالنقط، وهي عملية تحتاج إلى كثير من التركيز الفكري، وإلى فصاحة لسان وسلامته، وإلى دراسة واعية للقرآن الكريم.

فهو بحق يعدّ من شيوخ القرّاء ونقلنا قراءته لدى بعض الشيوخ وتعليم القراءة لبعض الطلاب في فصل سابق.

**الرواية:**

ونتيجة لصحبة أبي الأسود للإمام عليه السلام ولغيره من الصحابة كان لابدّ أن

---

(١) إنباء الرواة ١ / ٥٠.

يروي عنهم بعض الروايات والأحاديث الشريفة التي تروى عن الرسول ﷺ، أو عن الإمام عليه السلام نفسه، أو عن سائر الصحابة.

وقد ذكرنا في موضع سابق طبقته وتقييمه في علم الرجال وأنّه من الممدوحين المعتبرين عند الشيعة وأهل السُنّة، وذكرنا من روى عنه أبو الأسود، ومن يروي عن أبي الأسود.

وقد ذكرت له روايات في مختلف الكتب، سواء في كتب الشيعة أو أهل السُنّة، فقد روى له البخاري ومسلم[1] وابن حنبل.

وفي مسند أحمد بن حنبل: «عن قتادة، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي الأسود الدؤلي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنّ رسول الله ﷺ قال في الرضيع: ينضح بول الغلام ويغسل بول الجارية»[2].

وفي الأغاني: «عن أبي الأسود، قال: خطب عمر بن الخطّاب الناس يوم الجمعة فقال: إنّ نبي الله قال: لا تزال طائفة من أُمّتي على الحقّ منصورة حتى يأتي أمر الله»[3].

وفي رياض العلماء (قد يروي ابو الأسود بعض الاخبار عن النبي ﷺ بالواسطة، وعن امير المؤمنين عليه السلام ومن بعده بلا واسطة، من ذلك ما رواه أبو بكر الخوارزمي في كتاب المناقب يرفعه بسنده الى ابي الاسود الدؤلي انه عاد

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: ١٧٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٩٧.

(٣) الأغاني ١١ / ١٠٢.

علياً عليه السلام في شكوىٰ اشتكاها، قال له: تخوفنا يا امير المؤمنين في شكواك هذه، فقال سلام الله عليه، لكنني والله ما تخوفت على نفسي، لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انك ستضرب ههنا ـ واشار الى رأسه ـ فيسيل دمها حتىٰ يخضب لحيتك ويكون صاحبها اشقاها كما كان عاقر الناقة اشقىٰ ثمود).

ورویٰ صاحب روضة الفضائل أيضاً باسناد يرفعه الى ابي الاسود الدؤلي عن عمه عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿فإما نذهبن بك فانا منهم منتقمون﴾ قال: (بعلي بن ابي طالب، بذلك اخبرني جبرئيل)[1].

ومنها ما رواه الشيخ الطوسي في مجالسه: «عن أبي حرب عن أبيه أبي الأسود أنّ رجلاً سأل امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن سؤال، فبادر فدخل في منزله ثم خرج فقال: أين السائل؟ فقال الرجل: ها أنا يا أمير المؤمنين، قال: ما مسألتك؟ قال: كيت وكيت، فأجابه عن سؤاله، فقيل: يا أمير المؤمنين، كنّا عهدناك إذا سئلت عن المسألة كنت فيها كالسكّة المحماة جواباً، فما بالك أبطأت اليوم عن جواب هذا الرجل حتىٰ دخلت الحجرة ثم خرجت فأجبته؟! فقال: كنت حاقناً، ولا رأي لثلاثة: لا رأي لحاقن، ولا حازق.

قال في البحار: الظاهر أنه سقط أحد الثلاثة من النساخ وهو الحاقب، والحاقن: هو الذي حبس بوله كالحاقب للغائط، أمّا الحازق فهو الذي ضاق

---

(١) رياض العلماء ٣ / ٤٢.

عليه خفّه فخرق رجله أي عصرها وضغطها.

قال أبو الأسود، ثم أنشأ عليه السلام يقول:

إذا المشكلاتُ تصدّين لي كشفتُ حقائقها بالنظر

إلى آخر القصيدة...»[1].

ويعتبر أبو الأسود من رواة حديث الكساء كما في احقاق الحق ج ٢، ص ٥٥١.

وفي سفينة البحار، نقلاً عن مكارم الأخلاق ـ للطبرسي ـ وروضة الواعظين ـ للشيخ الفتال النيسابوري ـ: «بسنده عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذرّ جندب بن جنادة رضي الله عنه، فحدّثني أبو ذرّ، قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام إلى جانبه، فاغتنمت خلوة المسجد فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي أوصني بوصيّة ينفعني الله بها، فقال: نعم، وأكرم بك يا أبا ذرّ، إنك منّا أهل البيت، وإنّي موصيك بوصيّة فاحفظها فإنّها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان.. يا أبا ذرّ، اعبد الله كأنّك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك...».

ويعلّق عليها القمّي في السفينة بقوله: «وهي وصيّة طويلة نافعة جداً، شرحها المجلسي صاحب البحار شرحا كبيراً سمّاه عين الحياة»[2].

---

(١) نقلا عن روضات الجنّات ٤ / ١٧٠.

(٢) سفينة البحار ١ / ٦٦٩، وتلاحظ الرواية بكاملها وهي طويلة في مكارم الأخلاق:

وروى الواقدي عن مالك بن أبي الرجال عن موسى بن ميسرة: أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذرّ لأسأله عن سبب خروجه، فنزلت الربذة، فقلت له: ألا تخبرني خرجت من المدينة طائعاً أم أُخرجت؟ فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم فأُخرجت الى المدينة، فقلت: أصحابي ودار هجرتي، فأُخرجت منها إلى ما ترى.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد، إذ مرّ بي رسول الله ﷺ فضربني برجله وقال: لا أراك نائماً في المسجد؛ قلت: بأبي أنت وأمّي، غلبتني عيني فنمت فيه؛ فقال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؛ قلت: اذاً ألحق بالشام، فإنّها أرض مقدّسة وأرض بقيّة الإسلام وارض الجهاد؛ فقال: كيف تصنع إذ أخرجوك منها؛ قلت: أرجع إلى المسجد؛ فقال: كيف إذا أخرجوك منه؛ قلت: آخذ سيفي فأضرب به؛ فقال ﷺ: ألا أدلّك على خير من ذلك، انسَقْ معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأُطيع ....»[1].

اخرج احمد في مسنده من طريق ابي الاسود الدؤلي انه قال: رأيت اصحاب النبي ﷺ فما رأيت لابي ذر شبيها[2].

وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد.

---

٤٥٨.

(١) دلائل الصدق ٣ / ١٧٦، الغدير ج٨ ص٣٠٧، وج٨ ص٣١٨، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١ ص٢٤١ ومسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٥٦، وعلق الغدير عليها (والاسناد صحيح رجاله كلهم ثقات) ثم يذكر اسماء رجاله.

(٢) مسند احمد بن حنبل ٥ / ١٨١، مجمع الزوائد ٩ / ٣٣١، الغدير ٨ / ٣١٦.

وفي شرح نهج البلاغة: «قرأت في أمالي ابن دريد، قال: أخبرنا الجرموزي، عن ابن المهلّبي، عن ابن الكلبي، عن شدّاد بن إبراهيم، عن عبيد الله بن الحسن العنبري، عن ابن عرادة، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعشّي الناس في شهر رمضان باللحم، ولا يتعشّى معهم، فإذا فرغوا خطبهم ووعظهم، فأفاضوا ليلة في الشعراء، وهم على عشائهم.

فلمّا فرغوا خطبهم عليه السلام وقال في خطبته: اعلموا أنّ ملاك أمركم الدين، وعصمتكم التقوى، وزينتكم الأدب، وحصون أعراضكم الحلم.

ثم قال: قل يا أبا الأسود فيم كنتم تفيضون فيه، أيّ الشعراء أشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافع ركني أعوجيٌّ ذو ميعة اخريجُ
مخلط مزيل معن مفن منفح مطرح سبوح خروجُ

يعني أبا داود الإيادي.

فقال عليه السلام: ليس به.

قالوا: فمن يا أمير المؤمنين.

فقال: لو رفعت للقوم غاية فجروا إليها معاً علمنا من السابق منهم، ولكن إنْ يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة.

قيل: من هو يا أمير المؤمنين؟

قال: هو الملك الضليل ذو القروح.

قيل: امرؤ القيس يا أمير المؤمنين؟

قال: هو.

قيل: فأخبرنا عن ليلة القدر؟

قال: ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشكّ أنّ الله إنما يسترها عنكم نظراً لكم، لأنّه لو أعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها، وأرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله، انهضوا رحمكم الله»[1].

**اللغة:**

لم تكن الثقافة اللغوية آنذاك تحتاج إلى دراسة عند أساتذة معيّنين، بل يكفي للإنسان أن يملك رغبة في المعرفة ونضجاً في الوعي والفكر ليمتلك من خلالها ثروة لغوية، وذلك من خلال تجاربه واطّلاعه على مجالات اللغة آنذاك من الشعر أو النثر وأحاديث الناس وأخبارهم، وكان أبو الأسود ـ كما رأينا ـ يحمل هذه المؤهّلات والملكات الشخصية. لذلك امتلك هذه الثروة اللغوية، كما يظهر ذلك في شعره ونثره وأعماله.

يقول في مراتب النحويين: «وكان ـ أبو الأسود ـ أعلم الناس بكلام العرب، وزعموا أنّه كان يجيب في كلّ اللغة»[2] وهناك أحاديث تنقل عنه، تدلّنا على مدى معرفته اللغوية. يقول السيوطي في المزهر: (ومما يدل على صحة هذا ـ أي انه اعلم الناس بكلام العرب ـ عن الاصمعي قال: كان غلام

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ / ١٥٣.

(٢) مراتب النحويّين: ٩، والمزهر ٢ / ٣٩٧.

يطيف بابي الاسود الدؤلي يتعلم منه النحو فقال له يوماً: ما فعل ابوك قال: اخذته حميٰ، فضخته فضخاً وطبخته طبخاً وفتحته فتحاً فتركته فرخاً، قال: فما فعلت امرأة ابيك التي كانت تشارّه وتجاره وتضاره وتزاره، وتهاره وتماره؟

قال: طلقها وتزوج غيرها فحظيت عنده ورضيت ونظيت.

قال: وما نظيت يا بن أخي؟ قال: حرف من العربية لم يبلغك، قال: لا خير فيما لم يبلغني منها)[١].

فينقل السيرافي: «قيل لأبي الأسود الدئلي: أتعرف فلاناً؟ قال: لا، فإنّه يتسارع في أطماعكم، ويتثاقل عن حوائجكم، ولكن أعرف فلاناً، فإنّه الأهيس الملد المجلس، إن اعطىٰ انتهز، وإن سئل أرز»[٢].

ولو نظرنا إلى شعره لرأينا وجود بعض الكلمات الغريبة، التي لا يعرفها إلاّ من له باع واسع في اللغة، أمثال:

ولا بسبس كالعنز اصول رسلها ورمّانها بومان ثم تزولُ
ولست كهزم الليل تسمع هزمه وتحت الحسفيف حاضر ومحولُ

إلى غيرها من الشواهد، إضافة لأقوال العلماء في حقّه.

(١) المزهر ج ٢ / ٣٩٧.

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ١٥.

**الشعر:**

ذكر مترجموه أنّه من الشعراء، بل من الشعراء الجيدين، فيقول عنه يحيىٰ ابن البطريق الحلي في كتابه «عمدة عيون الصحاح»: «من الطبقة الأُولىٰ من شعراء الإسلام»[1] ويقول عنه الجاحظ: «كان معدوداً في الشعراء»[2] أو: «وله شعر حسن»[3] أو: «وكان شاعراً مجيداً»[4] وفي الأعلام ـ للزركلي ـ: «وله شعر جيّد»[5].

(في ادب الطف): (ذكره المرزباني في شعراء الشيعة: وكان شاعراً مجيداً)[6].

وقال عنه ابن شهر اشوب (انه من الشعراء المقتصدين)[7] وقد فسرنا مراده من مصطلح المقتصدين في كتابنا حول الشاعر العبدي.

وقال عنه الآمدي (كان شاعراً متقن المعاني)[8].

---

(١) كتاب العمدة: ص ١٠.

(٢) الأغاني: ١١ / ٢٠٠.

(٣) أُسد الغابة ٣ / ٧٠.

(٤) شذرات الذهب ١ / ١١٤، والمعارف لابن قتيبة: ٢٤٧.

(٥) الأعلام ٣ / ٢٣٦.

(٦) ادب الطف ١ / ١٠٣.

(٧) معالم العلماء ص ١٥٠.

(٨) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٥١.

وقال عنه الجاحظ ايضاً (قد جمع جودة اللسان وقول الشعر)[١].

وغيرها من التعابير التي وصفوه بها.

والشعر آنذاك كان من معالم الثقافة وواجهاتها، لذلك طرقه أبو الأسود كما طرق غيره من مجالات الثقافة، وخاصة المرتبطة بثقافته اللغوية والأدبية، ولكن لأجل انصرافه إلى غيره من المجالات الثقافية وغيرها أو لغيره من الأسباب لم يكثر من نظم الشعر، ولم يرتفع في مستواه الفنيّ إلى مستوىٰ الشعراء الكبار آنذاك الّذين تفرّغوا للشعر.

ولكنّ بعض المعاصرين من المستشرقين وغيرهم استهانوا بشعره، وأسقطوه من الاعتبار، ففي دائرة المعارف الإسلامية: «ولقد أمدّه مقتل علي بمادّة جديدة للرثاء، وفي قصيدة له نظمها وهو لا يزال متأثراً بوقوع هذا الحادث اتّهم الأمويّين بأنّهم كانوا المحرّضين على قتل علي، وأشعاره عدا هذه القصيدة لا قيمة لها»[٢].

ويقول نولدكه ـ المستشرق الألماني ـ: «وبصورة عامة فإنّ شعره ضعيف من ناحية المعنىٰ ومن ناحية القيمة الشعرية»[٣].

وذكره كارل بروكلمان من الشعراء المخضرمين، وقال عن شعره: (ليس على مستوىٰ رفيع من الوجهة الفنية كما انه لا يقدم غنماً تاريخياً جديراً

---

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٨٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ١ / ٣٠٧.

(٣) عن مقدّمة ديوان أبي الأسود: ٧٠.

بالذكر في احوال عصره»[1].

وتبعهم على ذلك الدجيلي حيث يقول: «فشعره ليس في حدّ ذاتـه ذو قيمة، فهو لم يعطنا الحقائق التاريخية لذلك الزمن المليء بالاحداث والتغيّر والتقلّبات»[2].

ويقول عنه الدكتور الدجني: (في الواقع انني اتفق مع ما حكم به الكتاب على قيمة شعر أبي الاسود الدؤلي، فشعره في حد ذاته لا قيمة له من الناحية الفنية والتاريخية معاً)[3].

وقد ذكرنا أنّ شعره لا يرتفع في مستواه الفنّي للقمم الشعرية لما ذكرناه من أسباب، كما أنّ مترجميه لم يغالوا في وصف شعره كما بـالغوا في وصـف غيره، ولكن وصفوه بأنّه شاعر، بل له شعر حسن، كما استشهدوا بشعره في كتبهم، وتقييمهم لا يصدر عـبثاً، لأنّهـم كـانوا يحسّـون بـالشعر الجـيّد ويستطيعون تمييزه عن الرديء، كما لم يصدر تقييمهم عبثاً في حقّ غيره من الشعراء، إذ كان تلك الأُسس التي يرتكز عليها الشعر الجيد، مـن: ثـروة لغوية، وثقافة أدبية، واطّلاع على شعر العرب، ومواهب ذاتية، كانت هذه وغيرها متوفّرة فيه، ولعلّه لو كان يتفرّغ لقول الشعر لارتفع مستواه، ولكنّ هذا لا يسلب من شعره القيمة الفنّية التي يلاحظها من قرأ شعره ولو على

---

(١) تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان ص ١٧١.

(٢) مقدّمة ديوان أبي الأسود: ٧٠.

(٣) ابو الاسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص ٢٥٤.

المستوىٰ المتوسّط، مع التأكيد على هذه الملاحظة: بأنّ الثروة اللغوية والأدبية وحدها لا تكفي في صنع الشعر الرفيع والجيّد إذا لم تدعمها موهبة شعرية وفنّية ذاتية تدفع الشاعر إلى انتقاء الألفاظ والصور الشعرية المؤثّرة، ولا ندّعي أنّ أبا الأسود كان يملك تلك الموهبة الكبيرة التي ترفعه إلى مستوىٰ القمم الشعرية الّذين لا يلمعون إلاّ في بعض فترات الدهر، ولعلّ سبب ذلك عدم تفرّغه للشعر، وتوجّهه إلى سائر المجالات الثقافية والعلمية والعملية ولاختلاف مزاج الأفراد وطبيعتهم وتكوّنهم لاختلاف عوامل الوراثة والمحيط التي لها دورها في شخصيّتهم.

وهؤلاء المعاصرون نراهم يعتبرون مقياس الشعر الجيّد أن يكون معبّراً عن قضايا عصره، ويؤرّخ حوادثه، ولكنّ هناك الكثير ممّن لم يؤرّخوا حوادث عصرهم وقد اعتبرهم نقّاد الشعر من فحول الشعراء لتوفّر القيمة الفنّية في شعرهم وإنْ لم يكن فاعلاً.

بالإضافة إلى ذلك، فما ذكروه من عدم اهتمام أبي الأسود بقضايا عصره ليس صحيحاً، فإنّ أبا الأسود كما نظم شعراً ذاتياً، لا يهتمّ فيه بأحداث عصره، كذلك نظم شعراً نلاحظ فيه اهتمامه بأحداث ذلك العصر، كشعره الولائي.

فإذا كان مقياس الشعر الجيّد هو تعبيره عن قضايا عصره، وتوجيهه الناس إلى سبيل الخير والكمال والمبادئ السامية، فإن شعر أبي الأسود اهتمّ بهذا الجانب أيضاً، فقد كافح في شعره مساوئ عصره وحكّام الجور، ودعا

إلى الخير وولاء أهل البيت عليهم السلام ونهجهم، وإلى الصفات النبيلة، والتجنّب عن الرذائل، فله قصائد في رثاء أئمّة أهل البيت والدفاع عن مبادئهم عليهم السلام وهجاء بني أُميّة في مواقفهم، وشعره في الحكمة والموعظة مشهور تتناقله الكتب والألسنة. ألا يعتبر هذا اهتماماً بقضايا العصر، وإن لم يكن اهتماماً كبيراً لما ذكرناه من قلّة اهتمامه بالشعر؟! والدليل على ذلك ما تتناقله الألسنة والكتب من شعره، وخاصة في الحكمة وأهل البيت عليهم السلام لما يملكه من تأثير أدبي ومعنوي، وإلاّ لو كان ضعيفاً لأهملوه، أو أنّه يشير في بعضه إلى حادثة وقعت في عصره لذلك يُستشهد به، بالإضافة إلى ثناء مترجميه على شعره.

إذاً فشعره كثيراً ما عبّر عن معتقداته وتجاربه في الحياة، وشعره في النصيحة والحكمة والتقوىٰ يدلّ بوضوح على أنّه إنسان عرك الحياة، كما عبّر في بعض شعره عن عقيدته وولائه والتزامه الإسلامي خير تعبير، وعبّر عن بعض قضايا عصره، ولعلّ التعبير عن ولائه لأهل البيت عليهم السلام هو الذي أساء ظنّ البعض به فرمي شعره بالضعف وفقدان القيمة.

فكان أبو الأسود يملك مؤهّلات الشاعر الكبير، ولكن لقلّة ممارسته للشعر وانصرافه الى غيره من المجالات وغيرها من أسباب دعت إلى أن يكون شعره بهذا المستوىٰ، ولكن لا يعني ذلك انخفاضه إلى مستوىٰ الشعر الرديء، فهذا غير صحيح، لأنّنا نرىٰ في بعض شعره شعراً يرتفع إلى مستوىٰ الشعر الجيّد كالقصيدة التالية، التي استشهد بها كلّها ـ أو بعض أبياتها ـ في

الكثير من كتب الأخلاق والموعظة، لذلك نذكرها كلّها هنا، لتعبّر عن مدى قدرته الشعرية، وعن عقله وحكمته وتجربته في الحياة، ففي ادب الطف حول هذه القصيدة (ومن شعر أبي الاسود مشيراً الى امير المؤمنين عليه السلام)[1]:

حسدوا الفتىٰ إذ لم ينالوا سعيه　　فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ
كضرائرِ الحَسناءِ قلنَ لوجهها　　حسداً وبغياً إنّه لدميمُ
والوجهُ يشرقُ في الظلامِ كأنّه　　بدرٌ منيرٌ والسماءُ نُجومُ
وكذاكَ مَن عَظُمتْ عليهِ نعمةٌ　　حُسادُه سَيفٌ عليهِ صَرومُ
فاتركْ مُجاراة السَفيهِ فإنّها　　نَدَمٌ وَغبٌّ بعدَ ذاكَ وخيمُ
وإذا جَرَيْتَ مع السفيهِ وَلُمْتَهُ　　في مثلِ ما يأتي فأنْتَ ظَلومُ
يا أيّها الرجلُ المعلّمُ غَيْرَهُ　　هَلّا لِنفسِكَ كانَ ذا التعليمُ
لاتَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مِثلَهُ　　عار عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأ بنفسِكَ وانْهها عن غَيّها　　فإذا انتهتْ عَنهُ فأنتَ حَكيمُ
فهناكَ يُقْبَلُ ما وَعَظْتَ ويُقْتَدىٰ　　بالرأي منكَ وينفعُ التعليمُ
تَصِفُ الدواء وأنتَ أوْلى بالدوا　　وتعالجُ المرضىٰ وأنتَ سَقيمُ
وكذاكَ تُلقحُ بالرشادِ عقولَنا　　أبداً وأنتَ عن الرشادِ عَقيمُ
وَيلَ الشجي من الخليّ فإنّه　　نصب الغواةِ بشَجْوهِ مَغمومُ
وترى الخليّ قريرَ عينٍ لاهياً　　وعلى الشجيّ كآبةٌ وهُمومُ

---

(١) ادب الطف ج ١ ص ١٠٣.

ويقولُ مالَكَ لا تقولُ مَقالتي ولسانُ ذا طَلِقٌ وذا مَكْظومُ
لا تَكْلِمن عرض ابن عمك ظالماً فإذا فعلت فعرضك المكلومُ
وَحَريمُه أيضاً حريمُكَ فاحْمِهِ كيلا يُباحَ لَدَيْكَ مِنهُ حَريمُ
وإذا اقْتَضَضْتَ مِنِ ابنِ عَمِّكَ كلمةً فكلامُه لَكَ إنْ فَعَلْتَ كُلُومُ
وإذا طَلبتَ إلى كريمٍ حاجةً فلقاؤه يَكْفيكَ والتسليمُ
فإذا رآكَ مُسلِّماً ذكَرَ الذي حمّلتَهُ فكأنّه محتومُ
فارْجُ الكريمَ وإنْ رأيتَ جفاءَهُ فالعتبُ مِنهُ والفِعالُ كَريمُ
وَعَجِبْتُ للدُّنيا وَرَغْبةِ أهلِها والرِّزْقُ فيما بَينهُمْ مَقْسومُ
والأحْمَقُ المرزوقُ أحمقُ مَن أرىٰ مِنْ أهلِها والعاقلُ المحرُومُ
ثم انقضىٰ عَجبي لِعلمي أنّه قَدَرٌ موافٍ وقتُه معلومُ[1]

وهكذا ترىٰ هذه القصيدة ـ وغيرها من شعره ـ حافلةً بالحكمة والموعظة التي تعبّر عن تجاربه في الحياة وعقله، وهذا شعر فاعل مؤثّر في النفوس يدفعها إلى الخير والكمال، لذلك استشهد بها وبغيرها من شعره في مختلف الكتب.

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ومما يستجاد من شعره:

---

(١) أعيان الشيعة: ٧ / ٢٠٤.

اذا كـنت مـظلوماً فـلا تُـلف ظـالماً

عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب[1]

وقال:

تـعودت مس الضر حـتىٰ ألفـته    وأسلمني طول البلاء الى الصـبر

ووسّع صدري للاذىٰ كثرة الاذىٰ    وكان قديماً قد يضيق به صدري

اذا انا لم اقبل من الدهـر كـل مـا    ألاقيه منه طال عتبي على الدهـر

وهذا الشعر يعبر عن خبرته في الحياة، وقدرته الشعرية وان بعض ابياته الشعرية يصلح ان يكون امثالاً سائرة يتمثل بها الناس عبر العصور، حيث تدل على قدرة الشاعر على الملاحظة الدقـيقة للـنفس الانسـانية، ومـا يصلحها أو يضرها بحسب رأيه، ولعل أكثر شعره يحمل هذه الميزة.

والملاحظ ان بعض من تأخر عنه من الشعراء، قد اقتبس بعض الصور والمعاني من شعر أبي الاسود، كما هو الملاحظ في بعض ابيات قصيدته الميمية أو هذا البيت لابي الاسود (وما طلب المعيشة بالتمني..) فلعله يشابه هـذا البيت (وما نيل المعالي بالتمني) وكذلك هذا البيت لابي الاسود:

ترىٰ الرجـل النـحيف فـتزدريه    وفي اثـــوابـه رجـل مـرير

ولعله يشابه هذا البيت لكثير عزة:

ترىٰ الرجـل النـحيف فـتزدريه    وفي اثـــوابـه اسـد هـصور

---

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٦١٦، وقد نقلنا الابيات سابقاً.

والملاحظ في شعر أبي الأسود تأثره بالآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو أقوال أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكرنا سابقاً حول حديث سدّ الأبواب، كذلك تضمّن شعره مفهوم هذه الآية الشريفة: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾ حيث قال:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم(١)

وكذلك الحديث الشريف: «سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الغنىٰ، فقال: اليأس عمّا في أيدي الناس، ومن مشىٰ منكم إلى طمع الدنيا فليمش رويداً» وقال أبو الأسود:

البس عدوّك في رفق وفي دعةٍ
طوبىٰ لذي أربة للدهر لباسِ
ولا تغرّنّك أحقادٌ مزمّلةٌ
قد يركب الدبر الدامي بأحلاس
واستغنِ عن كلّ ذي قربىٰ وذي رحمٍ
إنّ الغني الذي استغنىٰ عن الناس(٢)

(١) شرح نهج البلاغة: ٧ / ١٦٨.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٨٥.

إلى غيرها من الأبيات التي تدلّ على ذلك يلاحظها القارئ في شعره.

وقد نظم أبو الأسود في مختلف الأغراض الشعرية منها:

١ ـ الشعر الذي يعبّر عن ولائه لاهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ الإخوانيات.

٣ ـ ذمّ الزمان، وتصوير جفاء الأصدقاء.

٤ ـ الحكمة والنصيحة أو الموعظة.

٥ ـ الغزل والظرف.

٦ ـ الرثاء والمدح.

وقد قام بإخراج ديوانه كلٌّ من الأُستاذ عبد الكريم الدجيلي بعد أن حقّقه وقدّم له بمقدّمة قيّمة تعرّضنا الى بعض محتوياتها في هذه الدراسة، والشيخ محمد حسن آل ياسين بعد تحقيقه أيضاً.

## الأمثال والحكم:

نقلت عن أبي الأسود حكم وأقوال جرى بعضها مجرى الأمثال السائرة، وبعضها في الحكمة والموعظة، وردّدتها الكتب والألسنة لما تتضمّنه من معانٍ مؤثّرة فاعلة ومن تعبير أدبي قويّ ومن التفاتة بارعة، ولا غرابة في ذلك بعد وصف مترجميه له بالمواهب التي يملكها ـ كما تقدّم ذكر بعضها ـ ويقول عنه السيّد المرتضى: «وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيّد الكلام مليح

البادرة»[1] لذلك حفظت بعض أحاديثه وشعره الصدور وبطون الكتب، ففي أُسد الغابة عن أبي الأسود: «وكلامه كثير الحكم والأمثال»[2] ونذكر هنا بعض احاديثه في هذا المجال.

منها أنّه «كان له بالبصرة دار، وله جار يتأذّى منه كل وقت فباع الدار فقيل له، بعت دارك؟ فقال: بل بعت جاري، فأرسلها مثلاً»[3] وذكرها في «الأغاني» بهذه العبارة: «لم أبع داري، ولكن بعت جاري، فأرسلها مثلاً»[4].

«وقال السيّد الأجل السيّد علي خان في (أنوار الربيع) في ذكر أمثال الحكمة: منها قول أبي الأسود الدؤلي لابنه بعد أن قال له: يا بُني إذا كنت في قوم فحدّثهم على قدر سنّك، وفاوضهم على قدر محلّك؛ لا تتكلّمن بكلام من هو فوقك فيستثقلوك، ولا تنحط إلى من دونك فيحتقروك، فإذا وسّع الله عليك فابسط، وإذا أمسك عليك فأمسك، ولا تجاود الله فإنّ الله أجود منك، واعلم أنّه لا شيء كالاقتصاد، ولا معيشة كالتوسّط، ولا عزّ كالعلم، إنّ الملوك حكّام الناس، والعلماء حكّام الملوك»[5].

---

(١) أمالي السيّد المرتضى: ١ / ٢١٢.

(٢) أسد الغابة: ٣ / ٧٠.

(٣) مرآة الجنان لليافعي ١ / ٢٠٥.

(٤) الأغاني: ١١ / ٢١٨.

(٥) سفينة البحار: ١ / ٦٧٠.

«ودخل أبو الأسود يوماً على عبيد بن أبي بكرة ـ وقيل على المنذر بن جارود ـ وعليه جبّة رثّة كان يكثر لبسها فقال: يا أبا الأسود، أما تملّ لبس هذه الجبة؟ فقال: ربّ مملوك لا يستطاع فراقه»(١).

والملاحظ ان الكثير من الكتب، وخاصة كتب الاخلاق والحكمة تستشهد بابيات من شعر أبي الاسود، أو بعض احاديثه، فمن الحكم الاخلاقية مخالفة أتباع الباطل في الرأي، أو الخاضعين للاهواء والفتنة.

(ولما وقعت الفتنة بالبصرة ايام ابن الزبير مر أبو الاسود الدؤلي على مجلس بني قشير ـ وكانوا عثمانية ـ فقال: يا بني قشير على ماذا اجتمع رايكم في هذه السنة؟ قالوا: ولِمَ تسألنا يا أبا الاسود؟ قال: لأخالفنه، فان الله لا يجمعكم على هدى)(٢).

ولكن ابا الاسود يحث على مشورة اللبيب الودود والاخذ برأيه، قال في ذلك:

أمنت على الرأي امرءاً غير حازم ... ولكنه والنصح غير مريب
اشاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نار اوقدت بشبوب
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عند واحد ... فحق له من طاعة بنصيب(٣)

---

(١) مرآة الجنان: ١ / ٢٠٥.

(٢) آداب النفس: ١ / ٢٠.

(٣) آداب النفس: ١ / ٢٣، الاغاني ١١ / ١٠٥، المستطرف ١ / ٧٢.

وفي الاغاني (قال غريض: قال شيخ العلم وفقيه الناس وصاحب علي عليه السلام وخليفة ابن عباس على البصرة ـ أبو الاسود ـ لابنته ليلة البناء: ان اطيب الطيب الماء، واحسن الحسن الدهن، واحلى الحلاوة الكحل، لا تكثري مباشرة زوجك فيملّك، ولا تباعدي فيجفوك ويعتل عليك، وكوني كما قلت لامك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب[1]

كما أنّ بعض أبياته الشعرية تعتبر من الأمثال السائرة بين الناس كبعض أبيات قصيدته الميمية التي ذكرناها آنفاً.

---

(١) الاغاني: ٨ / ١٣٤ (طبعة بولاق) نقلاً عن قاموس الرجال ٥ / ٥٨٢.

# الباب الثاني

ونبحث في هذا الباب عن وضع النحو العربي، وصلة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي الاسود الدؤلي بوضع النحو العربي واستعراض مختلف الادلة التي تثبت هذه النسبة واعتراضات المعترضين ومناقشتها، ونبحث كذلك في هذا الباب عن بحوث أُخرىٰ لها علاقتها بهذا الموضوع.

## عرض الروايات

نستطيع تقسيم الروايات التي تدلنا علىٰ بداية وضع النحو العربي وعلىٰ واضعه، وعلىٰ سبب وضعه الىٰ قسمين، وسوف نذكر هنا نماذج لكل قسم، وهناك روايات يلاحظها القارئ في مختلف الكتب، وسوف نذكر روايات أُخرىٰ خلال هذه الدراسة.

## القسم الأول:

وهي الروايات التي تؤكّد على أنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي وضع النحو ومنها:

١ ـ قال القفطي: «الجمهور من أهل الرواية على أنّ أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. قال أبو الأسود: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكّراً. قلت: فيم تفكّر يا أمير المؤمنين ؟ قال: سمعت ببلدكم لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أُصول العربية، ثمّ أتيته بعد أيام فألقى إليَّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل، ثمّ قال: «تتبّعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم أنّ الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولامضمر، وإنّما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر»[1].

وفي الإنباء أيضاً رواية عن أبي الأسود، قال: «دخلت على أمير المؤمنين فأخرج لي رقعة فيها: (الكلام كلّه اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) فقلت: ما

(١) إنباء الرواة: تاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ص ٢٧٧ ، وفيه بعد قوله: (وزد فيه ما وقع لك): فجمعت أشياء، ثمّ عرضتها عليه.

دعاك إلى هذا؟ قال: رأيت فساداً في كلام بعض اهلي فأحببت أن أرسم رسماً يُعرف به الصواب من الخطأ، فأخذ أبو الأسود النحو من علي ولم يظهره»[1].

وفي الإنباء أيضاً ـ ولعلّها ملحقة بالرواية السابقة ـ: «انّ زياداً سمع بشيء عند أبي الأسود ورأى اللحن قد فشا فقال لأبي الأسود: أظهر ما عندك للناس ليكون إماماً، فامتنع عن ذلك...»[2].

٢ ـ وذكر السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة: «قال ركن الدين علي بن أبي بكر الحديثي في كتاب الركني: انّ أول من وضع النحو أبو الأسود، أخذه من علي ﷺ وسببه أنّ امرأة دخلت على معاوية في زمن عثمان وقالت: أبوي مات وترك مالاً، فاستقبح معاوية ذلك، فبلغ علياً فرسم لأبي الأسود، فوضع أولاً باب الاضافة»[3].

٣ ـ وقال ابن الأنباري: «وروي أنّ سبب وضع علي لهذا العلم أنه سمع أعرابياً يقرأ: لا يأكله إلاّ الخاطئين، فوضع النحو»[4].

٤ ـ وفي خزانة الادب ج ١ ص ١٣٦ (وهو ـ ابو الأسود ـ واضع علم النحو، بتعليم علي ﷺ)، ويلاحظ المزهر ج ٢ ص ٣٩٧.

---

(١) إنباء الرواة: ٥.

(٢) إنباء الرواة: ٥.

(٣) تأسيس الشيعة: ٤٨.

(٤) نزهة الألباء: ٢.

٥ ـ وفي تاريخ الاسلام للذهبي ص ٢٧٧ (وقال المبرد: حدثنا المازني قال: السبب الذي وضعت له ابواب النحو، ان ابنة أبي الأسود قالت: ما اشدُّ الحر، قال: الحصباء بالرمضاء، قالت: انما تعجبت من شدته، فقال: اوقد لحن الناس؟ فاخبر بذلك علياً فاعطاه اصولاً بنى منها، وعمل بعده عليها، وهو أول من نقط المصاحف).

## القسم الثاني:

وهي تدلّ على أنّ أبا الأسود هو الذي وضع النحو:

١ ـ قال ابن خلّكان: «وقيل: كان أبو الأسود يعلّم أولاد زياد بن أبيه فجاء يوماً وقال له: أصلح اللّه الأمير، إنّي أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وتغيّرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم، فقال: لا، فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح اللّه الأمير، توفي أبانا و ترك بنون، فقال زياد: ادعوا لي أبا الأسود، فلمّا حضر، قال: ضع للناس الذي نهيتك عنه»[1].

٢ ـ وفي الأغاني: «انّ أبا الأسود دخل على ابنته بالبصرة فقالت: يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ، فرفعت كلمة (أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه أيُّ زمان الحرّ أشدُّ، فقال: شهر ناجر، فقالت: يا أبتِ إنّما أخبرتك، ولم أسألك»[2].

٣ ـ وفي كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١ ص ٣٩ (وكان لاهل البصرة في العربية قدمة بالنحو وبلغات العرب

---

(١) الوفيات: ١ / ٢٤٠.

(٢) الأغاني: ١١ / ١١٩.

والغريب عناية وكان اول من اسس العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع قياسها ابو الاسود الدؤلي).

٤ ـ وفي تاريخ الاسلام للذهبي ج ٥ / ص ٢٧٧: (وقد امره علي عليه السلام بوضع النحو، فلما اراه ابو الأسود ما وضع قال: ما احسن هذا النحو الذي نحوت، ومن ثمّ سمّي النحو نحواً).

٥ ـ وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ / ٦١٥ (وهو يعد من الشعراء والتابعين والنحويين لانه اول من عمل في النحو كتاباً).

هذه نماذج للروايات الكثيرة في هذا المجال، التي تمتلئ بها كتب الأدب والنحو والتاريخ، وسوف نذكر روايات أُخرى بهذا المضمون، وسوف نفسّر هذا الاختلاف في سبب الوضع والواضع.

## المؤيّدون وأدلّتهم

**المؤيّدون:**

لم أجد من القدماء من يتنكّر لصحّة هذه الروايات إلا افراداً قلائل جدّاً. أمّا المعاصرون فالبعض منهم قد عارض هذه الروايات ورفضها وأثبت عدم صحّتها، وهناك آخرون من المعاصرين قد اتّفقوا مع القدماء في تأييدها.

والحديث الآن يدور حول المؤيّدين وأدلّتهم.

فقد عقد السيد حسن الصدر في كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فصلاً كبيراً جمع فيه شتّى الروايات والآراء التي نسبت وضع النحو للإمام عليه السلام او لأبي الأسود.

١ ـ ونذكر بعض المؤيّدين الّذين ذكروا آراءهم في كتبهم:

فنهم: محمد بن سلام الجمحي ـ المتوفى سنة ٢٣٢ ـ يقول: «وكان لأهل البصرة قدمة بالنحو، وبلغات العرب والغريب عناية، وكان أول من أسّس العربية وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»[١].

ومنهم : ابن قتيبة الدينوري ـ المتوفى سنة ٢٧٦ ـ في كتابيه «الشعر والشعراء» و«المعارف» حيث يقول في الشعر والشعراء ٢ / ٦١٥: (وهو يعد من الشعراء والتابعين والنحويين لأنّه اول من عمل في النحو كتابا). ويقول في المعارف ٨٠: (أبو الأسود الدؤلي يعدّ في النحويّين لأنّه أول من عمل كتاباً في النحو بعد علي بن أبي طالب عليه السلام).

ومنهم: ابن النديم ـ المتوفى سنة ٢٨٠ ـ فيقول: «زعم أكثر العلماء أنّ النحو أُخذ عن أبي الأسود، وأنّ أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام»[٢].

ومنهم: أبو الطيّب اللغوي الحلبي ـ المتوفى سنة ٣٥١ ـ حيث يقول : «ثمّ

---

(١) طبقات الشعراء: ٩ ـ ١٠.

(٢) الفهرست: ٥٩.

كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي»[1].

ومنهم: السيرافي ـ المتوفى سنة ٣٦٨ ـ يقول: «اختلف الناس في أول من رسم النحو، وأكثر الناس على ابي الأسود الدؤلي»[2].

ومنهم: أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل»، وأبو الفرج الأصبهاني في كتابه «الأغاني»، والزجّاجي في أماليه، وابن خلدون في مقدّمته، والقفطي في «إنباء الرواة»، وابن الأنباري في «نزهة الألبّاء»، والسيوطي في «الأشباه والنظائر» والذهبي في «تاريخ الاسلام».

ولو أردنا استعراض القدماء الّذين صرّحوا في كتبهم بصحّة هذا الرأي، والروايات في هذا المجال، لطال بنا الحديث، لذلك نكتفي بذكر هؤلاء وسنذكر بعض الروايات والآراء خلال هذه الدراسة.

٢ ـ وهناك من القدماء من روي عنهم صحّة هـذا الرأي والروايـات، ويدخل في ذلك كثير من النحاة الّذين نُقلت عنهم هذه الروايات، أو روي عنهم أنّهم صرّحوا بصحّة نسبة وضع النحو للإمام عليه السلام أو لأبي الأسود.

فصاحب «الأغاني»[3] ينقل رواية تؤكّد هـذه النسـبة، ومـن رجـال سندها عبدالله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وسيبويه، والخليل.

ويروي صاحب «المحاسن والمساوئ» عن يونس بن حبيب النحوي ـ

---

(١) مراتب النحويّين: ٥٠٦.

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ١٠.

(٣) الأغاني: ١١ / ١٩٩.

المتوفى سنة ١٨٣ ـ قوله: «أول من أسّس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها أبو الأسود الدؤلي، واسمه ظالم بن عمرو»[1].

ويروى عن معمر بن المثنى ـ المتوفى سنة ٢٠٩ ـ أنّه قال: «أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب عليه السلام العربية»[2].

ومثل ذلك يروي لنا الزجّاجي في أماليه عن المبرّد.

ويقول أبو عمر عثمان بن سعيد الداني ـ المتوفى سنة ٤٤٤ ـ في كتابه «المحكم في نقط المصاحف» : «حدّثنا محمد بن علي، قال: حدّثنا ابن الأنباري، قال: حدّثنا أبي، عن عمر بن شيبة، عن الثوري، قال: سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنّى يقول: أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي، ثم ميمون الأقرن».

**أدلّة المؤيّدين:**

ومن خلال ذلك كلّه نستطيع الوصول إلى الدليل الذي استند إليه المؤيّدون في رأيهم:

١ ـ يقول السيرافي: «وأكثر الناس على أبي الأسود»[3].

ويقول ابن الأنباري: «إنّ الروايات كلّها تسند وضع النحو إلى أبي

(١) نقلاً عن كتاب تأسيس الشيعة: ٤٠،

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ١١ .

(٣) أخبار النحويّين البصريّين: ١١ .

الأسود، وأبو الأسود يسنده إلى علي عليه السلام»[1].

ويقول الفخر الرازي: «وتطابقت الروايات على أنّ أول من وضع النحو أبو الأسود، وأنّه أخذه أولاً من علي عليه السلام»[2].

وهكذا يقول السيوطي.

وبذلك تكون الأدلّة: إجماع العلماء واتّفاقهم، وشهرة الروايات وتواترها المعنوي، والروايات المسندة لرجال لهم اعتبارهم ووثاقتهم.

ويتبنّى هذا الإجماع والاتّفاق من المعاصرين الأُستاذ العقّاد، وعبدالرحمن السيّد، وكمال إبراهيم كما سنتعرّض لآرائهم.

٢ ـ ولا أقول: إنّ التواتر، والاتّفاق، والروايات الصحيحة هي الأدلة الوحيدة التي اعتمد عليها المؤيّدون لصحة هذا الرأي، فهناك أدلّة أُخرى سوف نراها تظهر خلال هذه الدراسة، ولكنها الأدلّة الرئيسة في هذا المجال.

---

(١) نزهة الألباء: ٦.

(٢) نقلاً عن مدرسة البصرة النحوية: ٤٧.

# المعارضون واعتراضاتهم

**نظرة عامة:**

ممّا يثير الاستغراب والدهشة حقّاً، أنْ يظهر فجأة من يحاول التشكيك في هذا الرأي، وهو وضع الإمام عليه السلام أو أبي الأسود للنحو العربي، أو يحاول تكذيبه ورفضه بعد تطابق أقوال القدماء وإجماعهم على صحّة هذا الرأي.

والمعاصرون الّذين أنكروا صحّة هذا الرأي، نذكر منهم أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام»، وإبراهيم مصطفى في بحثه في «مجلّة كلّية الآداب» المصرية، وشوقي ضيف، وكثيراً من المستشرقين الّذين اعتبروا مثل هذه الأحاديث (حديث خرافة) أمثال دائرة المعارف الإسلامية، وهناك غيرهم من المعاصرين لم نذكر أسماءهم.

**اعتراضات المعارضين:**

يلاحظ أنّني قسّمت الاعتراضات تقسيماً محدّداً لنبتعد بذلك عن الاضطراب المنهجي الذي حدث للكثير ممّن حاول عرض الاعتراضات الموجّهة لهذا الرأي أو حاول مناقشتها. والاعتراضات هي كما يلي:

### ١ ـ بداوة العقلية في عصر الإمامعليه السلام:

ولعلّ هذا الاعتراض هو أهمّ الاعتراضات، وأظنّ أنّ المصدر الأول له هم المستشرقون(١)، كما يبدو من دائرة المعارف الإسلامية، وقد تبنّاه أحمد أمين حيث يقول ـ بعد عرض الروايات السابقة ـ: «كلّ هذا حديث خرافة، فطبيعة زمن عليعليه السلام وأبي الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم

---

(١) ولانريد الآن الحديث عن المستشرقين ودراسة واقعهم، فكثير من الباحثين المسلمين والعرب قد درسوا حركة المستشرقين ـ أسسها وأهدافها وآثارها ورجالها ـ دراسة مركّزة وتوصّلوا إلى نتائج لها أهميّتها في هذا المجال، لعلّ من أهم هذه الأهداف هي محاولة بعض المستشرقين عن عمد أو غير عمد تشويه الإسلام والانتقاص من قدرات المسلمين، وخاصّة العناصر والحركات والمعتقدات الصالحة والمستقيمة عند المسلمين، وكان بودّي دراسة هذه الحركة لولا ضيق المجال وبعدها عن صميم الرسالة وكتابة البعض من الكُتّاب المسلمين المنصفين عنها، ولكن من الغريب أن نرى عند بعض كُتّابنا الإيمان بكل ما يكتبه المستشرقون حقيقة موضوعية راهنة لاتقبل النقاش، كأحمد أمين وغيره، ولو أنّ الحديث عن أحمد أمين لا يقلّ اتّساعاً وغرابة من الحديث حول المستشرقين وخاصة موقفه من مدرسة أهل البيتعليهم السلام وأتباعها ـ معتقداتها وأحاديثها ورجالها ـ وقد درس هذا الموقف منه بعض كُتّاب مدرسة أهل البيتعليهم السلام فلعلّ رأيه هذا ـ في وضع النحو ـ كسائر مواقفه تجاه هذه المدرسة، كما نلاحظ تأثره بالمستشرقين في هذا المجال عند قوله عن هذه الروايات بأنّها (حديث خرافة) وهو نفس التعبير الذي أطلقه بعض المستشرقين كما يلاحظ ذلك من النصّ الذي نذكره عن إبراهيم مصطفى، ومن هنا نرى مدى تأثير المستشرقين على فكرنا المعاصر، ونلاحظ أيضاً مدى بقاء الأفكار التقليدية الجاهلية في أذهان البعض.

الفلسفية، والعلم الذي ورد إلينا من هذا العصر في كل فرع يتناسب مع الفطرة، وليس فيه تعريف ولا تقسيم، إنّما هو تفسير آية أو جمع لأحاديث ليس فيها ترتيب ولا تبويب، فأمّا تعريف وأمّا تقسيم منطقي فليس في شيء ممّا صحّ نقله إلينا عن عصر علي وأبي الأسود»[1].

وسعيد الأفغاني يؤيّد أحمد أمين في رأيه هذا فيقول: «ولعلّ الأُستاذ ـ أي أحمد أمين ـ لم يكن بعيداً من الصواب حين روى هذا الخبر فعلّق عليه ما يلي»[2]، ثم يذكر حديث أحمد أمين السابق.

وهذا الرأي يتبنّاه أيضاً إبراهيم مصطفى فيقول: «ولكنّنا لانستطيع أن نتقبّل ذلك ـ أي وضع الإمام عليه السلام للنحو ـ بيسر، ولا أن نستسيغ أنّ هذا الزمن المبكّر قد تمكّن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العربية، وقد أنكر ذلك المستشرقون وعدوه حديث خرافة»[3].

ويقول عبدالكريم الدجيلي: «وفي وسعنا أن نقول: إنّ طبيعة العرب في صدر القرن الأول للهجرة لم تكن طبيعة تقسيم وتبويب وتعريف للجزئيّات والأقسام والفصول، ولايقع في تفكير هذا الطبع الساذج ذلك الجدل النحوي ولاتلك المماحكات، وإنّما هو طبع بسيط ينظر للأمور عامّتها

---

(١) ضحى الإسلام: ٢ / ٢٨٥.

(٢) في أُصول النحو: ١٥٥.

(٣) مجلّة كليّة الآداب: ١ / ٦.

لاخاصّتها، وكليّاتها لا جزئيّاتها، وهذا القول يتناسب وما ورد إلينا من التراث الثقافي لذلك العصر كتفسير بعض الآيات»[١]، واعترض الدكتور الدجيلي بهذا الاعتراض على نسبة وضع النحو للإمام عليه السلام[٢].

إذاً فالمعاصرون يستبعدون هذه النسبة ـ نسبة وضع النحو للإمام عليه السلام أو لأبي الأسود الدؤلي ـ: «لقرب العرب في عصر أبي الأسود من غضاضة البداوة، إذ لابُدّ من وضع قواعد العلوم من مدارسة واصطلاح لم تهيّأ لها عقول العرب بعد»[٣].

## ٢ ـ التأثّر بالثقافات الأجنبيّة:

وهذا الاعتراض لا يقلّ أهميّة عن الاعتراض الأوّل، بل يرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فيقول المعارضون: «إنّ ما جاء في التحديدات والتقسيمات من طبيعة منطقية أو فلسفية لم تكن تتناسب والعقلية العربية في ذلك الزمن، وإنّما وقع بعد نقل الفلسفة والمنطق اليوناني إلى العربية، وتغلغل ذلك في علوم العربية والعلوم الإسلامية»[٤]، ويذهب هذا الرأي الكثير من المستشرقين والمتأخّرين.

---

(١) مقدّمة ديوان أبي الأسود: ٦٦.

(٢) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص ١٧٥.

(٣) مصطفى السقّا، نشأة الخلاف في النحو، مجلّة اللغة العربية، ١ / ٩٥.

(٤) كمال إبراهيم، واضع النحو الأول، مجلّة البلاغ، السنة الأُولى، العدد ٨ ص ١٧.

### ٣ ـ تاريخ التدوين:

وهناك اعتراض آخر يوجّه إلى تاريخ تدوين هذه الروايات، حيث يذكر أنها متأخّرة، فلم تذكر آراء نحوية للإمام(ع) أو لأبي الأسود في الكتب النحوية الأُولى ككتاب سيبويه أو أيّ كتاب نحوي آخر. يقول إبراهيم مصطفى: «ويلاحظ أول ما يلاحظ أنّنا لم نجد في كتاب سيبويه، ولا فيما بعده رأياً نحوياً نسب إلى أبي الأسود، ولا إلى طبقتين بعده، فنحن أمام حقيقة واضحة أُخذت من كتب النحو، وهي أنّ أقدم من نسب إليه رأي نحوي هو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي»[١].

### ٤ ـ اختلاف الروايات:

في لفظها ومتنها، وفي سبب وضع النحو، وفي واضعه، ممّا يؤدي إلى الشكّ في الروايات نفسها. يقول أحمد أمين بعد حديثه السابق: «ويشهد لهذا ـ أي لرأيه في تكذيب الروايات ـ الروايات الكثيرة المتناقضة في سبب الوضع»[٢].

ويقول الدجيلي: «وهذه الروايات التي تتنازع واضع النحو، والتي تتباين في سبب وضعه، تبدو للمتتبع الممحّص مختلفة مضطربة لا يُركن

---

(١) نقلاً عن كتاب مدرسة البصرة النحوية: ٥٣.

(٢) ضحى الإسلام: ٢ / ٢٨٥.

إليها، ولا يطمأن إلى ما تهدف إليه»[١].

ويقول فؤاد حنّا ترزي: «وتبدو هذه الروايات مضطربة متناقضة»[٢].

واعترض بمثل هذا الاعتراض الدكتور الدجيلي على نسبة وضع النحو للإمام عليه السلام[٣].

## ٥ ـ التنقيط والنحو:

ويتوصّل هؤلاء المعترضون المعاصرون بعد الاعتراضات ـ التي ذكرناها ـ إلى أنّ أبا الأسود لم يضع النحو بمعناه المصطلح الجديد، بل الذي وضعه هو تحريك المصحف الشريف بالنقط، كما أجمع على ذلك الباحثون من القدامى والمعاصرين، وهذا الذي فعله أبو الأسود قد ظنّه القدماء نحواً، لذلك نسب إليه وضع النحو، ويكاد يجمع ويتّفق على هذه النتيجة كل المعارضين. يقول أحمد أمين: «وعلى هذا فمن قال: إنّ أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئاً من هذا، وهو أنّه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا يكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمّة موضع فتحة، فجاء بعده من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق، فاخترع تقسيم الكلمة»[٤].

---

(١) مقدّمة ديوان أبي الأسود: ٦٧.

(٢) في أصول اللغة والنحو: ١٠.

(٣) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ١٧٦.

(٤) ضحى الإسلام: ٢ / ٢٨٥.

ويقول الدجيلي: «فنحو أبي الأسود هو في الواقع تثبيت للنطق العربي حين قراءة القراءات وترتيل الآيات، فهو إذاً قد وضع الجذر للنحو العربي فبهذا الرأي المنطقي نرفض الروايات»[1].

ويذهب إلى هذا الرأي إبراهيم مصطفى أيضاً.

## واضع النحو الأول

وبعد كل هذه الاعتراضات يحقّ لنا التساؤل، إذاً فن هو واضع النحو الأول؟

هنا عدّة إجابات للباحثين ـ من القدماء والمعاصرين ـ عن هذا التساؤل:

١ ـ انّ النحو لم يضعه أبو الأسود، بل وضعه بعض تلاميذه، فبعضهم يذهب إلى أنّ النحو قد وضعه عبدالرحمن بن هرمز[2] تلميذ أبي الأسود، أو ابن عاصم[3] وهو تلميذه أيضاً، وهناك من يذهب إلى أنّ واضع النحو غيرهما.

٢ ـ إنّ النحو قد وضع قبل أبي الأسود، وينفرد بهذا الرأي ابن فارس ـ كما

(١) مقدّمة ديوان أبي الأسود: ٧٠.

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ١٦.

(٣) أخبار النحويّين البصريّين: ١٥.

هو رأيه في نشأة العروض ـ فيقول: «إنّ هذين العِلْمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام وقلاّ في أيدي الناس ثمّ جدّده هذان العَلَمان»[1]، ويقصد أبا الأسود والخليل.

ولكنّ هذين الرأيين يفقدان عناصر الصحّة والسلامة:

فالرأي الأول لم يلتزم به إلا بعض قليل من المؤرّخين، وبعض هؤلاء الّذين التزموا بهذا الرأي اعتبروا الرأي الصحيح والرئيس هو وضع أبي الأسود للنحو، ونسبوا رأيهم هذا إلى كلمة (قيل) كدليل على ضعفه وقلّة شأنه.

أمّا رأي ابن فارس، فهو لايعتمد على سند تاريخي أولاً، ولايؤيّده أحد من القدماء والمعاصرين ـ كما أعلم ـ ثانياً، وعدم وجود الروايات التي تدعمه.

إذاً فنبقى نحن وهذه الروايات التي تنسب وضع النحو للإمامعليه السلام أو لأبي الأسود، لنبحث عن مدى ثباتها تجاه الاعتراضات الموجّهة لها، ومدى توافقها مع الموازين النقدية والعلمية.

---

(١) نقلاً عن تأسيس الشيعة: ٤٠، المزهر ٢/٣٤٥.

## مناقشة الاعتراضات

**المناقشة العامة:**

وقبل أن نناقش كل اعتراض من الاعتراضات بصورة مستقلّة، يجدر بنا أن نقول إن بعض المعاصرين ناقش هذه الاعتراضات بصورة عامة، يقول كمال إبراهيم عن اعتراضات المعارضين: وهذه كلّها أقاويل واجتهادات لاتقوم على سند يعتدّ به، والروايات التي هي أقرب الىٰ عهد الوضع هي الأحرى بالأخذ والثقة بها[1].

ويستغرب الطنطاوي من مثل هذا التشكيك والتكذيب من المعاصرين في نسبة النحو للإمام عليه السلام أو لأبي الأسود فيقول: «فمن الغريب بعدئذ أن يستنكر المستشرقون هذه النسبة المتواطأ عليها قديماً وحديثاً»[2].

فهذه الاعتراضات، هي أقرب إلى الفروض التي لم تَبلغ مستوى الجزم العلمي في مقابل التواتر والإجماع الذي بلغ مستوى الجزم العلمي، فهي أقرب إلى السفسطة في مقابل الواقع الراهن ومن قبيل الاجتهادات في مقابل النصّ، فمع وجود هذه الروايات والنصوص الكثيرة وإجماع القدماء ـ المقاربين في زمانهم لزمان أبي الأسود ـ على وضعه للنحو فلا مجال لكل هذه

---

(١) مجلّة البلاغ، واضع النحو الأول، العدد ٨، ص١٨.

(٢) نشأة النحو: ٢٠.

الاجتهادات والافتراضات والسفسطات، والاعتراضات المشكّكة لوضع أبي الأسود للنحو حتى لو تلبّست بلباس البحث العلمي.

## مع الاعتراض الأول

**علم الإمام المعصوم:**

الاعتراض الأول يدفعنا إلى الخوض في بحوث عقائدية كلامية تدور حول علم الإمام المعصوم، وحول الإمام عليّ عليه السلام حيث يطفح «نهج البلاغة» بمثل هذه التقسيمات والمصطلحات والأفكار المنطقية والفلسفية وغيرها من المعارف السامية التي لم تفتضّ أسرارها ولم تكشف رموزها وكنوزها إلا بعد مرور مراحل زمنية طويلة، بعد ارتقاء الفكر البشري وثراء معلوماته، وربّما ستمرّ أجيال طويلة بعد ذلك ولا يتوصّل إلى عمق أسرارها ومعطياتها الزاخرة.

والملاحظ في هذا المجال أنّ الشبهات والاعتراضات التي يثيرها البعض حول نسبة النحو للإمام عليه السلام أو نسبة التقسيم الثلاثي وتعريفاته تشابه الشبهات التي أثارها البعض حول «نهج البلاغة» ومدى صحة نسبته للإمام عليه السلام حيث يزخر ببعض التقسيمات والتعريفات والمصطلحات والأفكار التي لايمكن أن تنشأ في تلك الفترة الزمنية البدائية من حيث الوعي والثقافة.

ولسنا هنا ـ في هذه الدراسة ـ في مجال البحث عن «نهج البلاغة» وصحة نسبته للإمام عليه السلام فإنّ لهذا الموضوع مجالاً آخر، ولكن نشير هنا بإيجاز إلى ملاحظة عابرة، ونترك التوسّع للدراسات الأُخرى التي كتبت حول هذه القضية.

هناك بعض الشبهات والشكوك التي أثارها بعض القدماء والمعاصرين حول «نهج البلاغة» ومدى صحّة نسبته للإمام عليه السلام كلّه أو بعضه، وأنّه في الواقع ـ حسب رأي هؤلاء ـ من تأليف الشريف الرضي نفسه، ومن هؤلاء الكثير من العرب والمستشرقين، ولعلّ رأيهم في هذا المجال يشابه رأيهم في وضع النحو العربي، وبعض أدلّتهم متشابهة.

فمن المشكّكين القدامى ابن خلّكان، ولعلّه أول من بذر بذور التشكيك حول «نهج البلاغة»، وتبعه الصفدي في «الوافي بالوفيات»، وابن تيمية في منهاج السُنّة النبوية، واليافعي في «مرآة الجنان»، والذهبي في «ميزان الاعتدال»، وابن حجر في «لسان الميزان»، و غيرهم من القدامى.

ومن المعترضين المعاصرين أحمد أمين في «فجر الإسلام»، وشوقي ضيف في كتابه «الفنّ ومذاهبه في الأدب العربي»، ومحمد سيّد كيلاني في كتابه «أثر التشيّع في الأدب العربي»، وجرجي زيدان في كتابه «آداب اللغة العربية» ومحمد كرد علي في «الاسلام والحضارة العربية» واحمد حسن الزيات في «تاريخ الادب العربي» وغيرهم.

وقد تصدىٰ لمناقشتهم جماعة من الباحثين، وخاصة الباحثين الشيعة

أمثال الشيخ هادي كاشف الغطاء في كتابه «مدارك نهج البلاغة»، والسيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه «ما هو نهج البلاغة»، والشيخ الأميني في كتابه «الغدير»، والسيد عبدالزهراء الخطيب في كتابه «مصادر نهج البلاغة» والاستاذ امتياز عليخان العرشي في كتابه «استناد نهج البلاغة»، والشيخ عبدالله نعمة في كتابه «مصادر نهج البلاغة» وغيرهم.

ولسنا في مجال الحديث عن الشبهات التي اثيرت حول نهج البلاغة، ومناقشتها، فان هذه الكتب القيمة قامت بهذه المهمة خير قيام، وناقشت هذه الشبهات بروح علمية موضوعية، وفندتها بقوة، ويلزم على القارئ مراجعتها من اجل التعرف على واقع الشبهات التي اثيرت حول وضع النحو، والجواب عنها، ليعرف ان بعض الافراد الذين اعترضوا على وضع الإمام عليه السلام او أبي الأسود للنحو، هم انفسهم اعترضوا على نسبة نهج البلاغة للامام عليه السلام، امثال احمد امين، والاهداف والشبهات متشابهة، كما ان الاجوبة متشابهة، وحين نراجع كتاب «مصادر نهج البلاغة» نلاحظ أن الشبهات التي اثيرت حول نهج البلاغة تشابه كثيراً الشبهات حول وضع النحو، كما انه من الاجوبة التي ذكرت في هذا الكتاب وغيره لهذه الشبهات يظهر الجواب عن الكثير من الشبهات التي اثيرت حول وضع النحو. ونشير هنا الى بعض الشبهات التي اثيرت حول نسبة نهج البلاغة للإمام عليه السلام والاجوبة التي أُجيب بها عليها مما له علاقة من بعيد أو قريب بالشبهات حول وضع النحو.

منها: ان كثيراً من خطب النهج قد اشتمل على علوم لم تعرف الا بعد زمن علي عليه السلام على ايدي علماء الكلام، ولم يعرفها المجتمع الاسلامي في عصر الإمام علي عليه السلام كدقائق علم التوحيد، وابحاث الرؤية، والعدل وكلام الخالق، وتنزهه سبحانه عن مشابهته المخلوقات.

وقد اجاب عن هذا الاعتراض، الشيخ عبدالله نعمة باجوبة تسلط الضوء أيضاً حول مشكلة وضع النحو نشير هنا بايجاز الى بعضها:

١ ـ ان جذور علم الكلام الرئيسية قد ظهرت لدى المسلمين منذ نزول القرآن الكريم، حيث يستدل على وجود الخالق بآيات شريفة، وكذلك يستدل على عدم الشريك ونفي الرؤية والظلم عنه، واثبات العدل له، ونفي الجسمية، وغيرها بكثير من الآيات التي عرضت للاصول الاولى لعلم الكلام، وانك لاتجد رأيا لعلماء الفرق الاسلامية واصحاب المذاهب الكلامية، كالجبرية والقدرية والمرجئة، والجهمية والشيعة، والخوارج الا وله مستند من الكتاب العزيز.

٢ ـ يضاف لخصائص الإمام ومواهبه التي تجاوز بها عصره، انه كان متفاعلاً مع القرآن، قد استحال في روحه، بحيث لاتجد له نظيراً بين الصحابة، تشير لذلك افعاله واقواله، واقوال العلماء في حقه، وقد كانت الفترة التي عاشها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله الى ان بويع بالخلافة، قد واتته الفرصة فيها لبيان كل ما اثر عنه من معاني التوحيد وما الى ذلك من القضايا الاسلامية التي عرفت بعد ذلك بعلم الكلام، حيث عكف في هذه الفترة وهو لايشغله

شيء فيها على مدارسة القرآن واستيحاء معانيه.

٣ ـ ان عصر الإمام(ع) كان عصر انبعاث اسلامي، وبداية يقظة اسلامية، فقد بدأت في هذه الفترة، وقبل ذلك في عهد الرسول(ص) أيضاً تستيقظ روح التساؤل والبحث في نفوس المسلمين، واشار لذلك القرآن الكريم ﴿ويسألونك عن الروح﴾ وكتب الحديث تشتمل على الشيء الكثير من قضايا القضاء والقدر، والخير والشرّ وقضية الخالق وقدرته، وغيرها، على ان الإمام سكن العراق وبخاصة الكوفة، وهو يوم ذاك مهبط الأفكار الفارسية والسريانية والكلدانية وبخاصة البصرة التي كانت موئل الديصانية والأفكار الهندية والمذاهب النسطورية التي عاشت فيها بتأثير مدرسة جنديشابور، كل ذلك حدا بالإمام تلبية لحاجة العصر ان ينحو هذا النحو في بيان اصول التوحيد، وما اليها تقريراً للعقائد الاسلامية، وتركيزاً لدعائمها، وبعد هذا كله أيضاً. فليس هناك مايمنع ان يكون الامام(ع) هو الذي فتق علم التوحيد وما اليه، وعالج قضاياه بتطوير وشرح، وعرض لاصوله الرئيسية كما كان ـ تماماً ـ هو الواضع لاصول علم النحو وسواه من العلوم الاسلامية[1].

ومنها: في النهج من الالفاظ المولدة مالم يعرف الا في العصر العباسي، وعلى ألسنة الكلاميين، وليس لها اصل في اللغة العربية كالازل والازلية والكيف والكيفية وغيرها من الكلمات الجارية لدى المتكلمين.

---

(١) عبدالله نعمة، مصادر نهج البلاغة / ص ٨٦.

وبعد ان ناقشها، باثبات ان اصلها عربي، وورودها في كلام الرسول ﷺ قال: «وكما سبق الإمام عليه السلام الى تعابير جديدة لم يعرفها العرب من قبل مثل قوله: (ارعدوا وابرقوا) ومثل (فما عدا مما بدا) فليكن أمثال التعابير بالازل والازلية وسواها مما سبق اليه أيضاً بعد ان وردت به الرواية الصحيحة عنه، وكما سبق الإمام أيضاً ـ بما وهبه اللّه من خصائص ـ الى وضع اصول النحو، ووضع اصول التوحيد ـ كما هو مستفيض عنه لدى المؤرخين ـ فلتكن تلك المعاني الفكرية والعلمية والكلمات المعبرة عنها التي لم يعرفها العرب في جاهليتهم مما سبق اليه أيضاً»[1].

ثم يذكر شواهد على ان الاسلام قد ادى الى انبعاث نهضة وحركة علمية وفكرية بين المسلمين.

واخيراً يمكن القول: إن قصة الشبهات التي اثيرت حول نسبة (نهج البلاغة) للامام عليه السلام، حيث انهم نسبوه للشريف الرضي، هذه الاسطورة قد قضي عليها على ايدي بعض الكتاب المؤمنين المخلصين الذين قاموا بدراسات واعية وبحوث احصائية اثبتوا من خلالها ان (نهج البلاغة) لايمكن ان يكون من انشاء الشريف الرضي، وذلك لوجود اكثر الخطب والاحاديث في مصادر وكتب متقدمة زمنيا على زمان الشريف الرضي وقد اشرنا لبعض هذه الكتب فيما سبق. اذن فاذا ثبتت صحة نسبة (نهج البلاغة) للإمام عليه السلام، فمن السهل ثبوت نسبة التقسيم الثلاثي او بدايات النحو للإمام عليه السلام. لما في

---

(١) المصدر السابق / ص١٠٢.

(نهج البلاغة) من تعريفات وتقسيمات ومصطلحات وافكار عالية المضامين والمعاني تدل على ابداع وعلى قوى فكرية هائلة.

ونحن نلاحظ ان القرآن الكريم يشتمل على الكثير من التقسيمات والمضامين السامية، فلايستغرب صدور مثل هذه التقسيمات والابداعات في تلك الفترة الزمنية من الإمام علي عليه السلام، وهو تلميذ القرآن الذي عاش مع القرآن الكريم منذ صغره، وكذلك نلاحظ وجود التقسيمات والتعاريف والمصطلحات في الاحاديث النبوية، فلا غرابة ان يتعلم منها من نشأ وعاش في اجوائها وخاصة الإمام عليه السلام الذي يملك من القوىٰ الفكرية والعلمية الزاخرة ما يشهد به الجميع، وليس الشيعة وحدهم يعترفون بذلك بل هناك احاديث وآراء من أهل السنة تثبت هذا العلم الواسع والفكر الزاخر للإمام علي عليه السلام، موجودة في كتبهم وصحاحهم، كل ذلك يدل على ان الإمام عليه السلام كان يمتلك علماً يتميز به عن الآخرين.

في كنز العمال (عن علي، قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب كل باب يفتح الف باب)[1].

وفي كنز العمال أيضاً (عن علي قال: والله مانزلت آية الا وقد علمت فيما نزلت واين نزلت وعلىٰ من نزلت، ان ربي وهب لي قلبا عقولاً ولساناً طلقاً سؤولا)[2].

---

(١) كنز العمال ١٣/١١٤.

(٢) المصدر السابق ١٣/١٢٨.

وفيه أيضاً (عن ابن مسعود قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فسئل عن علي، قال: قسمت الحكمة عشرة اجزاء، فأُعطي علي تسعة اجزاء والناس جزءاً واحداً، وعلي اعلم بالواحد منهم)(١) وروي مثله في الاستيعاب(٢).

وفي اسد الغابة (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليأت بابه)(٣).

وفي سنن الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: (انا دار الحكمة وعلي بابها)(٤) وذكر مثله في كنز العمال(٥).

وفي كتاب ينابيع المودة: (عن اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: (ان رسول الله صلى الله عليه وآله علمني الف باب، وكل باب منها يفتح الف باب، فذلك الف الف باب، حتىٰ علمت ما كان وما يكون الىٰ يوم القيامة، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب)(٦).

والملاحظ أن البعض من القدامى المعاصرين الذي شكّك في نسبة «نهج البلاغة» للإمام عليه السلام قد ذهب إلى صحّة نسبة النحو للإمام عليه السلام أو لأبي الأسود، ولم يشكّك في ذلك مثل ابن حجر، ففي لسان الميزان شكك في نسبة

---

(١) كنز العمال ١٣/١٤٦.

(٢)الاستيعاب ٣ / ٤٠.

(٣) اسد الغابة ٤ / ٢٢.

(٤) سنن الترمذي ٥ / ٦٣٧.

(٥) كنز العمال ١٣/١٤٧.

(٦) ينابيع المودة ص٧٧.

نهج البلاغة للإمام عليه السلام، واما في كتابه تهذيب التهذيب ١٢/١٣ فقد قال عن أبي الأسود: (هو اول من تكلم في النحو).

وبعد هذه الملاحظة الموجزة والعابرة، نقول: إنّا سنترك هذا الجانب العقائدي في دراستنا، ولو أنّ الإيمان به وحده يغني عن عرض الأدلّة والنقاش، كما آمن به من تعرّف على حقيقة الإمام عليه السلام وما يملكه من قوى ومعارف، ونبحث عن هذه الواقعة التاريخية من خلال الواقع التاريخي نفسه والروايات نفسها، ونحاول دراسة هذه الظاهرة على حسب السيرة والطرق والأساليب التي يؤمن بها المعترضون في نشأة العلوم والمعارف البشرية.

# شيوع اللحن ومحاربته

### ١ ـ انتشار اللحن:

نحن نعلم أن النحو لم يوضع جزافاً وعبثاً ـ كما هو الحال في كل ظاهرة جديدة ـ فلا بُدّ من حاجة ملحّة لظهورها، وقد قالوا: «إنّ الحاجة أُم الاختراع»، ولا بُدّ من دوافع أدّت إلى إبداع النحو، وإلّا لو لم توجد مثل هذه الدوافع لما كان هنا تفكير في إبداعه. أجل، إنّما وضع النحو لأجل مواجهة الظروف والأجواء الجديدة التي ظهرت آنذاك والتي أشاعت اللحن على ألسنة الناس، ولعلّ أهمّ الأسباب لذلك هو الاختلاط بين العرب والشعوب الأجنبية الأُخرىٰ التي دخلت الإسلام، أو خضعت للحكم الإسلامي وعاشت في بلاد المسلمين، أو ارتبط بها المسلمون ببعض العلاقات التي فرضتها الظروف الجديدة وبإيجاز فإنّ هذا الاختلاط بكل صوره وأساليبه قد فرضته الظروف الجديدة التي خلقها انبثاق الإسلام وبعثته وتحرّكه، ومن طبيعة هذا الاختلاط في الألسنة أن يخلق اللحن، ولو راجعنا تاريخ اللحن لرأيناه قد ظهر حتى في عصر الرسول ﷺ، فيقول أبو الطيّب الحلبي: «... لأنّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرّبين من عهد النبي ﷺ فقد روينا أنّ رجلاً

لحن بحضرته فقال: ارشدوا أخاكم»[1].

وبعد عصر الرسول ﷺ وبعد أن اتّسعت الفتوحات الإسلامية وازداد الاختلاط أخذ اللحن يشيع تدريجياً على الألسنة نتيجة لاتّساع اختلاط العرب مع غيرهم فقد «كتب كاتب لأبي موسىٰ إلى عمرَ (مِن أبو موسىٰ...)، فكتب إليه عمر: سلام عليك، أمّا بعد، فاضرب كاتبك سوطاً واحداً، وأخّر عطاءه سنة»[2].

وينقل ابن قتيبة: «انّ رجلاً دخل على زياد فقال: إنّ أبينا هلك، وإنّ أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا، فقال زياد: ما ضيّعتَ من نفسك أكثر ممّا ضاع من مالك»[3].

وفي زمان خلافة الامام عليه السلام حيث ازدادت رقعة الاختلاط وتوسّعت وكثر اللحن نتيجة لذلك، لمّا دخل الإمام عليه السلام العراق، وخصوصاً البصرة، وهي المركز الحضاري الذي كثر فيه الاختلاط، لاحظ مدىٰ شيوع اللحن على الألسنة، فروىٰ ابن الأنباري أنّ الإمام عليه السلام قال: «إنّي تأمّلت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء ـ يعني الأعاجم ـ»[4].

وكان أبو الأسود ـ بين آونة وأُخرىٰ ـ بسبب انتمائه للشيعة وصحبته

(١) مراتب النحويّين: ٥، والمزهر: ٢ / ٣٩٧.

(٢) مراتب النحويّين: ٦.

(٣) من تاريخ النحو: ١١.

(٤) نزهة الألبّاء: ٢.

للإمام عليه السلام ينقل إليه أخباراً خطيرة عن هذا اللحن، فتنقل عن أبي الأسود الرواية المشهورة التي يصرّح فيها بعروض اللحن على ابنته[1].

فاللحن إذاً بلغ حدّاً من الخطر أنْ دخل بيته، وكان أبو الأسـود يحسّ باللحن ـ شأن العرب الفصحاء آنذاك ـ كما ينقل السيرافي: «قال أبو الأسود الدؤلي: إنّي لأجد للّحن غمراً كغمر اللحم»[2].

وهناك حكايات كثيرة تنقل عن شيوع اللحن على الألسـنة آنـذاك. ويقول محمد بن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ص٣٩: (وانما قال ذلك ـ أي اسس أبو الاسود النحو ـ حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقية، فكان سراة الناس يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم).

وفي مقدمة ابن خلدون ص٥٤٧ (وأول من كتب فيها ـ صناعه النحو ـ أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال باشارة علي عليه السلام لانـه رأىٰ تـغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففزع الىٰ ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة).

## ٢ ـ خطر اللحن:

ونتيجة لذلك أخذ الإمام عليه السلام يشعر بخطر اللحن وقد ظهر في هذا المجال عامل جديد، يعتبر أهمّ العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى التفكير في وضع

---

(١) أخبار النحويّين البصريّين: ١٢.

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ١٤.

قواعد للّغة ـ أي النحو ـ وهو العامل الديني، أي الإحساس بخطر هذا اللحن على التشريع الإسلامي والقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فإنّ اللحن في القرآن الكريم له أخطاره الكبيرة في مجال فهم الاحكام الشرعية والتعاليم الاسلامية، حيث يؤدّي اللحن إلى غموض معانيه كما يقول ابن خلدون في مجال تأثير اللحن: «وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد المَلكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على الفهوم»[١].

ويقول أبو عبدالله الزنجاني: «وحدثت عدّة حوادث نبّهتهم إلى النهوض إلى صيانة القرآن الذي هو أساس الدين وحفاظ الإسلام من أن يطرق اللحن عليه»[٢].

وقد شاع اللحن في قراءة القرآن الكريم آنذاك، فينقل السيرافي أنّ أبا الأسود «سمع قارئاً يقرأ: إنّ الله بريء من المشركين ورسوله»[٣] بالكسر.

وقال ابن الأنباري: «وروي أنّ سبب وضع علي لهذا العلم أنّه سمع أعرابياً يقرأ: لا يأكله إلا الخاطئين»[٤] حيث صرّحت هذه الرواية بأنّ السبب الرئيس في وضع النحو هو السبب الديني، بل إنّ العامل الديني هو العامل الرئيس في وضع علماء المسلمين لأكثر علومهم أيضاً، بل ربما كانت

---

(١) مقدّمة ابن خلدون: ٥٠٢.

(٢) تاريخ القرآن: ٨٧.

(٣) نزهة الألباء: ٣.

(٤) نزهة الألباء: ٣.

العوامل الأُخرىٰ داخلة ضمن العامل الديني كما صرّح بهذا الدافع ابن خلدون وغيره.

إذاً فلأجل الحفاظ على نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن تتعرّض للتغيير والتبديل، ولسوء الفهم وعدم القدرة على فهمها، وعدم التمكّن من استخراج الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلامية بصورة صحيحة، تحفّز الامام عليه السلام لوضع النحو، لأنّه خليفة المسلمين، الذي عليه مهمّة الحفاظ على الإسلام والقرآن الكريم لكل الأجيال، ويلاحظ على بعض الباحثين انهم وان اشاروا الى العامل الديني في وضع النحو ولكنهم لم يؤكدوا كثيراً على خطورته، ومدىٰ اهتمام القائمين بوضع النحو بهذا العامل حيث كان أقوىٰ الحوافز لهم في معالجة هذه المشكلة، تتضاءل امامه سائر العوامل الاخرىٰ.

كما تدل على ذلك الروايات، وربما لا يشعر بعض الباحثين المعاصرين بما كان يشعر به قادتنا من مشاعر دينية وما كانوا يعيشونه من اجواء اسلامية، لذلك ربما غفلوا عن واقع الحوافز التي تحرك قادة الدين في اعمالهم وأنشطتهم.

اذن فنحن نرىٰ أن الدافع الرئيسي للإمام عليه السلام أو أبي الأسود وأمثاله من المؤمنين الملتزمين بالإسلام، لوضع النحو، هو العامل الديني، واما سائر العوامل فإنها لها تأثيرها في هذا المجال أيضاً، ولكن ليس لدرجة المغالاة والتفوق على الدافع الديني، وبذلك نعترض على بعض الباحثين من ذكرهم

لعوامل أخرىٰ لعملية الوضع، او مغالاتهم في ذلك أمثال العامل القومي والسياسي والاجتماعي،وما ذكروه من آراء وتصورات لدور هذين العاملين.

وربما كان الكاتب يعيش مثل هذه التصورات، ويحاول فرضها على الواضعين للنحو، دون ان يعيشها أمثال الإمامعليه السلام وأبي الأسود، فان الإسلام قد نفخ فيهم الروح الإسلامية، وقضىٰ على التقاليد والمبادئ الجاهلية، وكانوا يحاولون بشدة تسيير حياتهم وأفكارهم وأعمالهم وفق التعاليم والمبادئ الإسلامية، والملاحظ ان الإسلام قد كرم اللغة العربية، وجعلها لغة كتابه وعباداته ونبيه الكريمصلى الله عليه وآله، ولكن هذه المغالاة بالروح القومية ـ وهي من رواسب الجاهلية، وقد شجع عليها الحكم الاموي، كما اعترف بذلك الباحثون[1] ـ لا يقرها الإسلام، ولا يعيشها أمثال الإمامعليه السلام وأبي الأسود، بل يعترفون بها بمقدار اعتراف الإسلام بها، وليس في الإسلام هذه المغالاة والتصورات القومية، لإنه دين البشر عامة، وأحاديث الرسولصلى الله عليه وآله وافعاله تدل على هذه الحقيقة،وكذلك سيرة المسلمين الملتزمين بالإسلام، لا أمثال حكام بني أمية، وغيرهم من الذين لم يدخل الإسلام في عمق روحهم، ولم يحاولوا الالتزام بالتعاليم الإسلامية، وتطبيق حياتهم عليها، والملاحظ ان أكثر الروايات التي وردت في الدافع الذي دفع الإمامعليه السلام أو أبا الأسود لوضع النحو، يدور حول وقوع اللحن في بعض

(١)أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص٥٢.

الآيات القرآنية، وكذلك محاولة أبي الأسود في تنقيط المصحف، وقد ذكرناها خلال هذه الدراسة، كل ذلك يدل على ما ذكرناه، ونحن لا ننكر سائر الدوافع في الحفاظ على اللغة العربية، ومحبة الإنسان لقومه، ولغته، اضافة الى تكريم الإسلام للغة العربية وكونها لغة القرآن الكريم، ولكن نعترف بذلك بمقدار اعتراف الإسلام به، ولا نرىٰ ذلك المبرر لهذا الدافع، وتقديمه على الدافع الديني في هذا المجال.

**٣ ـ محاربة اللحن:**

فكان علىٰ الإمام عليه السلام أن يحارب هذا الخطر الجديد باعتباره خليفة المسلمين وإمامهم وعلى عاتقه مهمّة الحفاظ على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من الخطأ واللحن، وكان يشاركه في هذا الشعور أبو الاسود الذي كان يشعر باللحن ـ كما ذكرنا ذلك في الرواية السابقة ـ وكان يعتبر المستشار في الكثير من القضايا اللغوية ـ آنذاك ـ لدىٰ الخلفاء والولاة، وقد تعرّف على مدىٰ شيوع اللحن علىٰ الألسنة ومدىٰ خطره الديني واللغوي، وكان الدافع لأبي الأسود هو الدافع الديني، لذلك قام بتنقيط المصحف الشريف دون سواه، ولم يتحرك إلّا حين شعر بالخطأ المحدق بالمصحف الشريف، ولكنّ هذا العمل ـ رغم أهمّيته ـ لا يؤدّي هذه الوظيفة بصورة تامّة، لذلك اندفع الإمام عليه السلام وأبو الأسود إلى التفكير جدّياً في محاربة هذا الوباء الزاحف ومعالجته، وذلك بوضع النحو الذي يتكفّل بهذه المهمّة الخطيرة، فإنّ علم

الإسلامية، وأمّا التنقيط فإنّه وإن كان يشكّل جزءاً لا ينفصل عن هذه المهمّة التي تبنّاها الإمامعليه السلام وكلّف بها أبا الأسود ـ بعد ما مهّد له السبيل ـ ولكنّه لا يمكنه معالجة اللحن بصورة تامّة كعلم النحو، كما سنرىٰ ذلك.

وأمّا الاعتراض بأنّ تلك الفترة ـ عصر الإمامعليه السلام ـ لم تكن تسمح بظهور مثل هذه المصطلحات والأفكار الفلسفية والتقسيمات والتعريفات حيث لم يكن الإنسان فيها يملك تلك العقلية المتطوّرة، فيمكن مناقشته بما يلي:

## الوضع البدائي للنحو

**١ ـ نضوج المستوىٰ الفكري:**

نحن نعلم بأنّ ظهور الإسلام قد أدّىٰ إلى نضوج المستوىٰ الفكري العام عند الناس، وخاصة طبقة المفكّرين والمثقّفين، حيث حمل الإسلام إلى البشر مفاهيم وتصوّرات جديدة في مختلف مجالات الحياة، بل إنّ الإنسان في عصر البعثة كان قد بلغ مستوىً من الوعي والإدراك أرقىٰ ممّن سبقه، لذلك كانت معجزة النبيصلى الله عليه وآله معجزة فكرية وهي القرآن الكريم، بينما معجزات الأنبياء السابقين كانت حسّية، وهذا ما يدلّ على ارتقاء الوعي عند الإنسان المعاصر لبعثة الإسلام، بالإضافة إلى ما حمله القرآن الكريم والنبيصلى الله عليه وآله إلى البشر من مفاهيم ومعلومات جديدة وتصوّرات في مختلف

مجالات الكون والحياة، فرفع من وعيهم وزوّدهم بكثير من المعلومات، بالإضافة إلى اختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب والثقافات. هذه الأسباب وغيرها أدّت إلى ارتفاع مستواهم الفكري والثقافي، وفي تلك المرحلة بالخصوص ظهرت بدايات حركة علمية تعتمد التفكير الواعي في فهم مختلف المجالات ـ وخاصة الثقافية ـ ولو أنّ ما صنعوه وفهموه لا يرتفع في مستواه الفكري والثقافي والعلمي إلى ما نراه اليوم في نفس تلك المجالات.

ومن هنا نرىٰ بعض أحاديث المسلمين آنذاك وأفكارهم ومفاهيمهم أسمىٰ بكثير من أحاديث الجاهليّين، بل أحاديثهم أنفسهم قبل انتمائهم للإسلام، وظهر بعض الرجال الّذين بلغوا مستوى علمياً رفيعاً أمثال عبدالله ابن عباس وغيره ـ كما نلاحظ أحاديثهم في كتب التاريخ والأدب والفقه وغيرها ـ كل ذلك للزخم الجديد الذي نفخه الإسلام في أذهان المسلمين وقلوبهم، وهذا ما لا يمكن أن ينكره إلاّ من أعمىٰ الشيطان بصيرته.

هل يمكن لنا أن ننكر تأثير الإسلام وتأثير القرآن الكريم وتأثير الأحاديث النبوية في نفوس المسلمين؟ إنّ المسلمين آنذاك كانوا يعيشون الأجواء القرآنية والنبوية الجديدة بكل مشاعرهم، وكانت المفاهيم الإسلامية تدخل إلى قلوبهم لتفعل فيها فعل السحر، وكانوا يتعلّمون ويقتبسون منها طريق حياتهم، وكان النبي ﷺ هو القدوة والأُسوة لهم، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية وكذلك نهج البلاغة حافلة بالاصطلاحات الجديدة والتقسيمات والتفريعات والتعريفات والأفكار

الفلسفية والمنطقية. سواء في المجال التشريعي أو العقائدي أو الاخلاقي، وغيرها من المجالات التي وضع لها الاسلام تعاليم واحكاماً من أجل اسعاد الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

ألَمْ يتعلّم المسلمون منها طريقة التفكير والاستدلال والمعرفة وخاصة أُولئك الأفراد الّذين يتميّزون بالفكر والوعي والثقافة؟!

ألا نفرّق بين الإنسان قبل الإسلام وبعده؟!

وهل يمكن لنا أن ننكر تأثير القرآن الكريم والأحاديث النبوية في المسلمين؟!

وهل يمكن لنا أن ننكر وجود المفاهيم الجديدة؟!

إنّ من ينكر هذه الحقيقة الملموسة، فهو لا ينكر دور الإسلام فحسب، بل إنّه ينكر أيضاً حقيقة واضحة وواقعاً تشهد له كل الشواهد الحيّة.

وبعد كل ذلك فليس عجيباً أن تظهر من بعض المسلمين المتميّزين بالفكر والثقافة بعض الإبداعات والتقسيمات الجديدة نتيجة لتأثير المرحلة القرآنية والإسلامية الجديدة وما خلقته في المسلمين من معطيات فكرية وثقافية. وقد أشرنا لهذه الفكرة حين البحث عن الشبهات التي أُثيرت حول نهج البلاغة.

ولعلّنا ـ من هنا ـ نستطيع أن نلمح الهدف البعيد الذي تهدف إليه أمثال دائرة المعارف الإسلامية وبعض المستشرقين والسائرين على خطاهم من إنكار هذه النسبة، حيث كانوا يهدفون إلى عدم تأثير الإسلام في تكوين

الوعي الجديد بين المسلمين، وإلى عدم تمكّن المسلم باستقلاله على إيداع فنّ جديد، وأنّ كل ما يبدعه المسلم فهو مقتبس من ثقافات أُخرىٰ، بل ربّما إلى التشكيك في أصل القرآن الكريم والأحاديث النبوية حيث تشتمل على مثل هذه التقسيمات والتعريفات، وأنّ عصرها عصر بداوة لا يمكن أن تظهر فيه تلك التقسيمات إلىٰ غيرها من أهداف جهنّمية، لا يستهدفون منها التشكيك بالتشيّع فحسب، بل بالإسلام كلّه.

## ٢ ـ بدائية النحو:

نحن نعلم أنّ بداية كل علم أو فكرة تبدأ بهذه الصورة البدائية التي تتّجه للكلّيات والمسائل العامة كتقسيم الكلمة مثلاً، ثمّ تتوسّع وتتفرّع لتتضمّن المسائل الجزئية والتفريعات والأبواب والفصول، كما صرّح بهذه الحقيقة الدجيلي فيما نقلناه عنه سابقاً[١]، وهذه الحقيقة يقرّ بها أحمد أمين في بداية كتابه «ضحىٰ الإسلام» فهو يقول حول العصر الإسلامي الأول: «ورأينا المسائل تبحث بنظر أدقّ»[٢]، وهو يعترف بالتفاوت الفكري بين الإنسان الجاهلي والإسلامي، ويعترف بانتقال العلوم النقلية ـ من علوم دينية ولغوية ـ إلى العصر العبّاسي، أي أنّها كانت موجودة ولو بصورة بدائية، أي

(١)مقدّمة ديوان أبي الأسود: ٦٦.

(٢)ضحىٰ الإسلام ٢ / ص ١٠.

بشكل «مسائل جزئية مبعثرة»[1]، وهو يعترف بأنّ هناك «عوامل شخصية أثّرت في العلم لو لم تحدث لأخّرت مسير العلم بعض الزمن»[2] ويقصد من ذلك الحاجة، ونفسّرها نحن بالحاجة الدينية. إذاً فكل هذه الأسباب والدوافع والمسائل يعترف بها أحمد أمين، ثمّ ينكر وجود النحو ولو بصورته البدائية التي استدعت ظهوره الحاجة الملحّة، والتي كانت ـ تلك الصورة البدائية ـ على شكل كلّيات ومسائل عامة، وربّما غائمة في بعض مسائلها وليست عميقة الفكرة وليس داخلها أبواب وفصول وتفريعات كما نراها اليوم.

وعندما نقول (الصورة البدائية) فإنّنا نعني تلك المجالات التي استدعت وجودها الحاجة، فوضع أبو الأسود بعض المسائل والأبواب النحوية بعد ما رأى أنّ الحاجة تدور حول هذا الباب أو ذاك، وبمقدار ما يملكه من ثقافة ووعي وإبداع في خلق النواة الأولى لعلم النحو «فلم يقل أحد إنّها وضعت في أول الأمر كاملة على الوجه الذي نراه في كتب العربية اليوم، وانّما قيل إنّه وضع بابي المفعول والفاعل أو باب التعجب أو إن واخواتها، الخ. فهو لم يضع النحو كاملاً وإنما وضع فكرة ابواب استدعتها الظروف ولا بُدّ أنّ هذه الأبواب التي وضعها وضعت بطريقة عامة مبسّطة ليس فيها من الدقّة والتفريع ما نراه اليوم في كتب القواعد. فالاعتراض إذاً غير قائم لأنّ أحداً لم

---

(1) ضحى الإسلام ٢ / ص ٩.

(2) ضحى الإسلام ٢ / ص ١٥.

يقل به»[1]. ولعلّ ما يؤيّد ذلك وضع أبي الأسود لفكرة (التعجّب) فإنّه واجه حالة حفّزته على البحث عن هذه الظاهرة بعد أن وجد وقوع اللحن في مجال التعجّب خاصة على لسان ابنته حين سألته: «ما أشدُّ الحرّ» فظنّها تسأل، وهي في الواقع تريد التعجّب، فهذا المثال ـ والشكّ حوله ـ حفّز أبا الأسود على متابعة هذه الظاهرة، حتىٰ وصل أخيراً إلى وضع فكرة بدائية عامة عن التعجّب ـ كما ينقل عنه ـ مهّدت الطريق لمن يأتي بعده ليواصل البحث عنها وعن سائر المسائل.

إذاً، فالنحو الذي وضعه أبو الأسود كان بدائياً بسيطاً، كما هو الحال في بدايات مختلف العلوم والأفكار، وإلاّ لتوجّه الاعتراض لكل العلوم أنّها كيف ولدت في أذهان مخترعيها؟

## تقييم أبي الأسود

### ١ ـ شخصية أبي الأسود الثقافية:

ونحن لو درسنا شخصية أبي الأسود ـ لأنّ شخصية الإمام عليه السلام فوق البرهان ـ لرأيناه باعتراف المؤرّخين والنحاة يملك ثقافة واسعة في مجالي اللغة والفكر، حيث كان مطلعاً علىٰ لهجات العرب ولغتها وغريبها وأدبها وكان شاعراً غير مكثر، وكان يدرّس العربية في البصرة، حيث انصرف إليه

---

(١) مدرسة البصرة النحوية: ٥٥.

بعض طلّاب العربية الّذين واصلوا بعده مسيره في تطوير القواعد اللغوية والنحوية والأدبية، وكان يكلّفه بعض الأُمراء بتعليم أبنائهم، وكان المفزع لهم في معالجة المشاكل اللغوية والنحوية والثقافية، وقد تعرّضنا إلى مجالات ثقافية في ترجمة حياته، لذلك نكتفي الآن بهذه الخطوط العريضة. فالجاحظ مثلاً يقول: «أبو الأسود معدود في طبقات من الناس وهو في كلّها مقدّم مأثور عنه الفضل في جميعها، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدّثين والأشراف والفرسان والأُمراء والدهاة والنحويّين والحاضري الجواب والشيعة»[1].

فكان يملك مواهب ثقافية واجتماعية مختلفة، فمثل هذا الشخص الفذّ الذي يملك مثل هذه المواهب ألا يحتمل أنّه وضع بدايات النحو بعد أن مهّد الإمام عليه السلام له الطريق، وفتح عينه على هذا الموضوع؟ وقد أجمع المؤرّخون على أنّه أول من حرّك المصحف الشريف بواسطة التنقيط، وفي هذه العملية دلالة كبيرة على معرفته الواسعة باللغة العربية وحركات الإعراب وعلى ما يملكه من عمق في التفكير وثقافة لغوية، بل تدلّ على توجّهه للقواعد النحوية.

ويتوصّل عبد الرحمن السيّد إلى النتيجة التالية فيقول: «كما لا يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عالماً مشهوداً له بالتقدّم والتفوّق مقصوداً من الخلفاء

(١) نقلاً عن مقدّمة ديوان أبي الأسود للدجيلي: ص١٣، ولاحظ تاريخ الإسلام للذهبي ج٥ـ ص٢٧٩.

والولاة لرسوخ قدمه في العلم وحدّة ذكائه في الفهم ينقّط المصحف كلمة كلمة، ويلاحظ حركات حروفه حرفاً حرفاً، ويفعل ذلك في دقّة وبراعة ثمّ يخرج من عمله هذا دون أن تتكوّن لدية فكرة أولية عن عمل بعض الأدوات أو عن حركة بعض الكلمات ذات الوظيفة المتشابهة والوضع المتّحد، اللّهمّ إلاّ أن يكون راسخ القدم في الغباء بعيداً عن صفات أبي الأسود»[1].

ونحن نضيف إلى قوله: إنّ من يخوض هذه المهمّة ويتكفّل بالقيام بها لا بُدّ أن يملك مسبقاً توجّهاً وفهماً لبعض المسائل والقواعد النحوية.

وسوف نبحث في فصل لاحق هذه القضية ـ قضية تحريك أبي الأسود للمصحف الشريف ـ لنبحث عن كيفيّتها وطريقتها ودوافعها، وأنّها تشابه من قريب أو بعيد وضعه للنحو، وأنّ القادر على القيام بهذه المهمّة قادر على وضع الجذور الأساسية والبدائية للنحو.

### ٢ ـ كتاب أبي الأسود:

فهناك رواية شائعة على ألسنة المؤرّخين والنحاة، وهي أنّه كان لأبي الأسود كتاب في النحو واسمه «التعليقة» إلاّ أنّه ضاع واختفىٰ كما اختفىٰ غيره من الكتب، وكما اختفىٰ كتابا عيسىٰ بن عمر، اللذان اشتهرا على ألسنة النحاة أيضاً، قال ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء: «أول من عمل في النحو

(١) مدرسة البصرة النحوية: ٦٠.

كتاباً»[1] أي أبو الأسود، وقال السيوطي: «قال ابن عساكر في تاريخه: كان أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل النحوي الدمشقي المعروف بابن المكبري يذكر أنّ عنده تعليقة أبي الأسود التي ألقاها إليه علي بن أبي طالب»[2] وقد أكد وجود هذه التعليقة ابن النديم في فهرسته وأتىٰ بكثير من القرائن والشواهد التاريخية علىٰ ذلك[3].

إذاً فهذا الكتاب قد رآه ابن النديم، وهو خبير وثقة في الكتب كما صرّح بذلك المؤرّخون، ويذكر ابن النديم في فهرسته قوله: «رأيت ما يدلّ على أنّ النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربع أوراق أحسبها من ورق الصين، ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول عن أبي الأسود‏رحمه الله بخطّ يحيىٰ بن يعمر، وتحت هذا الخط بخطّ عتيق: هذا خطّ علّان النحوي، وتحته: هذا خطّ النضر بن شميل»[4].

وكذلك ينقل السيد الأمين عن القفطي انه رأىٰ ما يدل على وجود هذا الكتاب بخط أبي الأسود نفسه، وفي كتاب (تدوين السنة النبوية)، وفي مجال ذكر مؤلفات الإمام‏عليه السلام.

(التعليقة النحوية التي ألقاها الإمام‏عليه السلام الىٰ أبي الأسود الدؤلي، نقل

---

(١) الشعر والشعراء: ج ٢ ص ٦١٥.

(٢) الأشباه والنظائر: ١ / ٧.

(٣) الفهرست: ص ٦١.

(٤) المصدر السابق.

خبرها السيوطي عن ابن عساكر ان بعض النحاة كان يذكر ان عنده تعليقة أبي الأسود التي ألقاها إليه علي)[1].

وهكذا نرىٰ ان المؤرخين، وخبراء الكتب، يذكرون كتاباً في النحو وضعه أبو الأسود بتعليم وتوجيه من الإمام‏ﷺ، ولكن اختفاءه لا ينفي وجوده، كما اختفىٰ الكثير من الكتب، وربما كان هذا الكتاب أو التعليقة، يضم ما ألقاه الإمام‏ﷺ إليه من النحو، وما اضافه أبو الأسود نفسه، كما يفهم هذا المعنىٰ من بعض الروايات، كما انه نتيجة للجمع بين الروايات في هذا المجال، كما يدل عليه لفظ (التعليقة) فانه يشعر بأن هناك أصلاً وتعليقة عليه، فربما كان الأصل للإمام‏ﷺ، والتعليقة لأبي الأسود، وربما دلت علىٰ هذا المعنىٰ الرواية السابقة التي نقلناها في بداية هذا القسم من الدراسة عن إنباه الرواة، وروايات أخرىٰ تدل على ذلك، ويدل عليه أيضاً ما في البحار[2].

ان الإمام‏ﷺ كتب رقعة ودفعها الى أبي الأسود وقال: (ما أحسن هذا النحو احش له بالمسائل فسمي نحواً) واحش أي علق عليه حواشي.

---

(١)تدوين السنة النبوية، ص١٤٣ ـ ١٤٤. للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي، عن انباه الرواة للقفطي ١ / ٣٩ وقال: (رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي) وانظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٨٤، والاشباه والنظائر للسيوطي ١ / ١٢ ـ ١٤، وانظر تاريخ الخلفاء له ص١٤٣، ولاحظ طبقات النحويين للزبيدي ص٢١، والفهرست لابن النديم ص٤٥.

(٢)البحار: ٤٠ / ١٦٢.

٣ ـ تلاميذ أبي الاسود:

يحدّثنا التاريخ أنّ هناك تلاميذ لأبي الأسود درسوا على يديه (النحو) وقد ذكر المعارضون من المعاصرين أيضاً وجود النحو عندهم، وهم الّذين اعتبرهم النحاة طبقة نحوية ثانية بعد أبي الأسود في سلسلة طبقات علماء النحو، والّذين عبّر عنهم عيسىٰ بن عمر والخليل وسيبويه نفسه ـ في كتابه ـ بـ (البادئين الأولين).

والمعروف من تلاميذه: يحيىٰ بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، وعطاء بن أبي الأسود، وأبو حرب بن أبي الأسود، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز؛ ولو راجعنا كتب التراجم والتاريخ لرأيناها تصرّح بأنّ هناك تلاميذ لأبي الأسود درسوا على يديه النحو والعربية[1]، كما أنّنا نلاحظ أنّهم حينما يتعرّضون لترجمة هؤلاء يذكرون أنّهم كانوا من النحاة وأنّهم تعلّموا النحو من أبي الأسود. يقول ابن الأثير في تاريخ الكامل حول حوادث سنة تسعين للهجرة: (وفيها توفي نصر بن عاصم الكليني النحوي أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي)[2]، وفي حوادث سنة تسع وعشرين ومئة قال: (وفيها مات يحيىٰ بن يعمر العدوي بخراسان وكان قد تعلم النحو

(١) يلاحظ في ذلك انباه الرواة ٢ / ٣٨٢، وأخبار النحويين البصريين ص ٢٤ ـ ٢٥، والفهرست لابن النديم ص ٥٩، وطبقات الشعراء للجمحي ص ٣٩، والمزهر ٢ / ٣٩٧.

(٢) الكامل ٤ / ٦٧٦، و ٥ / ٣٧٦.

من أبي الأسود الدؤلي) الكامل ج ٥ / ٣٧٦ وغيرها من أقوال كتب التراجم والتاريخ والنحو.

فإذا قلنا إن طبيعة المرحلة البدائية التي عاشها الإمام عليه السلام وأبو الأسود تمنع مثل هذه النسبة ـ نسبة النحو ـ لأنّهم عاشوا قبل الارتباط الثقافي مع الثقافات الأجنبية، وقبل نضج الفكر والتطوّر الثقافيين للمسلمين، فكذلك يصحّ لنا أن نقول مثل هذا القول في الطبقة التالية لهما أيضاً، إذ إنّهم عاشوا في فترة زمنية متقاربة لتلك الفترة، أي أنّهم عاشوا نفس المناخ الفكري والثقافي، إذاً فلماذا ننسبه إلى الطبقة الثانية دون الأولىٰ مع أنّهم يعيشون مناخاً ثقافياً وحضارياً متشابهاً؟!

### ٤ ـ وجود النحو في تلك الفترة:

توجد بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناك في كتب التاريخ والأدب والترجمة حين تؤرّخ فترة العصر الأُموي، بل حتىٰ قبله، وتذكر الخلفاء والولاة أو رجال العصر الأُموي تؤكّد وجود النحو آنذاك، فيذكر إنّه «كان من أعظم المصائب في نفس عبد الملك أنّ ابنه الوليد كان لحّانة وأنّه أخذه بتعلّم العربية فلم يفلح»(١).

ويذكر أنّ الدافع الذي دفع عبد العزيز بن مروان إلى الاهتمام بالعربية ما رواه ابن عساكر قبل هذا الخبر أنّه دخل على عبد العزيز رجل يشكو صهراً

---

(١)من تاريخ النحو: ١٣.

له فقال: «إنّ ختني فعل بي كذا وكذا» فقال له عبد العزيز: «مَن خَتَنَكَ؟» فقال له: «ختنني الختّان الذي يختن الناس» فقال عبد العزيز لكاتبه: «ويحك، بم أجابني؟» فقال له: أيها الأمير إنّك لحنت ـ وهو لا يعرف اللحن ـ وكان ينبغي أن تقول: ومن خَتَنُكَ؟ فقال عبد العزيز: أراني أتكلّم بكلام لا يعرفه العرب، لا شاهدت الناس حتىٰ أعرف اللحن، فأقام في البيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلّمه العربية فصلّىٰ بالناس الجمعة، وهو من أفصح الناس[1].

وفي «البحار» في لفظة (النحو) نقلاً عن كتاب الجواهر للكراجكي: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطبّ للأبدان، والنحو للّسان، والنجوم لمعرفة الأزمان»[2].

وفي العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٨ ـ ١٩٩ (أبو عبيدة قال: مر الشبعي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو، فقال لهم: لئن أصلحتموه انكم لأول من أفسده)، والشعبي من التابعين، والمشهور أن مولده كان لست سنين خلت من خلافة عمر.

وقال عبد الملك بن مروان: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض.

وقال رجل للحسن ـ ولعله البصري ـ: ان لنا أماماً يلحن، قال: اميطوه عنكم فان الإعراب حلية الكلام.

وفي لسان العرب ج ١ ص ٥٨٩ (والاعراب الذي هو النحو، إنما هو الابانة

---

(١) من تاريخ النحو: ١٤، ويلاحظ العقد الفريد ٢ / ٢٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ١ / ٢١٨.

عن المعاني والألفاظ)، ومثله في تـاج العـروس ج ٣ ص ٣٣٥، وفي تـاج العروس أيضاً (والتعريب تهذيب المنطق مـن اللـحن، والتـعريب تـعليم العربية، وفي حديث الحسن انه قال له البتي: ما تقول في رجـل رُعِـف في الصلاة؟ فقال الحسن: ان هذا يُعّرب الناس، وهو يقول رُعِف، أي يعلمهم العربية ويلحن).

وقد فسرت العربية في بعض تفسيراتها (بتوافق الكلام مع قواعد النحو).

والملاحظ، ان لفظة الإعراب أو العربية، وان ذكر لها معان أخرىٰ، ولكن ظروف الرواية وسياقها تقتضي حملها علىٰ المعنىٰ الذي ذكرناه، ويدل على هذا المعنىٰ أيضاً ما ذكره المبرد (أول من وضع العربية ونقط المصحف أبـو الأسود) وظاهره أنه وضع قواعد العربية لا نفسها اذ لا معنىٰ له.

ولفظة (النحو) لغة بمعنىٰ القصد والطريق، يكون ظرفاً، ويكون اسماً.

فالنحو: القصد نحو الشيء، ونحوت نحوه أي قصدت قصده[1]. فالنحو انما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم، أو إن شذ بعضهم عنها رُدّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما ان الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم[2].

---

(١)العين: ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢)لسان العرب: ج ١٥ ص ٣١٠.

أما حول سبب تسميته فقد وردت فيه روايات متعدده منها ما ذكره الخليل في العين (وبلغنا ان أبا الأسود وضع وجوه العربية فقال للناس: انحوا نحو هذا، فسُمّي نحواً ويجمع على الأنحاء)[1]. وهناك رواية أخرى نقلها الذهبي في تاريخ الإسلام وغيره (وقد أمره ـ أي أبا الأسود ـ علي عليه السلام بوضع النحو، فلما أراه أبو الأسود ما وضع قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، ومن ثم سمي نحواً)[2]، ويمكن الجمع بينهما بصدور الكلامين منهما ولا منافاة بينهما.

وذكر الرافعي (لفظ العربية اطلقه أبو الأسود على النحو وعرف به النحو في عصره وبعد عصره أيضاً، ولكن الرواة لم يبالوا بالفروق التاريخية بين الألفاظ)[3].

ويذكر الدكتور الدجني (والخلاصة ان كلمة نحو ومدلولها، لم تكن مستعملة عند النحاة الاوائل فلذلك اطلقوا اصطلاح العربية تارة وأخرى كلاماً وأحياناً الإعراب حتى استقر الرأي على تسميته (النحو) وذلك عند علماء القرن الثاني الهجري، واذا حققنا في تلك الاصطلاحات السابقة (العربية ـ الكلام ـ الإعراب) نجدها لاتتناقض مع معنى النحو، إلا أنها لا

(١)العين: ج ٣ ص ٣٠٢، ويلاحظ أيضاً لسان العرب نفس الصفحة.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ / ص ٢٧٧.

(٣)أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص١٩ عن تاريخ آداب العرب للرافعي ١ / ص ٣٢٧.

تلتزم الدقة في تلك الألفاظ، وهكذا نلاحظ ان العلماء الأوائل الذين نسب إليهم نشأة النحو العربي وهم (الامام علي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٠ هـ وأبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ونصر بن عاصم الليثي المتوفىٰ سنة ٨٩ هـ وعبد الرحمن بن هرمز المتوفىٰ سنة ١١٧ هـ) لم يستعملوا اصطلاح النحو بل أطلقوا تلك المصطلحات التي ذكرتها، وبقيت تلك المصطلحات هي السائدة، طيلة القرن الأول الهجري، وهذا ما اتفق عليه معظم الباحثين والرواة الا أنهم أغفلوا حقيقة هامة وهي عدم معرفة الرجل الذي أطلق (اصطلاح النحو)(١).

وهذا رأي وجيه، إلا أننا رأينا أستعمال مصطلح (النحو) في تلك الفترة في بعض الأقوال التي نقلناها، مع ذكر أسباب التسمية إلا أن يشكك في تلك الروايات، أو تحمل علىٰ غير المعنىٰ المصطلح.

فهذه الروايات والأخبار وأمثالها تدلّ علىٰ توجّه أبناء العصور الإسلامية الأُولىٰ للّحن وللنحو وقواعد العربية، وتدلّ علىٰ وجود النحو والعربية في عصر أبي الأسود أو العصر المقارب له، وقبل الاتّصال بالثقافة اليونانية وقبل تطوّر العقلية العربية ونضجها في العصر العبّاسي كما ادّعاه البعض.

إذاً فأُولئك الّذين ينسبون وضع النحو إلى أفراد مقاربين لعصر الإمام عليه السلام وأبي الأسود لماذا يحاولون ـ وبمختلف الأساليب والمظاهر ـ

---

(١) المصدر السابق.

التهرّب من نسبته للإمام عليه السلام أو لأبي الأسود، أو التشكيك فيها وتكذيبها؟! ولعلّ هناك نوايا سوداء في بعض النفوس المريضة وراء محاولتها التشكيك أو الاعتراض أو التكتّم على هذه النسبة.

## مع الاعتراض الثاني

### النحو العربي والثقافات الأجنبية:

المعارضون يعترضون على أصالة النحو العربي ويعتقدون بأنّ النحو العربي قد اكتسبه الواضع من النحو اليوناني وأنّه لم يتمّ مثل هذا الاتّصال إلا في مرحلة زمنية متأخّرة عن تلك المرحلة التي عاشها أبو الأسود، فقد ذهب رينو «إلى تأثّر النحو العربي بمنطق أرسطو، كما ذهب إلى هذا غير واحد من المستشرقين»[1].

ولكن يمكن توجيه عدّة مناقشات لهذا الاعتراض:

١ ـ إنّ مرحلة وضع النحو العربي متقدّمة زمنياً على مرحلة الاتّصال بالثقافة اليونانية، والملاحظ أنّ بعض المعارضين حينما يبحثون حول جذور النحو العربي نراهم ينتهون إلى عبدالله بن إسحاق ـ المتوفى سنة ١١٧ هـ ـ والذي تتلمذ على يد تلامذة أبي الأسود، وعاش في زمن سابق على زمن

(١) الدكتور إبراهيم السامرّائي، دراسات في اللغة: ٢٠٦.

الاتّصال الثقافي والتلاقح الحضاري بين المسلمين واليونان، إذ إنّ العرب تعرّفوا على الثقافة اليونانية بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، وقد بدأت حركة الترجمة في العصر العبّاسي، وكما ذكرنا في البحث السابق وجود النحو خلال العصر الأُموي، ومن هنا ندرك أنّ النحو العربي كان موجوداً قبل حركة الترجمة، وقبل العصر العبّاسي، أي قبل زمن الاتّصال الثقافي.

٢ ـ اختلاف طبيعة النحو العربي عن النحو اليوناني. يقول الدكتور إبراهيم السامرّائي في مجال عدم تأثّر النحو العربي بالنحو اليوناني: «... ولقد فاته أنّ اليونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية، ولم يكن واضع النحو عارفاً أو متأثّراً باليونانية بأيّ وجه من الوجوه»[(١)] وفيه إشارة لكلا المناقشتين، كما أشار إليهما أيضاً فؤاد حنّا ترزي في بحثه عن «اللغة» التي اكتسب العرب منها نحوهم: «ومن الواضح أنّ هذه اللغة لا يمكن أن تكون السنسكريتية الهندية أو الفارسية لاختلاف نحوهما عن نحو العربية لعدم انتمائها إلى الفصيلة السامية، كما لا يمكن أن تكون اليونانية للسبب ذاته، ولأنّ وضع النحو العربي أسبق في الزمن من احتكاك العرب الوثيق بعلوم اليونان وفلسفتهم»[(٢)].

ونحن نلاحظ أنّ القائلين بتأثّر النحو العربي بالنحو اليوناني إمّا بصورة مباشرة أو بوساطة النحو السرياني، على اعتبار أنّ النحو السرياني قد

---

(١)دراسات في اللغة: ١٣.

(٢)في أُصول اللغة والنحو: ١١٠.

اكتسب نحوه من النحو اليوناني، والنحو العربي قد اكتسب نحوه من السريانية، فهو بالتالي قد اكتسب نحوه من النحو اليوناني، فهذه الفكرة هي نتيجة لتقليد هؤلاء المحدثين للمستشرقين في أقوالهم، فإلى مثل هذا الرأي ذهب دي بور[1].

وفكرة الاكتساب لم يكن لها عند القدماء أثر، وإنّما ابتدعها المستشرقون واتّبعهم بعض المحدثين من العرب، وخاصة الكُتّاب المصريّين كما يقول إبراهيم السامرّائي[2]، ولعلّ هذا الرأي جزء من تلك الحملة المسعورة التي شنّها الغرب على الساميّة، والتي كان من أقطابها رينان، ولعلّ هدفها الرئيس هو الإسلام «فقد ذهب هؤلاء إلى أنّ العقلية العربية الإسلامية قد تأثّرت في صورها المختلفة بالعقلية الإغريقية، وأول من أطلق هذه الأحكام هم المستشرقون، ومن بين هؤلاء من لم يتّصف بالعدل والقصد، فما أمر رينان الفرنسي في القرن الماضي ببعيد، فقد ذهب إلى أنّ العرب أو قل: إنّ العقلية الساميّة لا ترقى إلى غيرها من العقليات كالإغريقية والرومانية، ومن أجل هذا كان هؤلاء عيالاً على غيرهم من الشعوب في حضارتهم، وقد أسرف هذا الفرنسي المسيحي المتعصّب لأكثر من غرض واحد، ولسنا بصدد بيان هذا، وقد ذهب غيره هذا المذهب دون أن يلتزم بعنفه وشدّته، ولا أُريد أن أدفع عن ثقافتنا تأثير الإغريق فما إلى ذلك قصدت وأنا إن

---

(١) دراسات في اللغة: ١٤.

(٢) دراسات في اللغة: ١٤.

فعلت ذلك فقد جُرْت على الحقيقة كما جار النفر الآخر»[١].

إنّ هذه الحملة المسعورة على الساميّة ـ أسبابها وأهدافها وأساليبها ـ لسنا في مجال البحث عنها فللحديث عنها مجال آخر، ومن هنا ذهب هؤلاء إلى تأثّر النحو العربي بالنحو اليوناني إمّا بصورة مباشرة أو بوساطة النحو السرياني، ولم يقولوا بتأثّره بالنحو السرياني فحسب، لأنّ السريان ساميّون أيضاً، بينما اليونان غير ساميّين، وهم لا يريدون الاعتراف بالساميّين.

ولكن نقول: إنّ النحو العربي لم يتأثّر بالنحو اليوناني بصورة مباشرة لما ذكرناه، وكذلك لم يتأثّر بالنحو السرياني كما سنبحثه، فينهار أساس التأثّر بالنحو اليوناني.

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أنّ النحو العربي قد اكتسبه العرب من النحو السرياني المشابه في كثير من أُصوله وأحكامه للنحو العربي، على اعتبار اشتراكهما في الساميّة، ولأنّ الاتّصال بين العرب والسريان قد تمّ قبل الاتّصال بين العرب واليونان، فلا بُدّ أن يتعرّف العرب على ثقافة السريان ومنها النحو، وذلك لأنّ النحو السرياني قد وضع قبل وضع النحو العربي كما يقول جرجي زيدان: «إنّ السريان دوّنوا نحوهم وألّفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس الميلادي، وأول من باشر ذلك منهم الأُسقف يعقوب الرهاوي الملقّب بمفسّر الكتب، المتوفى سنة ٦٤٠م»[٢].

---

(١) دراسات في اللغة: ٢٠٢.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية: ١ / ٢٥١.

ولا يحتمل اكتساب النحو العربي من النحو العبري، لأنّ النحو العبري لم يدوَّن إلاّ في القرن العاشر الميلادي، أي بعد تدوين النحو العربي[1]. (فقد كان سعيد بن يوسف الفيومي فيلسوف اليهود في القرن العاشر أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري علىٰ غرار قواعد اللغة العربية في كتابه المعروف بـ(إكرون) أي المجموعة)[2].

ولا يهمّنا في هذا المجال الحديث حول النحو السرياني، وهل هو مكتسَب من النحو اليوناني ـ كما يصرّح بذلك الكثير من الباحثين ـ وخاصة أنّ الاتّصال الثقافي بين اليونان والسريان كان وثيقاً، فانتقل على أثر ذلك الكثير من الأفكار الفلسفية والنحوية إليهم، وإنما نستهدف هنا البحث حول مدىٰ تأثّر النحو العربي بالنحو السرياني.

فمن الباحثين الّذين يؤمنون بتأثّر النحو العربي ـ في بدايته ـ بالنحو السرياني أحمد حسن الزيّات حيث يقول: «والغالب في ظنّنا أنّ أبا الأسود لم يضع النحو والنقط من ذات نفسه وإنشائه وإنّما نظنّ أنّه ألمّ بالسريانية ـ وقد وضع نحوها قبل نحو العربية ـ أو اتّصل بقساوسها وأحبارها فساعده ذلك على وضع ما وضع»[3] وإلى هذا الرأي ذهب إبراهيم مدكور[4] وجرجي

---

(١) في أُصول اللغة والنحو: ١١٠.

(٢) مجلة التوحيد: العدد ٦٥ ص ١٨٠، نقلاً عن كتاب قواعد اللغة العبرية ص٤٢.

(٣) تاريخ الأدب العربي: ١٥٤.

(٤) مجلّة مجمع اللغة العربية: ٩ / ٣٢٨.

زيدان[1] وفؤاد حنّا ترزي[2] وغيرهم، وكذلك بعض المستشرقين، وينقل فؤاد حنّا ترزي تأكيداً لرأيه هذا، حديثاً عن العلماء السريان الّذين عاصروا بدايات الحركة الثقافية الإسلامية: «والأُسقف سويرس سيبوخت، المتوفىٰ عام ٦٦٦م، وقد كان يتقن اليونانية ونقل بعض كتبها في الفلسفة والمنطق، كما عُني بالصرف والنحو السريانيّين، وشجّع التعاون الثقافي بين المسلمين والسريان»[3].

## أصالة النحو العربي

**١ ـ القائلون بالأصالة:**

وهذا الرأي الذي يذهب إلى اكتساب النحو العربي عارضه بعض المعاصرين الّذين ذهبوا إلى أُصالة النحو العربي ابتداء وإنْ تأثّر في بعض مجالاته في مراحل تطوره ـ بعد ذلك ـ بالثقافات الأجنبية، فلم يتأثّر لا بالنحو الإغريقي واليوناني مباشرة، ولا بوساطة النحو السرياني.

يقول السامرّائي: «والقول بهذا التأثّر نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين

(١) تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٥١.

(٢) في أُصول اللغة والنحو: ١١٠.

(٣) في أُصول اللغة والنحو: ١١٠.

للمستشرقين في أقوالهم»[1].

ويذهب لذلك الطنطاوي فيقول: «نشأ النحو في العراق في صدر الإسلام، ولأسبابه نشأة عربية على مقتضىٰ الفطرة، ثم تدرّج به التطوّر تمشّياً مع سُنّة الترقّي حتىٰ كملت أبوابه غير مقتبس من لغة أُخرىٰ لا في نشأته ولا في تدرّجه»[2].

ويذهب هذا الرأي الدكتور الدجني، فبعد ان يناقش فرضية الاكتساب من اليونانية أو السريانية مناقشة قوية، وفق المستندات والنصوص التاريخية، وأدلة أخرىٰ يقول: (والخلاصة التي وصلنا إليها بعد هذا العرض للآراء والرد عليها في أصل النحو العربي، توصلت الى ان النحو العربي عربي عريق العروبة أصيل الطابع.. أما النحو العربي فهو الإعراب من فعل وفاعل ومفعول الى آخر اقسامه المختلفة فهو عربي أصيل العروبة في نشأته وتسميته أيضاً، ولم يستعن المؤسس بالنحو السرياني ولا غيره)[3].

ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً بعض المستشرقين، فيقول ليتمان: «ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً، وهو انّه أبدع العرب علم النحو ابتداء...»[4].

---

(١)دراسات في اللغة: ١٣.

(٢)نشأة النحو: ١٤.

(٣)أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص٧٨.

(٤)نقلاً عن نشأة النحو: ١٥.

وهبو تولد فايل يقول: «حفظت لنا الرواية العربية في مجموعات مختلفة من كتب التراجم وصفاً لمسلك نموّ هذا العلم الذي هو أجدر العلوم أن يعدّ عربياً محضاً»[1].

ويذكر بروكلمان: «إنّ علماء العرب يردّدون دائماً الرأي القائل بأنّ النحو العربي صدر عن روح عربية خالصة، ويرىٰ أنّه ليس من الممكن إبداء رأي موثوق به عن المسألة مسألة اتّصال علماء اللغة الأُول بنماذج أجنبية نسجوا على منوالها، ويذكر رأي برونيش القائل بأنّ تأثير الأجانب في علم اللغة العربية ـ النحو العربي ـ لم يحدث إلاّ ابتداء من سيبويه الفارسي في حين أنّ أُستاذه الخليل كان عربياً خالصاً»[2].

وبذلك نرىٰ أنّ بعض المستشرقين منصفون في آرائهم واحكامهم، ولكن لا يعني ذلك أن ننظر للجميع تلك النظرة الأمينة والصادقة، بل حتىٰ الباحثون المنصفون منهم والّذين يحاولون معالجة القضايا الإسلامية معالجة منصفة وموضوعية يتوصّلون أحياناً إلى آراء غير سليمة، لأنّهم لم يعيشوا الروح والمشاعر الإسلامية والأجواء التراثية والثقافية التي يعيشها الإنسان المسلم وهذا لا يمنع أن تكون لهم آراء صائبة في بعض المجالات.

---

(١)نقلاً عن مدرسة النحو البصرية: ١٠٤.

(٢)نقلاً عن مدرسة النحو البصرية: ١٠٤.

## ٢ ـ فرضيّة الاكتساب:

الملاحظ أنّ الرأي الذي يذهب إلى أنّ أبا الأسود قد تأثّر بالثقافة السريانية يعتمد على الفرض فحسب، إذ ليست هناك أيّة رواية، أو أيّ سندٍ تاريخي، أو رأي من القدماء يثبت لنا هذا التأثّر بصورة موثوقة، فلم يتعرّض له حتىٰ واحد من القدماء الّذين ذكروا أن أبا الأسود وضع النحو العربي، بالرغم من أنّ المعروف عن علمائنا القدامى تتبّعهم وتحقيقهم في البحث عن المسائل العلمية والثقافية، وقد ذكروا تأثّر المسلمين باليونان أو غيرهم في بعض العلوم أمثال المنطق والفلسفة، ولم يذكروا مثل ذلك عن بدايات علم النحو ولم يتعرضوا ولو بإشارة عابرة الى تعلم أبي الأسود للسريانية أو تعرفه عليها.

ولكن في المقابل هناك الكثير من الروايات المتواترة والآراء العديدة وإجماع القدامى على وضع أبي الأسود للنحو بتوجيه من الإمام عليه السلام، حيث تؤكّد ـ بل تستدل ـ على أصالة وضعه وعدم تأثّر أبي الأسود في ذلك بالثقافات الأُخرىٰ كما يقول كمال إبراهيم: «لم يثبت تاريخياً أنّ أبا الأسود أو غيره ممّن عمل في وضع قواعد لغة العرب من بعده كان يعرف اليونانية، أو أنّه اختلط بالسريان، أو عرف السريانية وأخذ النحو أو شيئاً من هذه اللغة منها، ومؤرخو السِيَر العرب لم يتركوا شيئاً من تفاصيل حياة أبي الأسود إلا ذكروه، وكذلك الأمر بالنسبة لمن سواه، ولو أنّ أحداً منهم وقع له شيء من

هذا القبيل لما فات واحداً على الأقل من مؤرّخي تلك السِيَر»[1].

فهم بالرغم من قرب عهدهم من أبي الأسود، وتـتبّعهم في مـثل هـذه القضايا، وأمانتهم ووثاقتهم في النقل، لم يتعرّضوا من قريب ولا بعيد لتأثّر أبي الأسود ـ أو غيره من واضعي النحو العربي ـ بالثقافات الأجنبية، ثمّ يظهر بعد أجيال طويلة من يتبنىٰ هذا الرأي، فهل عثر علىٰ شيء جديد كان قد خفي على علمائنا المعاصرين وغير المعاصرين لأبي الأسود؟! إذاً فلا يعدو هذا الرأي أن يكون فرضية لا تعتمد على سند تاريخي.

### ٣ ـ طبيعة التشابه:

إن وجود التشابه لا يدلّ علىٰ الاكتساب فإنّنا قد رأينا سابقاً مـدىٰ الحاجة الملحّة لحفظ القرآن الكريم من الضياع والغموض، وبدافع من تلك الحاجة والضرورة الدينية كان لا بُدّ من التفكير في وضع النحو «ووجود تشابه في شيء من النحو بين لغة ولغة لا يدلّ بالضرورة على أنّ نحو هذه قد أُخذ من نحو تلك ولا سيما بين اللغات الناشئة في منطقة جغرافية واحدة أو مناطق متقاربة ذات احتكاك بينها»[2].

أمّا «التشابه بين العربية من جهة والسريانية والعبرية من جهة أُخرىٰ فهو أمر طبيعي، ذلك لأنّ هذه اللغات الثلاث من فروع لغة واحدة هي اللغة

---

(١) مجلّة البلاغ، واضع النحو الأول، العدد ٩ ص٢٦.

(٢) مجلّة البلاغ، واضع النحو الأول، العدد ٩، ص ٢٥.

السامية الأصلية، ولا ريب أنّ ما ورثته كل لغة هو عين ما ورثته الأُخرىٰ من اللغة الأُمّ، والتوافق كثير بين كل لغة وأُختها»[1].

ونرىٰ هذا التوافق بينهما ليس في مجال النحو فحسب، بل يشمل الكثير من المجالات اللغوية، وهذا ناشئ من تشابه اللغتين في الأُصول وفي كثير من الملامح، لأنّهما من منبع واحد هو اللغة السامية.

إذاً «فالقواعد التي تستنبط من كل لغة تأتي متشابهة إلى حدّ كبير وقواعد اللغة الأُخرىٰ، وهذا لا يعني أنّ نحو هذه أُخذ من نحو تلك، بل لأنّ الطبيعة اللغوية قد فرضت ذلك»[2] ونرىٰ ذلك جليّاً في مجال التشابه في تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أقسام في أكثر اللغات، لأنّ طبيعة الألفاظ البشرية تقتضي ذلك، وما دام الأمر كذلك فلا ضرورة للاكتساب ما دام هذا التوافق في الطبيعة اللغوية موجوداً، ويكفي الفرد المثقّف الواعي إلقاء نظرة واعية نافذة إلى لغته ليبصر ويكتشف أمثال هذه الأقسام أو غيرها من الأبواب اللغوية، فليس النحو علماً خرج من العدم، وإنّما هو قواعد موجودة في اللغة يعتمد اكتشافها على الاستقراء، وقوّة الملاحظة، وعمق في التفكير والوعي، ومعرفة واسعة في اللغة، وخاصة لو وجد الدافع الذي يحرّك هذا التطلّع في الإنسان ويثيره للبحث عنها، وقد توفّرت كل هذه العناصر في أبي الأسود.

---

(١) المصدر السابق: ص٢٦.

(٢) المصدر السابق: ص٢٧.

### ٤ ـ مدىٰ تأثير الثقافات الأجنبية:

ولكنّ القول بأصالة النحو العربي أصالة عامة شاملة في بداياته وفي مراحل تطوّره وتوسّعه وفي كل أبوابه وتفريعاته ومسائله لا يصحّ القول به أيضاً، إذ نتيجة لمرور الزمن وسعة وشدّة اتّصال العرب بالأجانب واختلاطهم بهم والتلاقح الثقافي بينهم والانبهار والتأثّر الشديد بالفلسفة والمنطق وبعض العلوم الوافدة من الثقافات الأُخرىٰ، دخلت للنحو مسائل وعناصر جديدة وغريبة عن وجهه وأصالته، كما تأثّرت سائر العلوم الإسلامية بمثل هذه الثقافات الوافدة بالرغم من أصالتها في بداياتها «فالعرب تأثّروا بهما ـ أي بالفلسفة والمنطق اليونانيّين ـ في تنظيم النحو وتهذيبه، وفي بعض مصطلحاته وأساليبه، وفي طريق الحِجاج والمناقشة فيه، وهناك فرق بين نقل النحو عنهم أو تقليدهم والتأسّي بهم في إبداعه وإنشائه، وبين الإفادة من هذا المنطق في طريقة البحث فيه والاستدلال عليه وفي استعارة بعض مصطلحاته أو السير على نهجه وأُسلوبه»[(١)].

وهذا الرأي الذي يذهب إلى تأثّر النحو العربي في مراحل تطوّره بالثقافات الأجنبية قد اعترف به حتىٰ بعض النحاة والمؤرّخين القدامى، لا في بدايات نشأته.

ومن هنا ظهرت حركة عند بعض القدامى والمعاصرين من النحاة في

---

(١) مدرسة البصرة النحوية: ١٠١.

تهذيب النحو وتجريده من العناصر الدخيلة فيه والمسائل المتأثّرة بالفلسفة والمنطق وإعادته إلى وجهه الأصيل، ممّا يدلّ على وجود قواعد ومسائل أصيلة في النحو غير متأثّرة بالثقافات المستوردة والأجنبية.

**مرحلة الوضع الزمنية:**

وقد نسلّم للمعارضين ونقول: إن النحو العربي ليس أصيلاً في وضعه، بل هو مكتسب، وقد اكتسب من الثقافات الأجنبية، فحتىٰ على هذا الفرض، فإنّ مرحلة وضع النحو العربي لا تتأخّر عن عصر الإمام، ولا ينهار الرأي الذي يذهب إلى وضع الإمام وأبي الأسود للنحو العربي وذلك:

١ ـ تأثير الثقافة اليونانية: قلنا: إنّه لا يمكن أن يكون الاكتساب من الثقافة اليونانية، وذلك لأنّنا ذكرنا أنّه لا يمكن أن يكون الاكتساب من هذه الحضارة لأنّ اتّصال المسلمين بها قد حدث في فترة متأخّرة، والنحو العربي كان موجوداً قبل زمن الاتّصال وقبل نقل الكتب اليونانية وترجمتها، فسيبويه والخليل وعيسىٰ بن عمر ينقلون عن نحاة قبلهم يعبّرون عنهم بـ «البادئين الأولين».

٢ ـ تأثير الثقافة السريانية: إذاً فلا بُدّ أن يكون الاكتساب من غير الحضارة الإغريقية المتأخر وفودها للبلاد الإسلامية، وكما يذهب إليه بعض المعاصرين أنّ النحو العربي متأثّر بالنحو السرياني، فالسريانيّون دخلوا الإسلام في خلافة عمر وخالطوا المسلمين مخالطة وثيقة آنذاك ـ وخصوصاً

في العراق ـ «ولم يكن العلماء السريان هم السبيل الوحيد لهذا التأثّر، بل اشترك معهم وربّما بزّهم أُولئك الموالي من السريان الّذين استعربوا وأسهموا في الدراسات النحوية والعربية إسهاماً مباشراً»[1].

وكما مرّ أنّ (سيبوخت) قد شجّع التعاون الثقافي بين المسلمين والسريان، فمثل هذا الاتّصال الثقافي الوطيد بين العرب والسريان منذ صدر الإسلام يفرض أن يطّلع المسلمون على التجارب الفكرية والثقافية ـ ومنها النحو ـ لدى السريان، ومن هنا تنشأ فكرة احتمال اكتساب النحو في بدايته من السريان، ونحن قد ناقشنا هذا الاحتمال.

٣ـ ولكن هذا الاحتمال ـ على تقدير تسليمه ـ لا يؤخّر زمن الوضع عن تلك الفترة التي حدّدناها ـ أي زمن الإمام عليه السلام ـ إذ ليس هناك أي ضرورة للتأخير وقد كان السريان منتشرين منذ خلافة عمر في الأوساط الإسلامية، ففي خلال هذه المدّة إلى زمان خلافة الإمام عليه السلام ألا يحتمل أن يكون المسلمون قد تعرفوا على الثقافة السريانية ومنها النحو؟

يقول العقّاد في هذا المجال: «ولكنّ الروايات العربية لا تنتهي إلى مصدر أرجح من هذا المصدر، وغيرها من الروايات الأجنبية والفروض العلمية لا تمنع عقلاً أن يكون الإمام عليه السلام أول من استنبط الأُصول الأُولى لعلم النحو العربي من مذاكرة العلماء بهذه الأُصول بين أبناء الأُمم التي تغشى الكوفة وحواضر العراق والشام وهم هناك غير قليل، ولا سيما السريان الّذين

---

(١) فؤاد حنّا ترزي، في أُصول اللغة والنحو: ١١١.

سبقوا إلى تدوين نحوهم، وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية[1]».

فإذا كان الاتّصال بالسريانيّين ممكناً في عصر الإمام(ع) وأبي الأسود فلا يتأخّر التدوين عن تلك الفترة على تقدير اكتساب أبي الأسود النحو منهم.

٤ـ بل يمكن لنا القول: إنّ النحو السرياني مكتسب من النحو العربي، فقد ذكر المؤرّخون أنّ يعقوب الرهاوي هو أول من وضع النحو السرياني ودوّنه «فهو أول من باشر وضع هذه القواعد للسريانيّين»[2] وقد ذكر جرجي زيدان أنّ يعقوب الرهاوي قد توفي سنة ٦٤٠م، ولكنّ هذا غير صحيح، إذ ذكر عبد الحميد حسن نقلاً عن «اللمعة الشهية» أنّه توفي سنة ٧٠٨م، كما ذكر ذلك أيضاً دي بور وأحمد أمين وفؤاد حنّا ترزي، وقبل هذا التاريخ كان قد توفي أبو الأسود، إذ إنّه توفي سنة ٦٨٨م، وهو أول من وضع النحو العربي.

إذاً فقد توفي أبو الأسود قبل وفاة الرهاوي بعشرين سنة، فهو أسبق زمنياً منه، وابو الأسود عاش ٨٥ سنة كما ذكرناه في ترجمته، كما أنّه لم يضع النحو في أواخر عمره، بل وضعه في زمان خلافة الإمام(ع)، فيكون قد وضع النحو قبل وفاته بـ ٣٣ سنة، مضافة إلى ٢٠ سنة، فيكون قد وضع النحو قبل وفاة الرهاوي بـ ٥٣ سنة، فهل يمكن اكتساب النحو من السريانيّين قبل وضع نحوهم وقبل تدوينه؟.

---

(١) العبقريات الإسلامية: ٩٧٠.

(٢) مدرسة البصرة النحوية: ٩٨.

إذاً فلماذا لا نفرض العكس ونقول: إنّ السريان قد اكتسبوا نحوهم من العرب ـ كما ذهب البعض إلى ذلك ـ وكما يذكر ذلك صاحب «اللمعة الشهية»[1]؟! ولماذا الإصرار على ضرورة الاكتساب؟! ولماذا لا نقول إنّه ليس هناك اكتساب، بل كل لغة ابتكرت نحوها بعد تجمّع العوامل المحفّزة على ذلك؟!

وأنا لا أُريد أن أُؤيّد نظرية الأصالة وعدم الاكتساب بصورة مطلقة وشاملة، بل أُريد أن أقول: إنّه لا يمكن اكتساب النحو العربي من النحو السرياني، للأسباب التي ذكرناها.

إذاً ـ وكما قلنا سابقاً ـ فإنّ فكرة اكتساب النحو في بدايته (فرضية) لا تثبتها أدلّة وروايات تاريخية على العكس من (أصالته) التي تثبتها ـ بالإضافة إلى الأدلّة التي يذكرها المعاصرون والقدامى ـ روايات ونصوص تاريخية تؤكّد هذا الرأي، وأنّ الإمام عليه السلام أو أبا الأسود قد وضع النحو العربي.

ولكن على أيّ احتمال فلا يتأخّر تاريخ بداية النحو عن تلك المرحلة الزمنية التي عاشها الإمام عليه السلام وأبو الأسود.

---

(١) مدرسة البصرة النحوية: ٩٩.

## مع الاعتراض الثالث

وتناقش فيه الرأي الذي يذهب إلى «أنّ أقدم من نُسبت إليه آراء نحوية هو عبدالله بن إسحاق، ولا يجد رأياً لأبي الأسود، ولا لطبقتين بعده في كتاب سيبويه أو ما بعده»[1] كما مرّ ذكره.

ومناقشتنا ـ كما هو منهجنا ـ على خطوات:

### ١ ـ تأخّر التدوين:

فقد تأخّر التدوين والكتابة في شتّى المجالات الثقافية ـ إلاّ في المصحف الشريف ـ وليس في مجال النحو فحسب، بحيث كانت المسائل تحفظ في الذاكرة دون محاولة تدوينها وكتابتها ـ كما تذكر ذلك المصادر التاريخية ـ ومن هنا نفسّر اختلاف الروايات في شكلها ومتنها ـ حتى بالنسبة للحديث الواحد ـ وهذا الأمر نلاحظه حتى في الأحاديث النبوية الشريفة، فكيف في الروايات التي لا تملك ذلك الحافز الديني ولا تلك القداسة التي يملكها الحديث النبوي كهذه الروايات ـ كما سيأتي البحث في هذا الأمر ـ فلم تسجّل أو تدوّن آراء أبي الأسود، أو آراء الطبقة الثانية التي من بعده، لعدم شيوع التدوين آنذاك، وللاعتماد على الذاكرة والحفظ في الصدور فحسب،

---

(١) إبراهيم مصطفى، في مقالة له في مجلّة الآداب، نقلاً عن مدرسة البصرة النحوية: ٥٣.

التي تكون عادة عرضة للنسيان والإهمال[1].

## ٢ ـ بدائية آراء أبي الأسود:

وإضافة إلى تأخّر التدوين «فإنّ مسائل النحو ليست مسائل ثابتة لا تتغيّر، وإنّما هي مسائل يأخذها الخلف عن السلف، يزيدون عليها ويفرّعون فيها بحسب الضرورة الداعية والتلاميذ المتعلّمين، وأظنّنا نشاهد ذلك بعد أن استقرّت مسائل النحو وثبتت قواعده، ونشاهد تيسيراً وتعديلاً لا يختلف حقيقة مع الأصل، ولكنّه يتّفق مع العقلية ومع الحاجة الداعية»[2].

فعدم ذكر رأي لأبي الأسود في كتاب سيبويه ليس لأجل عدم وجود رأي نحوي له، بل لبعد الزمن وعدم تسجيل آرائه كتابةً، بينما ذكرت آراء عبدالله بن أبي إسحاق ـ مثلاً ـ لأنّ الخليل كان قد تلقّاها منه مباشرة ونقلها إلى تلميذه سيبويه، وكذلك لتطوّر الآراء النحوية بحيث لا تتلاءم بعقليتها ومنهجيّتها وطبيعتها البدائية العامة مع كتابتها وعرضها في كتاب سيبويه ـ أو في غيره من الكتب النحوية ـ بعد أن طوّرها ووسّعها تلامذة أبي الأسود ومن بعدهم وفرّعوا فيها واعتمد على مناهج وأساليب وآراء تتلاءم وروح عصرها ووعيه بحيث وصلت لسيبويه بالصورة الثانية المتطورة

(١) يلاحظ الملحق في آخر الكتاب حول «المنع من التدوين».

(٢) مدرسة البصرة النحوية، الدكتور عبد الرحمن السيّد: ٥٧.

وليست بالشكل الذي وضعه أبو الأسود.

وحتىٰ آراء عبدالله بن أبي إسحاق النحوية ـ الذي يصفه النحاة والمؤرّخون «بأنه أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل»[1] ـ لم تذكر ولم يألفها النحاة بعد ذلك «يقول محمد بن سلام: سمعت رجلاً يسأل يونس عن ابن أبي إسحاق وعلمه، قال: هو والنحو سواء، أي هو الغاية فيه، قال: فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال: لو كان في الناس اليوم من لا يعلم إلاّ علمه لضحك به ولو كان فيهم أحد له ذهنه ونفاذه، ونظر نظره كان أعلم الناس»[2] فإذا كان شأن آراء ابن أبي إسحاق كما ذكر فكيف يكون الحال في آراء أبي الأسود وهو متقدّم زمنياً عليه؟!

### ٣ ـ الرواة المعاصرون لأبي الأسود:

ولكن كل ذلك ليس بشيء أمام ذلك الحشد الكبير من الروايات المثبتة لهذه النسبة «وبعض الروايات لمؤرّخين كانوا قريبي العهد إلى عصر وضع النحو»[3] كما مرّ ذكرهم، إضافة إلى ما ذكره النحاة في كتبهم وسيبويه نفسه «من ذكر اصطلاحات نحوية وقواعد عرفت بالنقل عن البادئين الأولين، والناقلون هم من أوثق الثقات كالخليل بن أحمد وابن العلاء، فقد درس

---

(١) مراتب النحويّين: ١٢.

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ٢٠.

(٣) كمال إبراهيم، واضع النحو الأول، مجلّة البلاغ، العدد ٩ ص٢٧.

هؤلاء على رجال الطبقة الثانية»[1] فإذا لم يكن البادئون الأولون أبا الأسود وتلاميذه، إذن فمن يكونون؟! مع العلم أنّه لم تفصل ـ كما يدلّ الرأي السابق ـ بين طبقة الخليل وابن العلاء وبين طبقة أبي الأسود فترة زمنية واسعة، هذا كلّه بالإضافة للشواهد التي ذكرناها سابقاً والتي تدلّ على وجود كتاب لأبي الأسود في النحو وتعرّض بعض الكتب النحوية لآرائه ووضعه أمثال تقسيم الكلمة.

## ٤ ـ سيبويه وأبو الأسود:

وبعد ذلك كلّه يقول كمال إبراهيم: «وهذا كتاب سيبويه ـ وهو بين أيدينا ـ وسند الرواية فيه، فإنّه يروي عن السابقين، فإذا روى عن بعضهم فقد يصل بالسند إلى أبي الأسود وينتهي عنده، وهذا يدلّ على أنّه كان الواضع الأول»[2]، إذاً فسيبويه أشار إلى أبي الأسود في كتابه إمّا بالإيماء كتعبير السابقين والبادئين والأولين حيث يشعر هذا التعبير بقدمهم زمنياً لا أنّهم مقاربون لعصره، أو أشار إليه بالتصريح كما ذكره كمال إبراهيم، ولكن ذكر الدكتور الدجني وغيره أن (سيبويه لم يرو لأبي الأسود شيئاً)[3].

وقد تتبعت قدر الامكان كتاب سيبويه فلم أجد ذكراً لأبي الأسود،

---

(١) كمال ابراهيم، واضع النحو الأول، مجلة البلاغ، العدد ٩ / ٢٧.

(٢) كمال ابراهيم، واضح النحو الأول، مجلة البلاغ، العدد ٩ / ٢٧.

(٣) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص ١٨٤.

ولعل مراد كمال ابراهيم ان سيبويه اشار إليه بالايماء بقوله: (البادئين الاولين) لا بالتصريح.

## مع الاعتراض الرابع

ونناقش فيه مشكلة اختلاف الروايات، في سبب الوضع، وفي الشكل اللفظي للروايات، وفي الواضع.

### ١ ـ الاختلاف في سبب الوضع:

عرفنا سابقاً مدىٰ شيوع اللحن، ومدىٰ خطره الديني واللغوي، وكان الإمام‌عليه‌السلام قد اطّلع على بعض مضاعفات ومظاهر هذا الوباء على الألسنة، كما أنّ أبا الأسود كان يلمس بين آونة وأُخرىٰ مدىٰ انتشار اللحن بين المسلمين نظراً لثقافته اللغوية وإحساسه باللحن وتفكيره الدائم في هذا المجال، وكان يرىٰ شواهد كثيرة للّحن بين الناس، وكان ينقل بعض هذه الشواهد والمؤشّرات للإمام‌عليه‌السلام كما درسنا ذلك.

إذاً فالسبب الذي دعا إلى وضع النحو هو (انتشار اللحن)، ولا يمكن أن يكون اللحن منتشراً إلا إذا كانت هناك مؤشّرات وشواهد عديدة تعبّر عن هذا الانتشار، أمّا إذا كان هناك شاهد واحد للّحن ـ أو شاهدان ـ فلا تدفع مثل هذه الضآلة الإمام‌عليه‌السلام أو أبا الأسود لوضع النحو، لأنّه حينئذ لا يشكّل

حافزاً قويّاً فاعلاً لوضعه، فإذا أدركنا ذلك عرفنا لماذا تعدّدت الأسباب لوضع النحو.

يقول عبد الرحمن السيّد: «.. لأنّه إذا كان السبب في التفكير في هذا العلم خطأ واحد فقد نتساءل: لقد سبق هذا الخطأ بأخطاء أُخرىٰ نبّه إليها، وعيب بها قائلوها، فلم لم يدفع واحد منها إلى وضع هذا العلم؟! ولم أُهملت كلّها؟! أو اكتفي فيها كلّها بمجرّد التصويب والتصحيح، والحقّ أنّ النفس تميل إلى تعدّد الأسباب والأخطاء، وأنّ هذا التعدّد في الخطأ والتنوّع فيه هو الذي حفّز الهمّة وقوّىٰ الرغبة في محاولة التخلّص منه»[1] فكانت هناك أخطاء نحوية قليلة صدرت قبل هذه الفترة، ولكنّها لم تحفّز على التفكير في وضع النحو، وذلك لقلّتها وضآلتها، وإنّما بدأ التفكير حينما اتّسعت ظاهرة اللحن ـ للعوامل التي ذكرناها سابقاً، والتي كانت تشجّع على هذا الانتشار والاتّساع ـ وخوفاً من تزايد هذه الظاهرة في المستقبل بحيث يصعب علاجها.

## ٢ ـ الاختلاف في متون النصوص:

كما نرىٰ ذلك في بعض الروايات الواردة في هذا المجال، ولكنّنا نلاحظ أنّ هذا الاختلاف لا يقتصر عليها فحسب، بل نراه أيضاً حتىٰ في الأحاديث النبوية الشريفة مع وجود حوافز أقوىٰ وأكثر لحفظها وعدم إهمالها

---

(١) مدرسة البصرة النحوية: ٥٠.

ونسيانها، كلّ ذلك لأجل عدم وجود التدوين وتأخّر الكتابة، والاعتماد على الذاكرة في حفظها، والنقل بالمعنىٰ للأحاديث لا نقل اللفظ وهذه الحالة تفرض هذا الاختلاف في المتن والشكل ولو بصورة جزئية لا تؤدّي إلى الاختلاف الكبير في المعنىٰ والمضمون.

### ٣ ـ الاختلاف في الواضع:

فإنّ بعض الروايات ـ كما رأينا ـ تدلّ على أنّ أبا الأسود هو الذي وضع النحو، بينما البعض الآخر منها يدلّ على وضعه النحو بتوجيه من الإمام عليه السلام بعد أن وضع له بعض القواعد الأساسية ليسير على ضوئها، إذاً فكيف نجمع بين هذه الروايات المختلفة؟

١ ـ ولكن ـ وكما لاحظنا في فصل سابق ـ فإنّ الروايات والأدلّة لم تجمع على أبي الأسود فحسب، بل إنّ أكثر الروايات ـ وتقرب من الإجماع ـ تنسب وضع النحو للإمام عليه السلام، وأنّه تلا بعض القواعد الرئيسية على أبي الأسود وأشار عليه أن يواصل البحث من خلالها، فوسّع فيها أبو الأسود وأضاف إليها قواعد وآراء أُخرىٰ اكتشفها من خلال بحوثه وتجاربه في هذا المجال، أو كما يقول عبد الرحمن السيّد: «وهذه الروايات تكاد تجمع أيضاً علىٰ أنّ أبا الأسود وضع النحو بإرشاد علي عليه السلام وبعضها يروي ذلك على لسان أبي الأسود نفسه، وقلّة منها تجعل أبا الأسود هو مبتكر هذا العلم

ومبدعه دون أن يطلب إليه ذلك أحد أو يوجّهه فيه موجّه»[1].

فإذا اعترف أبو الأسود نفسه بأخذه النحو من الإمام عليه السلام واعترف بهذه النسبة نفس القائلين بوضع أبي الأسود للنحو وهي أكثر بكثير من الروايات التي تنسب وضع النحو لأبي الأسود بصورة مستقلّة، بل ربّما قام الإجماع على ذلك. هذه المرجّحات وغيرها ترجّح الرأي والروايات التي تدلّ على دور الإمام عليه السلام في وضع النحو، بينما الروايات التي تعتبر أبا الأسود مستقلاً في وضع النحو لا تملك مثل هذه المرجّحات التي تملكها تلك الروايات التي تدلّ على دور الإمام عليه السلام في وضع النحو.

٢ ـ إنّنا لو تتبّعنا «نهج البلاغة» وأحاديث الإمام عليه السلام في مختلف المجالات، ومن خلال سيرته الفكرية والحياتية ـ بغضّ النظر عن مقدرة الإمام المعصوم كما يؤمن بها الشيعة الإمامية لرأينا أنّ الإمام أوسع من أبي الأسود ثقافة واطّلاعاً على لغة العرب، وأكثر تركيزاً ووعياً في شتّى القضايا وأكثر فهماً واهتماماً باحتياجات المسلمين، وبالحفاظ على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فعندما ننسب النحو لأبي الأسود فمن طريق أولى نسبته للإمام عليه السلام على أساس الخصائص التي يتميّز بها الإمام عليه السلام فهو يملك أكثر المؤهّلات التي تؤهّله لوضع النحو، وليس هناك مانع يمنعه عن ذلك والروايات الكثيرة وإجماع المؤرّخين كلّها تدلّ على وقوع هذه الحقيقة أيضاً.

---

(١) مدرسة البصرة النحوية: ٤٩.

إذاً فلا يمكن لنا أن ننكر دور الإمام عليه السلام في وضع النحو، كما لا يمكن أن ننكر دور أبي الأسود ومشاركته في ذلك، فالرأي الصائب أن نقول: إنّ الإمام عليه السلام وضع بعض القواعد الرئيسية في النحو، وفتح عيون أبي الأسود على هذا العلم، ووجّهه إلى الطريق وأكّد عليه مواصلة البحث فيه. فأضاف أبو الأسود ـ على ضوء ذلك ـ أبواباً وقواعد أُخرىٰ للنحو، ووسّع وطوّر ما وضعه الإمام عليه السلام.

وعلى هذا الأساس فإنّ عملية الوضع قد شارك فيها الإمام عليه السلام وأبو الأسود، وكان لكل منهما دوره الفاعل الخلّاق في هذا المجال، وبذلك يمكن الجمع والتوفيق بين هذه الروايات المتعارضة صورياً، فلا حاجة إلى طرح بعضها والالتزام بالبعض الآخر ما دام الجمع ممكناً اتّباعاً للقواعد والمقاييس المتّبعة في مجال الروايات المتعارضة، حيث أنّ (الجمع مهما أمكن أولى من الطرح)، فذكر الإمام بعض القواعد العامة، وواصل أبو الأسود المسير في تفريعاتها وتطويرها وإضافة أبواب لها بتوجيه من الإمام عليه السلام وتأكيد منه على ذلك، لأنّه تلميذه المتميّز بالخبرة اللغوية، والذهنية الوقّادة، كما ذكرنا عن خصائصه فيما سبق.

ويؤيد الدكتور الدجني نسبة وضع النحو لأبي الأسود، ولكنه يشكك في نسبته للإمام عليه السلام، ومن جملة ادلته في ذلك اضطراب الروايات الدالة على نسبة الوضع للامام عليه السلام.

ولكن اذا كانت الروايات مختلفة ومضطربة ـ بتعبير الدكتور الدجني[1] ـ حول وضع الإمامعليه السلام للنحو، فهي مختلفة أيضاً حول أبي الأسود، وطريقة المعالجة لهذا الاختلاف واحدة، كما ذكرناها، ثم كيف يمكن لنا انكار وتكذيب هذه الروايات الكثيرة وآراء القدماء، والكثير منهم معاصرون لتلك الفترة، وبعضهم من غير الشيعة، التي تؤكد على نسبة وضع اصول النحو للإمامعليه السلام؟ كما لم يمكن انكارها بالنسبة لأبي الأسود.

وما ذكره الدكتور الدجني من قوله: (ومن يدري لعل أبا الأسود نفسه هو الذي نسب ذلك إلى الإمام عليعليه السلام ارضاء لنزعته الشيعية) كيف يتلاءم مع ما ذكره من خصال أبي الأسود وصفاته، وهل يمكن للإمامعليه السلام موافقة أبي الأسود وامضائه على ذلك، وهل يجوز انكار الحقائق التاريخية والنصوص المسلمة، أو التشكيك فيها بمثل هذه الاجتهادات والظنون، وعلى كل حال ففيما ذكرناه خلال هذه الدراسة حول الإمامعليه السلام وفيما ذكره العلماء من مختلف المذاهب يكفي في مناقشة هذه الشبهة.

ولكن هناك من ينكر نسبة النحو للإمامعليه السلام على اعتبار أنّ الأخبار والروايات التي تثبت نسبة النحو للإمامعليه السلام هي من وضع الشيعة الّذين يحاولون نسبة كل علم لأئمتهمعليهم السلام أو أصحابهم، وأتباعهم، فهي موضوعة لسبب مذهبي.

فيقول أحمد أمين: «وأخشىٰ أن يكون ذلك من وضع بعض الشيعة الّذين

---

(١) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص١٧٦.

أرادوا أن ينسبوا كل شيء إلى علي وأتباعه»[1].

ويقول سعيد الأفغاني: «وفي النفس شيء من نسبة الأولية في وضع النحو وسائر العلوم لعلي بن أبي طالب»[2]. ويقول الدكتور الدجني: (نحن نعلم ان الشيعة يتعصبون للإمام علي، ويحاولون بكل وسيلة ان ينسبوا إليه كثيراً من العلوم والأحاديث وغير ذلك)[3].

**ونناقش هذا الرأي:**

١ ـ إنّنا لو نسبنا تهمة الوضع للروايات التي تنسب وضع النحو للإمامعليه‌السلام لأمكن لنا أن ننسب نفس التهمة للروايات التي تسنده لأبي الأسود، إذ كان أبو الأسود ـ باعتراف الجميع ـ من أقطاب الشيعة وكبارهم، إذاً فلنتّهم هذه الروايات بالوضع أيضاً، بالإضافة إلى أنّ أبا الأسود أدنى درجة من الإمامعليه‌السلام علمياً وفكرياً وادبياً ولغوياً ـ وهما من عصر واحد ـ فتكون التهمة بالنسبة إليه أشدّ منها بالنسبة للإمامعليه‌السلام لما يملكه الإمامعليه‌السلام من المؤهّلات التي تفوق مؤهّلات أبي الأسود في هذا المجال.

٢ ـ إنّ الروايات التي تنسب وضع النحو للإمامعليه‌السلام أكثر رواتها ورجالها من غير الشيعة، وأكثر المصادر التي ذكرتها غير شيعية، بل أكثر من قال

---

(١) ضحى الإسلام: ٢ / ٢٨٥.

(٢) من تاريخ النحو: ١١.

(٣) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص١٧٦.

بنسبة النحو للإمام عليه السلام والتزم بهذا الرأي من غير الشيعة. فلو كان فيها أقلّ ريب أو شبهة لحاول الكثير الطعن فيها أو أغفلها، مع محاولة الكثير التكتّم أو الطعن في الروايات الشيعية، فلا بُدّ أن تكون هذه الفضيلة والنسبة قد بلغت حدّاً كبيراً من الشيوع والانتشار والواقعية بحيث لا يمكن للكثير إغفالها أو الطعن فيها، وليس لهم إلاّ التسليم للأمر الواقع، فذكرهم للروايات والآراء في كتبهم دليل على عدم وجود مغمز فيها، ودليل على وصولها إلى الحدّ الذي لا يقبل الطعن والزيف والوضع، يقول محمد الطنطاوي بعد ذكر موجة العداء للشيعة: «فكيف يدّعون أمراً خطيراً كهذا يمضي على كرّ الزمان، ويخلد في بطون الأسفار، وهم أحرّ الناس على الغضّ من شأن العلويّين وشيعتهم، ولا سيما في مثل هذا الشأن ذي البال والأثر الخالد»[1] ومراده من الأمر هو نسبة وضع النحو للإمام عليه السلام ولأبي الأسود.

٣ ـ إنّ الشيعة يدّعون أنّ أكثر العلوم منسوبة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، والحقائق التاريخية تثبت ذلك ولا يدّعون ذلك جزافاً بدون أدلّة مقنعة وقوية، إذ تدلّ الروايات الصحيحة والحقائق التاريخية التي يذعن بها حتىٰ مخالفيهم على نسبة أكثر العلوم إليهم[2] فلا يوجد هناك مبرّر لاستثناء النحو منها، وهناك عوامل كثيرة أدّت إلى نشأة أكثر العلوم على أيدي الشيعة ليس هنا مجال ذكرها، ومنها أنّ الشيعة تفرّغوا أكثر للأعمال الفكرية

---

(١) نشأة النحو: ٢٣.

(٢) لاحظ كتاب «تأسيس الشيعة لفنون الإسلام» ففيه الكثير من الأدلّة على هذه الحقيقة.

والثقافية وبذل جهودهم في مثل هذه المجالات لاكثر من سبب دفعهم لذلك.

٤ ـ وبالإضافة لذلك كلّه، ما ذكرناه في موضوع «الاختلاف في الوضع» من كثرة الروايات والآراء، ومن دلالة «نهج البلاغة» وغيرها على ذلك، فمن الروايات ما ذكره الحافظ ابن كثير في ذيل تفسيره «فضائل القرآن» ص ١٥ ـ طبع في ذيل المجلّد الرابع ـ «قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال إنّها بخطّ علي عليه السلام وفي ذلك نظر. قال في بعضها: (كتبه علي بن أبي طالب) وهذا لحن من الكلام، وعلي عليه السلام من أبعد الناس عن ذلك فإنّه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو ـ فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي ـ وأنّه قسّم الكلام إلى: اسم وفعل وحرف، وذكر أشياء أُخر تمّمها أبو الأسود بعده، ثمّ أخذ الناس عن أبي الأسود فوسّعوه فصار علماً مستقلاً» وهو يؤكّد ما ذكرناه من الجمع بين الروايات المختلفة في هذا المجال، وعن بدائية النحو الذي وضع.

وقال ابن جني في الخصائص ٢ / ٨ ـ الطبعة الحديثة، تحقيق محمد علي النجّار ـ: «وروي من حديث علي عليه السلام مع الأعرابي الذي أقرأه المقرئ (إنّ الله بريء من المشركين ورسولِه) حتىٰ قال الأعرابي: برئت من رسول الله فأنكر ذلك علي عليه السلام ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه ما لا يجهل موضعه...».

وغيرها من الروايات التي ذكرنا بعضها في هذه الدراسة، وهناك كثير لم نذكره ـ يُراجع في الكتب ـ كلّها تؤكّد على دور الإمام عليه السلام في وضع النحو.

**زمن الوضع ومكانه:**

يبقىٰ هنا زمن اكتساب أبي الأسود النحو من الإمام ﷺ ومكانه.

هناك روايات عديدة تصرّح بأنّ أبا الأسود كان قد أخذ النحو حيث اكتسبه من الإمام ﷺ بالإضافة إلى أنّ «الكثير من المؤرّخين يشير إلى أنّه حين أخذ العلم من الإمام علي أو وضعه من نفسه لم يخرجه إلى أحد»(١).

ومن ذلك ما قاله أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ «أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب ﷺ العربية فكان لا يُخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب ﷺ إلى أحد حتىٰ بعث إليه زياد: اعمل شيئاً تكون فيه إماماً ينتفع الناس به»(٢).

ونحن لا نستبعد هذا الرأي لأنّنا نعلم أنّ أبا الأسود اكتسب النحو من الإمام ﷺ حين جاء الإمام ﷺ إلى العراق ـ كما ذكرت ذلك بعض الروايات التي ذكرنا قسماً منها في فصول هذه الدراسة ـ ولا يمكن أن يكون مثل هذا الاكتساب قد حصل حين كانا في المدينة، إذ اتّصلت بوضع النحو بعض الحوادث، كشيوع اللحن مثلاً الذي كان منتشراً في العراق بعد انتشار الأجانب فيه وتوسّع البلاد الإسلامية واختلاطهم بالشعوب والثقافات الأخرىٰ، بالإضافة إلى أنّه ليس هناك من مبرّر وسبب يفرض التكتّم على

---

(١) مجلّة الأقلام، السنة الرابعة: العدد ٦ / ص ١٠٤.

(٢) أخبار النحويّين البصريّين: ١٢.

النحو وإخفائه خلال هذه المدّة من حين اكتسابه من الإمامعليه السلام حين كان في المدينة يتعلّم ويدرس الثقافة الإسلامية على يد الإمامعليه السلام إلى حين ولاية زياد في أيام معاوية.

فالرأي الراجح هو أنّ أبا الأسود اكتسب القواعد الأساسية للنحو من الإمامعليه السلام حين مجيئه إلى العراق، وبعد أن لمس انتشار اللحن وأدرك أخطاره الكبيرة وخصوصاً في المجال الديني. ولكنّ هناك عوامل كثيرة أدّت إلى إخفائه ـ سنذكر بعضها في موضوع التنقيط ـ ولعلّ منها ظروف تلك المرحلة المثيرة الصاخبة التي أدّت إلى عدم الإعلان عنه إلى أن تهدأ الأجواء، لأنّ أبا الأسود كان مشاركاً أيضاً في شتّىٰ المهام والأنشطة العسكرية والسياسية والاجتماعية في تلك المرحلة ـ كما ذكرنا ذلك في ترجمته ـ ولكن بعد شهادة الإمامعليه السلام في محراب مسجد الكوفة، وحين هدأ الجوّ لأبي الأسود ولم تعد الحوادث والمناصب تستغرق أوقاته حينذاك ـ كما ذكرنا في ترجمته ـ تفرّغ إلىٰ البحث والدراسة وأظهر ما اكتسبه من الإمامعليه السلام بعد إلحاح الحاجة والضرورة إلىٰ ذلك، ولم يكتف بما اكتسبه من الإمامعليه السلام بل حاول التوسّع فيه جهد طاقته وبما يملكه من فكر وثقافة.

وقد ذهب الدكتور الدجني الى ان أبا الأسود وضع النحو في عهد الإمامعليه السلام، ولكنه أظهره بعد ذلك. يقول: (كان أبو الأسود قد عمل شيئاً في النحو العربي في عهد الإمام علي ولم يظهره إلا في حالة اضطرارية عندما رأىٰ

اللحن فاشياً ورغبة في تحقيق أمل زياد بن أبيه)[1]. وما ذكره من تـاريخ الوضع، وتاريخ اظهاره لا يبعد صحته، إلا أننا ذكرنا مناقشتنا له في رأيه أن الواضع هو أبو الأسود وحده، كما ان ما ذكر من ان اظـهاره كـان بسـبب الاستجابة لرغبة زياد بن أبيه، ليس صحيحاً، فان اظهاره كان بسبب تفشي اللحن، ورفع الاجواء التي ذكرنا بعض ظروفها في موضوع تنقيط المصحف الشريف، ويؤيد ما ذكرناه ما ذكره السيد الأمين (واراد زياد منه ـ أي أبي الأسود ـ ان يكتب في ذلك ـ في النحو ـ كتاباً فلم يقبل الى ان سمع قـارئاً يقرأ: ﴿ان الله بريء من المشركين ورسوله بكسر لام رسوله﴾ فوضع كتاباً في النحو وهو أول كتاب كتب)[2].

وحين كان يجلس في مسجد البصرة ويتردّد عليه بعض طلاّب الثقافة أو حين كان يجتمع مع الناس في كل مكان كان يعرّفهم حينذاك على هذه الفكرة الجديدة وعلى كيفية ولادتها.

ونحتمل اخيراً ان الامام عليه السلام حـين اقـصي عـن الخـلافة بـعد وفـاة الرسول صلى الله عليه وآله، حيث تجاهل الكثيرون تلك النصوص والتأكيدات الكثيرة من الرسول صلى الله عليه وآله على خلافة الإمام علي عليه السلام وولايته ووصايته، وتـقدمه على الآخرين، في علمه، وجهاده، ودينه، وغيرها، فإنما كان ذلك لاسباب، ليس هنا موضع ذكرها، والبحث عنها. تجاهلوا هذه الاحاديث والتأكيدات،

---

(١) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص ٩٠.

(٢) أعيان الشيعة: ٧ / ٤٠٣ نقلاً عن القاموس.

وتجاهلوا فضل الامام عليه السلام وتقدمه، فأقصي عن الخلافة، واغتصب حقه، وبذلك تفرغ الإمام عليه السلام اكثر من اي وقت آخر، للأنشطة الثقافية والفكرية والعلمية، فربىٰ في تلك الفترة جماعة من الصحابة والتابعين، تعلموا على يديه مختلف المجالات الثقافية، كما انه كان مرجعاً للخلفاء في الكثير من القضايا والمسائل وقد ذكر انه اهتم بجمع القرآن الكريم وتفسيره، وهذا الاهتمام منه في المجالات الثقافية، عرفه على بعض القضايا والمسائل، وخاصة تلك المسائل التي ربما كان عدم الاهتمام بها، مما له خطره على الشريعة الإسلامية، والقرآن الكريم، والسنّة النبوية، ولعل منها النحو، وتحريك القرآن الكريم، وتفسيره وبعض المسائل الفقهية والعقائدية وغيرها، سواء كان هذا الاهتمام منه، أو من بعض اصحابه المقربين، بتوجيه وتعليم من الإمام عليه السلام، كما يلاحظ ذلك في الكتب التي بحثت عن الحركة العلمية والثقافية عند الامام عليه السلام واصحابه، حيث ذكرت بعض الأنشطة والاعمال الثقافية، والمؤلفات والكتابات له، او لاصحابه. اذن فالامام عليه السلام كان اكثر تفرغاً خلال الفترة التي عاشها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله الى زمان خلافته، مما وفر له الظروف المناسبة للاهتمام بالكثير من القضايا الثقافية، يضاف لذلك ما يتمتع به الإمام عليه السلام من علم زاخر، وذهنية كبيرة يشهد له الجميع بذلك، بغض النظر عن علمه الموهوب من الله، مما عرفه هذا الاهتمام على بعض المسائل التي ربما كان لها خطرها على مستقبل الاسلام، ودفعه الى التفكير والبحث عنها، ووضع الحلول لمعالجتها، وبعد ذلك عرّف بعض اصحابه على

محاولاته وبحوثه في هذه المجالات، او نبههم عليها ودفعهم الى الاهتمام بها، وخاصة حين تفرض الحاجة والضرورة الدينية اظهار ماتوصل اليه من نتائج وآراء في هذه المجالات، كما فرضت الحاجة معالجة اللحن في قراءة القرآن الكريم، أو الخطأ في فهمه وتفسيره، وكذلك حين عرضت بعض الشبهات العقائدية في الأذهان، وكان من الضروري معالجتها بتأسيس بعض الأدلة والمسائل العقائدية والكلامية، هذه وغيرها من العوامل دفعته اكثر الى تعريف بعض اصحابه او غيرهم، على ما وضعه من حلول لمواجهة هذه المخاطر، ورسم المعالم الرئيسية لهذه الحلول ليواصلوا هم أو غيرهم من ابناء الاجيال اللاحقة البحث عنها، والتوسّع فيها، وتطويرها.

ولسنا في مجال الحديث عن الشبهات التي أثيرت حول نهج البلاغة، والجواب عنها، فان هذه الكتب القيمة قامت بهذه المهمة خير قيام، وناقشت هذه الشبهات بروح علمية وموضوعية وفندتها بقوة، ويلزم على القارئ مراجعتها من اجل التعرف على واقع الشبهات التي أثيرت حول وضع النحو، والجواب عنها، ليعرف ان بعض الافراد الذين اعترضوا على وضع الإمامعليه السلام أو أبي الأسود للنحو، هم بانفسهم قد اعترضوا على نسبة نهج البلاغة للإمام عليعليه السلام امثال احمد امين، والاهداف والشبهات متشابهة، كما ان الاجوبة متشابهة. وحين نراجع في هذا المجال كتاب «مصادر نهج البلاغة»، نرىٰ أن الشبهات التي أثيرت حول نهج البلاغة تشابه كثيراً الشبهات حول وضع النحو، كما انه من الاجوبة التي ذكرها هذا

الكتاب وغيره لهذه الشبهات يظهر الجواب عن الكثير من الشبهات التي أثيرت حول وضع النحو بصورة علمية موضوعية.

والملاحظ أنّ قصّة الشبهات التي أُثيرت حول نسبة «نهج البلاغة» للإمامعليه السلام، إذ إنهم نسبوه للشريف الرضي، هذه الأُسطورة قد قُضي عليها أخيراً على أيدي بعض الكُتّاب المؤمنين المخلصين الّذين قاموا بدراسات واعية وبحوث إحصائية أثبت من خلالها أنّ «نهج البلاغة» لايمكن أن يكون من إنشاء الشريف الرضي، وذلك لوجود أكثر الخطب والأحاديث في مصادر وكتب متقدّمة زمنياً على زمان الشريف الرضي، إذاً فإذا ثبتت صحّة نسبة «نهج البلاغة» للإمامعليه السلام لما في «نهج البلاغة» من تعريفات وتقسيمات ومصطلحات وأفكار عالية المضامين والمعاني دلّ ذلك على إبداع وعلى قوى فكرية هائلة.

ونحن نلاحظ أنّ القرآن الكريم يشتمل عى الكثير من التقسيمات والمضامين السامية، فلا يستغرب صدور مثل هذه التقسيمات والإبداعات في تلك الفترة الزمنية من الإمامعليه السلام وهو تلميذ القرآن، الذي عايش القرآن الكريم منذ صغره، وكذلك نلاحظ وجود التقسيمات والتعريفات والمصطلحات في الأحاديث النبوية، فلا غرابة في أنّ يتعلّم منها من نشأ وعاش في أجوائها، وخاصة الإمامعليه السلام الذي يملك من القوى الفكرية الزاخرة ما يشهد به الجميع.

وليس الشيعة وحدهم يعترفون بهذا الرأي، بل هناك احاديث وآراء

من اهل السنة تثبت هذا العلم الواسع الزاخر للإمام علي (عليه السلام) موجودة في كتبهم وصحاحهم. كل ذلك يدل على ان الإمام (عليه السلام) كان يمتلك علماً يتميز به عن الآخرين.

## مع الاعتراض الخامس

ونناقش فيه الرأي الذي يذهب إليه المعارضون أن المراد من العربية أو النحو ـ في الروايات ـ هو تحريك المصحف الشريف بتنقيطه وليس النحو بمعناه المصطلح.

وقبل أن ندخل في مناقشتنا لهذا الرأي يجدر بنا أن نبحث حول عملية تحريك المصحف الشريف بالتنقيط التي قام بها أبو الأسود بإجماع القدماء.

فتذكر ـ في الكتب والمصادر القديمة والحديثة ـ الطريقة التي ابتكرها أبو الأسود في تحريك المصحف الشريف وهي في واقعها الأساس للحركات الإعرابية التي تعتمد على المعرفة النحوية واللغوية وتدلّ أيضاً على قوّة الايداع والابتكار التي يملكها أبو الأسود وهو يؤكّد أكثر إبداعه لعلم النحو، فيقول أبو العبّاس المبرّد عن أبي الأسود: «أول من نقّط المصاحف»[1]، ويقول السيرافي: «كان أبو الأسود لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر: ٢ / ٢٤١، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني: ١٣٢، وطبقات النحويّين: ٥، والمزهر ٢ / ٣٩٧.

طالب عليه السلام إلى أحد حتى بعث إليه زياد وقال له: اعمل شيئاً لتكون فيه إماماً ينتفع به الناس وتعرب به كتاب الله، غير أنّ أبا الأسود رفض حتى سمع قارئاً يقرأ: (إنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ) فقال: ما ظننت أنّ أمر الناس يصل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول، فأُتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه، فأُتي بآخر، وقال أبو العبّاس: أحسبه منهم، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني فتحت في بالحرف فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين، فهذه نقط أبي الأسود»(١) ولعلّ مراده من النقطتين هو التنوين وأنّ التنوين علامته نقطتان. ويمكن أن يكون مراد السيرافي من (الشيء) في قوله: «كان أبو الأسود لا يخرج شيئاً ممّا أخذه عن علي بن أبي طالب عليه السلام» هو تنقيط المصحف، ويمكن أن يكون النحو.

«ومن كتاب المطالع السعيدة لجلال الدين السيوطي قال: وأخرج ابن الأنباري من طريق العتبي، قال: كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله، فلمّا قدم عليه كلّمه، فوجده يلحن، فردّه إلى أبيه، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه، ويقول: أمثل عبيد الله يضيّع؟! فبعث زياد إلى أبي الأسود، فقال: يا أبا الأسود، إنّ هذه الحمراء ـ وأراد بهم العجم لغلبة الحمرة على ألوانهم ـ قد أفسدت ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعرب به

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي: ٣٧٤، الأغاني ١٢ / ٢٦٩.

كتاب الله، فأبىٰ ذلك أبو الأسود، فوجّه زياد رجلاً، فقال له: اقعد في طريق أبي الأسود فإذا مرّبك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمّد اللحن فيه. ففعل ذلك، فلمّا مرّ به أبو الأسود رفع صوته يقرأ (إنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ) فاستعظم ذلك أبو الأسود فقال: عزّ وجه الله أن يتبرّأ من رسوله، ثمّ رجع من فوره إلى زياد، فقال: قد جئتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلي ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد، فاختار أبو الأسود عشرة، ثمّ لم يزل يختارهم حتىٰ اختار منهم رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحروف، فإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفل الحرف، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتىٰ أتىٰ على آخره، ثمّ وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك»[1].

وهناك روايات وآراء أُخرىٰ تؤكّد نسبة التنقيط لأبي الأسود، وإن كان هناك بعض الاختلاف الضئيل في متون هذه الروايات، ولكن لو تأمّلنا فيها لرأينا عدم تعارضها واختلافها، إذ يمكن الجمع بينها.

والملاحظ أنّ هذا العمل من أبي الأسود قد تمّ في زمان زياد ومعاوية ـ كما تؤكّده الروايات ـ وأنّ أبا الأسود كان عالماً به قبل هذا الزمان، وربّما كان بتعليم وتوجيه من الإمام عليه السلام كما تحتمله عبارة السيرافي ـ وكما سنذكره بعد

---

(١) نزهة الألبّاء: ٩، وروضات الجنّات ٤ / ١٦٧.

ذلك ـ ولكن بالرغم من علمه بذلك في زمان سابق فإنّ أبا الأسود كان يخفيه وكان به ضنيناً، ويمكن أن نحتمل أسباباً كثيرة أدّت إلى إخفائه وإلى تأخير إظهاره إلى زمان زياد ومعاوية، إذ يمكن أن نرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

فربّما كان السبب في التأخير الظروف السياسية والاجتماعية والحربية الصاخبة آنذاك في الفترة التي عاشها أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم تسمح له بنشر هذا العمل.

وربّما كان السبب هو المنع الذي كان مفروضاً على التدوين والكتابة عامة، وخاصة بما يرتبط بالشريعة الإسلامية، وبالأخصّ على أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومواليه وشيعته، خوفاً من كتابة ونشر بعض الكتابات التي ترفع من شأن أهل البيت عليهم السلام وتحطّ من أعدائهم ومخالفيهم، فالشيعة كانوا مطاردين في تصرّفاتهم وأقوالهم وكتاباتهم، لذلك لم تسمح السلطة بأمثال هذه الأعمال منهم، فربّما لو كان أبو الأسود يبدأ بهذا العمل من نفسه لم يكن له مثل هذا الانتشار والتأثير، وربّما حاربته السلطة الحاكمة، ولكنّه كان ينتظر الفرصة المناسبة التي يشعر بها المسؤولون والحكّام أنفسهم بخطر اللحن على الأمّة وبإلحاح من الظروف والناس ليطلبوا منه أو من غيره القيام بهذا العمل.

وربّما كان حجّة الّذين منعوا من التدوين والكتابة بصورة عامة، وخاصة بما يرتبط بالشريعة الإسلامية، هو الخوف من اختلاطها بالقرآن الكريم، وبذلك لا يحافظ على أصالة القرآن الكريم وسلامته.

إذاً فكيف بمثل هذا العمل الذي يتعرّض بصورة مباشرة للقرآن الكريم ومحاولة تحريكه وتشكيله وإضافة بعض الكتابات فيه؟ ممّا يكون عامل المنع فيه أقوى، وهذه الحجّة وإن كان وراءها دوافع وأغراض سياسية، ولكن قد تذرّع بها البعض للمنع من التدوين والكتابة.

أو أنّ السبب في ذلك عدم انتشار اللحن في القرآن الكريم وفي كلام العرب، وإنّما أخذ بالانتشار والذيوع بعد اختلاط العرب بغيرهم ممّا أدّى إلى ظهور اللحن باتساع وإلى الشعور أكثر بخطر المشكلة.

أو أنّ السبب هو احتياط بعض المسلمين وتورّعهم عن إضافة بعض الكتابات في المصحف الشريف، لأنّهم كانوا يشعرون بأنّه يلزم الحفاظ على المصحف الشريف كما نزل على النبي ﷺ دون إضافة، ومن هنا كان تجنّبه تورّعاً عن القيام بمثل هذا العمل، ولكن بعد أن أدرك أن الضرورة الاسلامية تحتم عليه القيام بهذا العمل قام به خير قيام، وكما قال الدكتور شوقي ضيف: «كان ذلك عملاً خطيراً حقّاً فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه»[1].

ويقول الدكتور مازن المبارك: «ومعنىٰ وضع أبي الأسود لشكل المصحف أنّه وضع الضوابط التي تمنع القارئ من الزلل أو اللحن في القرآن، وهل للنحو غاية أخرىٰ أبرز من حفظ اللسان من الخطأ؟!»[2].

---

(١) المدارس النحوية: ١٧.

(٢) النحو العربي: ٣٠.

وهناك عوامل أُخرىٰ ـ ربّما لا نعلمها ـ كـانت السبب في تأخـير أبي الأسود إظهار هذا العمل، وتشمل بعض هذه الأسباب النحو أيضاً، إذ تأخّر أبو الأسود في الإعلان عنه أيضاً.

أمّا عن وجود هذا المصحف الذي شكله أبو الأسود، فهل هو موجود أو ضاع كما ضاع الكثير من كتب التراث؟

ذكر السيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة» أنّه رأىٰ في خـزانـة الكتب الشريفة الرضوية مصحفاً بخطّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عليه مـثل هذا الشكل والتنقيط، وهذا يؤيّد ما ذكرناه أن أبا الأسود قد تلقّىٰ تحريك المصحف بالتنقيط من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما تلقّىٰ النـحو مـنه، إلا أن نقول: إن تحريك هذا المصحف الشريف الذي كتبه الإمـام عليه السلام بخـطّه قـد أُضيف إليه من قبل أبي الأسود أو غيره ـ بعد كتابته ـ كما يحتمل ذلك السيّد الأمين.

يقول السـيّد محسـن الأمـين عـن القـرآن المـنسوب خـطه الىٰ أمـير المؤمنين عليه السلام: «جزء من القرآن منسوب إلى خطّه الشريف أيضاً ـ اي أمير المؤمنين عليه السلام ـ من أول سورة هود إلى آخر سورة الكهف، بشكل ما نسمّيه سفينة ويسمّيه الفرس بياضاً، أي أنّ أسفل كراريسه من جهة العرض لا من جهة الطول، وكذلك باقي المصاحف التي رأيناها، رأيناه في خزانـة الكـتب الشريفة الرضوية في ١٢ ربيع الثاني ١٣٥٣، عند تشرّفنا بـزيارة مـشهد الرضا عليه السلام مكتوب على الجلد الرقيق الذي لا يفترق كثيراً عن الكاغد بخط

كوفي غير منقط، وعليه نقط بالحمرة مدورّة هي علامات على الشكل، والظاهر تأخّرها عن كتابته، فللكسرة نقطة تحت الحرف، وللفتحه نقطة فوقه، وللضمّة نقطة أمامه، وإذا كان في وسط الكلمة توضع النقطة بجانبه، وللتنوين نقطتان فوقه للمنصوب، وتحته للمخفوض، وأمامه للمرفوع، أمّا الحرف الساكن فليس عليه علامة، وقد كانت المصاحف أولاً غير منقّطة، لا للإعجام ولا للشكل.

وأول من نقّطها للشكل أبو الأسود الدؤلي في إمارة زياد، كان يقول للكاتب: إذا رأيتني فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف. وذكره ابن النديم في الفهرست، وزاد ابن الأنباري في نزهة الألبّاء: فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين، وهذا بعينه تنقيط المصاحف التي رأيناها، وهو يؤيّد أنّها بخطوطهم عليهم السلام، وفي آخره سطرين هكذا:

كتبه علي بن
أبي طالب

وجلده مذهّب، موضوع في صندوق مذهّب، كلاهما في غاية الاتقان، مكتوب على جلده: وقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨، عدد أوراقه ٦٨، سطور كل صفحة ١٥، طوله ٣٤ سانتيماً، عرضه ٢٣ سانتيماً، قطره ٣

سانتيمات، وكتب الشيخ البهائي على ظهره بخطّ يده ما صورته: هذا الجزء من القرآن المجيد الذي هو بشريف خطّ سيّد الأوصياء، وحجّة الله على أهل الأرض والسماء، نفس الرسول، وزوج البتول، وأبي السبطين، وإمام الثقلين، والمخصوص باختصاص إنّما وليّكم الله، المعزز بإعزاز من كنت مولاه فعليٌّ مولاه..»[1].

ثم يذكر السيّد الأمين أنّه توجد نسخة أُخرىٰ من القرآن الكريم بخطّ منسوب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو «كالجزء السابق بجميع مميّزاته سوىٰ أنّ سوره غير سوره، ونقط قليلة خضر من تحت وفوق، وأقلّ منها زرق غير نقط الشكل الحمر لم تتحقّق المراد منها، وفي آخره في سطرين هكذا:

كتبه علي بن
أبي طالب

وقد راجعت فهرس مخطوطات خزانة الكتب الرضوية (استان قدس رضوى) فرأيت فيه نموذجاً مصوراً عن هذا المصحف الشريف بخط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مع تعريف بهذه النسخ المخطوطة القيمة، والملاحظ ان هذا المصحف لا يضم القرآن الكريم كله بل بعضه، فقد ذكر في هذا الفهرس حول هذا المصحف (ان هذا المصحف الشريف كتب فيه من أول سورة هود الى آخر سورة الكهف، كتبه علي بن أبي طالب، بخط كوفي على الجلد الرقيق، في

---

(١) أعيان الشيعة: ١ / ٩٠.

الصفحة الاولىٰ وقف شاه عباس، بخط وامـضاء الشـيخ البهـائي، بـتاريخ جمادى الأول سنة ١٠٠٨، وعبارة الوقف (هو الحق هذا الجزء من القرآن المجيد الذي هو بشريف خط سيد الأوصياء وحجة الله على أهـل الأرض والسماء نفس الرسول وزوج البتول وأبي السبطين وامام الثقلين المخصوص باختصاص إنما وليكم الله، المعزز باعزاز من كنت مولاه فعلي مولاه:

سلام من الرحمن نحـو جـنابه فـان سـلامي لا يـليق بـبابه

وقف علىٰ الروضة المنورة المقدسة الرضية الرضوية على ساكـنها ألف صلاة وسلام وتحية والواقف هو تراب اعتابها والمفتخر بخدمة بابها أعـني سيد سلاطين الزمان واشرف خواقين الدوران صاحب النسب المـوسوي الصفوي خلد الله تعالىٰ ملكه وأجرىٰ في بحار النصر والتأييد فلكه بمحمد وآله الطاهرين، وكان ذلك في شهر جمادى الأول سنة ألف وثمان من الهجرة، حرره تراب اقدام العتبة المقدسة الرضوية بهاء الدين محمد العاملي عفي عنه.

وكل صفحة من هذا المصحف الشريف فيها خمسة عـشر سـطراً، مـع اعراب وتنوين بنقاط كبيرة مدورة مكتوبة باللون الأحمر، وحجم السطر: ٥ / ٦ × ٢٥ سانتيمتر، وفي الصفحة الأخيرة سـطران وفي السـطر الأول عبارة (كتبه علي بن) وفي السطر الثاني عبارة (أبي طالب) وعـدد أوراق المصحف كما ذكر في أعلىٰ الصفحة الأولىٰ (٦٩) صفحة، ولكن الموجود (٦٨) صفحة.

ونشر في هذا الفهرس نموذجاً مصوراً من أحدىٰ صفحات هذا المصحف

من سورة ابراهيم من الآية ٣٧ إلى الآية ٤٢[1]، وننشر هذا النموذج في هذا الكتاب ونرمز إليه بالرقم (١).

كما انه في فهرس آخر لمخطوطات المكتبة الرضوية، ذكر هذا المصحف الشريف ونشر نموذجاً مصوراً له، وقال عنه: (القرآن الكريم رقم ٦، بخط كوفي، من أول سورة هود الى آخر سورة الكهف، مكتوب على الجلد الرقيق، وفي الصفحة الأخيرة (كتبه علي بن أبي طالب). وننشر النموذج المصور أيضاً، برقم (٢)، وهو من سورة النحل، الآية: ٣٦ إلى الآية: ٤١.

(١) راهنماى گنجينه قرآن، تأليف احمد گلچين معاني، انتشارات كتابخانه استانه قدس، منشورات المكتبة الرضوية، سنة ١٣٤٧ شمسية.

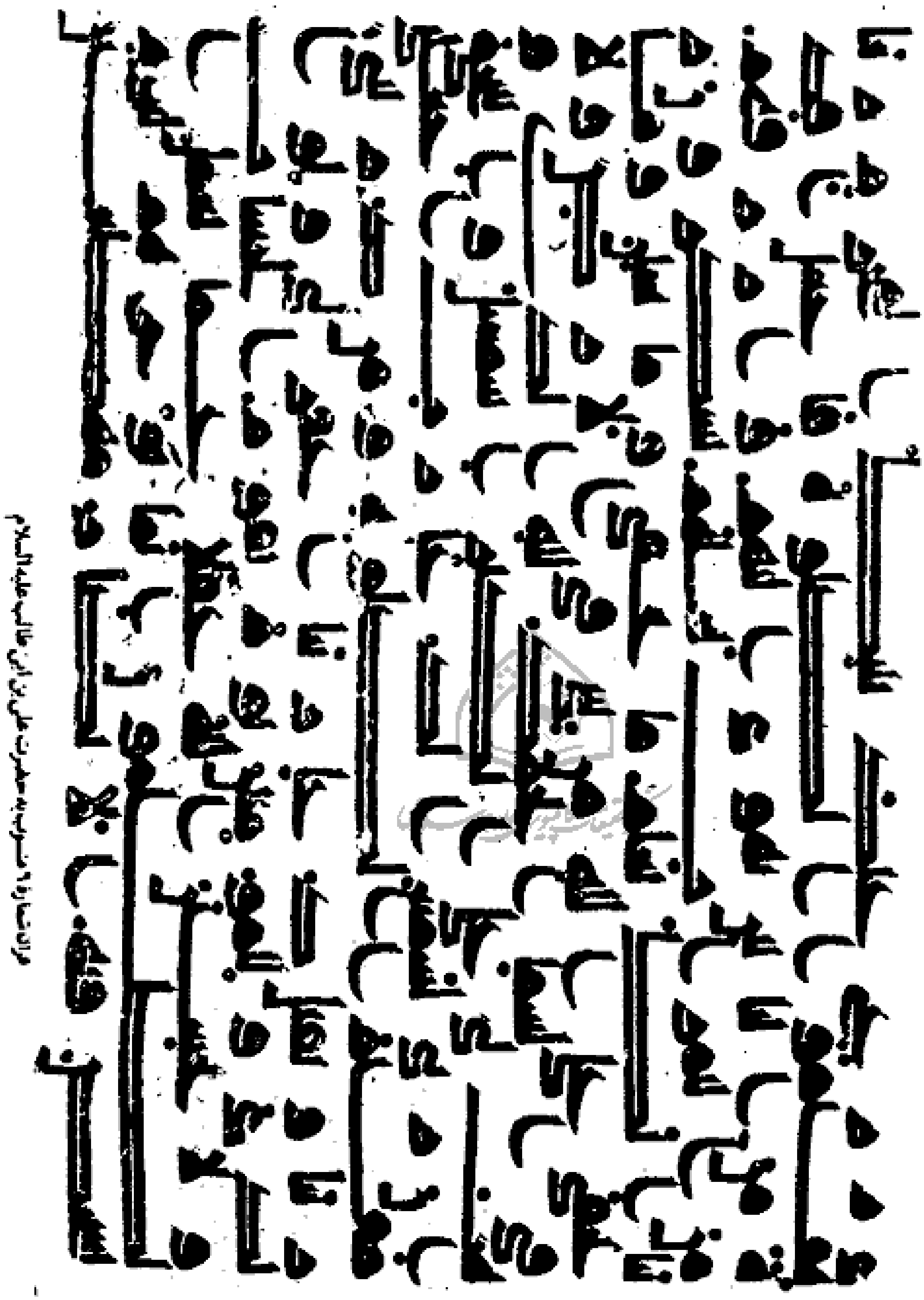

شماره ٦: النموذج المصور - الرقم (١)

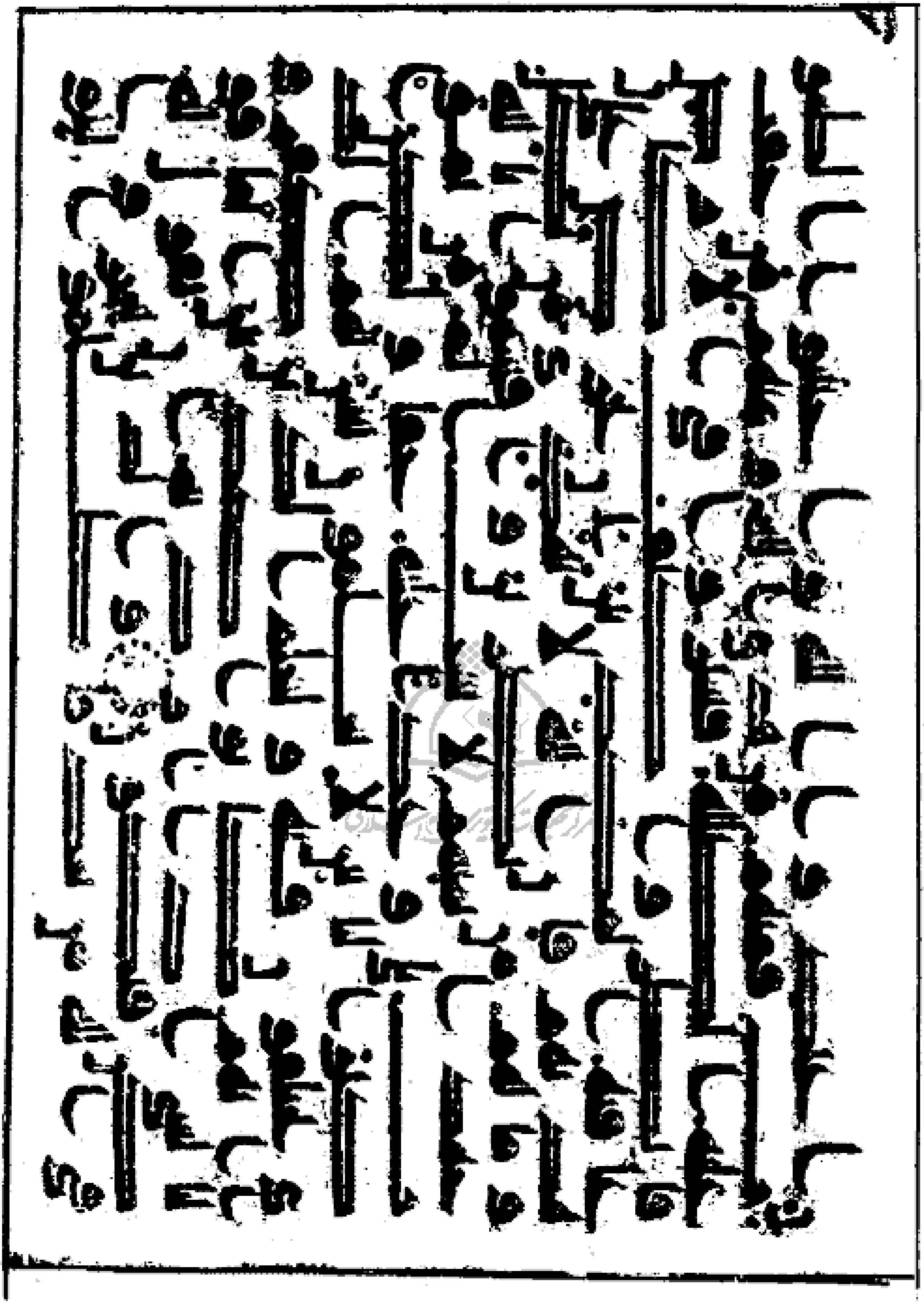

شماره ١: النموذج المصور - الرقم (٢)

ويلاحظ في هذين النموذجين النقاط، كما ذكره السيد الأمين، فقد تكون نقطة واحدة فوق الحرف، وهي ترمز للفتحة، أو نقطة واحدة تحت الحرف وهي ترمز للكسرة، أو نقطة واحدة في جانب الحرف وهي ترمز للضمة، وقد تكونان نقطتين وهما يرمزان للتنوين.

وهكذا نرىٰ أن أبا الأسود كان قد تلقّىٰ علومه من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولا عجب في ذلك فإنه من تلامذته واصحابه الموالين والمخلصين ـ كما ذكرناه في ترجمته ـ ولعلّه كان لديه مصحف بخطّ الإمام عليه السلام مشكول بهذا الشكل، وهو الذي أخذه من الإمام عليه السلام وهو الذي كان به ضنيناً ـ كما في قول السيرافي ـ.

ويجب ان نعلم ان ما قام به أبو الأسود هو تشكيل المصحف الشريف بالنقط، أي تمييز حركاته بالنقط، كما بينا طريقته في ذلك، وأما اعجام المصحف الشريف أي نقط الحروف المتشابهة فلم يقم به أبو الأسود، وانما قام به بعض تلامذته وهو يحيىٰ بن يعمر كما يحدثنا به التاريخ، ففي تهذيب التهذيب (أول من نقط المصاحف يحيىٰ بن يعمر)[1] وذلك في زمان عبد الملك بن مروان.

يقول السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: (أول من وضع نقط المصف وحفظه عن التحريف أبو الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام. قال عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب

---

(١) تهذيب التهذيب: ١١ / ٢٦٧.

النحويين: «أبو الاسود أول من نقط المصحف. وقال جلال الدين السيوطي في كتابه المطالع السعيدة: ان أبا الأسود الدؤلي أعرب مصحفاً واحـداً في خلافة معاوية» وكذا في أكثر كتب التواريخ وغيرها، وقد تقدم نقلها، وقيل: إن يحيىٰ بن يعمر العدواني تلميذ أبي الأسود أول من نقط المصحف والأصح الاول، وايهما كان فالفضل للشيعة لانهما من الشيعة بالاتفاق كما عرفت في ترجمتهما والنصوص على ذلك[1].

ولكن بما ذكرناه آنفا ترتفع المنافاة بين الرأيين، فان ما قام به أبو الأسود هو تحريك المصحف بالنقط، بينما ما قام به يحيىٰ بن يعمر هو اعجامه وتنقيط حروفه المتشابهة.

وبعد هذا الذي ذكرناه حول عمل أبي الأسـود في تحـريك المـصحف الشريف بالتنقيط، نعود لمناقشة هذا الاعتراض، ومـناقشته تكـون عـلى خطوات:

١ ـ فالملاحظ أنّ المعارضين الّذين يـعارضون نـسبة النـحو ـ بـمعناه المصطلح ـ لأبي الأسود، جميعهم يؤيّدون نسبة التنقيط والتحريك إليه، مع أنّ عملية تحريك المصحف الشريف بالتنقيط ـ وبالصورة التي ذكرت، والتي رويت عن أبي الأسود نفسه ـ تعتمد على ملاحظة حركات الإعراب، وهي عملية تحتاج إلى أن يكون صاحبها عالماً ببعض الأفكار والمسائل النحوية، إضافة إلى أنّها عملية لا تقلّ تعقيداً وتركيزاً عن عملية وضـع بـدايـات

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص٣١٨.

النحو، فالقادر على التحريك لا تصعب عليه عملية وضع النحو في بداياته، وهذه العملية يفسّرها أبو الاسود كما في الرواية «خذ المصحف، وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحروف، وإذا ضممتها فأجعل النقط إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة إلى أسفله، وإذا اتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنّة فانقط نقطتين»[1].

ونحن حينما نتأمّل هذه الرواية جيّداً ـ التي يؤيّدها حتىٰ المعارضون لفكرة وضعه النحو ـ نرىٰ أنّ هذه العملية التي قام بها أبو الأسود تدلّ على مدىٰ ثقافة أبي الأسود النحوية واللغوية وعلى مدىٰ تركيز ذهنيّته وتطوّرها، ونرىٰ أيضاً أنّ هذه الرواية تشير إلى بعض المصطلحات، كالحركات والكسر والفتح والضمّ، وهي مصطلحات تدلّ على وجود قابلية الإبداع والتركيز ـ ولو بصورة بدائية بسيطة ـ عند بعض رجال ذلك العصر، وعلى تقدير اكتساب هذه العملية ـ عملية التحريك بالتنقيط ـ ومصطلحاتها من السريان آنذاك ـ كما يتبنىٰ هذا الرأي أحمد حسن الزيّات ـ[2] فإنّ ذلك لا يؤخّر مرحلة وضعها عن زمان أبي الأسود وأنّه الواضع لها.

فالمعارضون يقولون: «إن الأمر قد اختلط على الرواة إذ كانوا يقصدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسمتها في القول، فأبو الأسود نقّط

---

(١) إنباه الرواة: ٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي: ٥٤.

المصحف، وهذا النقط هو النحو المقصود بكلام الرواة»[1].

٢ ـ ولكنّ الملاحظ من الروايات أنّها «لم تكتف بأنّ أبا الأسود وضع النحو أو العربية فقط، بل ذكرت أبواباً من النحو نسبت إليه، فكيف نأخذ شقّ الرواية ونترك شقّها الآخر؟! الأولى أن تؤخذ جميعاً أو تطرح جميعاً»[2] فمن الأبواب التي ينسب وضعها إلى الإمام عليه السلام وبعضها يُنسب لأبي الأسود: باب التعجّب والإضافة والظّاهر والمضمر وتقسيم الكلمة وباب الفاعل والمفعول وحرف الرفع والنصب والجر والجزم.

٣ ـ إضافة إلى أنّ بعض الروايات تشير إلى أنّ أبا الأسود وضع تشكيل المصحف الشريف بالنقط والنحو أو العربية، فتفصل بينهما، ممّا يدلّ على اختلاف معنييهما وممّا يدلّ على أنّه كان هناك فرق بين مفهومي التنقيط وبين العربية والنحو في أذهان الرواة والمؤرّخين، وابن حجر ينقل رواية تؤكّد مثل هذا الفصل بين مفهومي التنقيط والنحو، فقد نقل انّ زياداً «أمر ابا الأسود أن ينقّط المصاحف فنقّطها، ورسم من النحو رسوماً»[3] وهناك روايات وآراء أُخرىٰ تؤكّد وتصرّح بهذا المعنىٰ، ويقول أبو العبّاس المبرّد: «أول من وضع العربية ونقّط المصاحف أبو الأسود الدؤلي»[4].

وقال الدكتور الدجني: (يجب علينا ان نفرق بين عملين قام بهما أبو

---

(١) نقلاً عن مدرسة البصرة النحوية: ١٥٤.

(٢) مدرسة البصرة النحوية: ٥٧.

(٣) الإصابة لابن حجر: ٢ / ٢٤١.

(٤) الأغاني: ١١ / ٢٣٠.

الأسود الدؤلي، حيث اختلط الامر بين الكتاب المحدثين خاصة، حتىٰ وصل بالبعض ان ينكر عمل أبي الاسود (تأليف النحو)، واعتبر العمل الثاني (نقط المصحف) العمل الوحيد له، كما اعتبر بعضهم نقط المصحف البذرة الاولىٰ في غرس النحو العربي، أما القدماء فلم يقعوا في هذه الاشكالات فقد فرقوا بين العملين اذ رووا عندما ذكروا أبا الأسود الدؤلي ونشأة النحو انه «أول من أسس العربية ونقط المصحف»(١).

بالإضافة إلى أنّ المفهوم من كلمة النحو أو العربية غير المفهوم من كلمة التنقيط كما هو ظاهر، فكيف يكون المعنىٰ في كليهما واحداً؟!

ويذكر السيد محسن الأمين: «وإعراب القرآن لا دخل له بوضع علم النحو، الذي كان في زمن أمير المؤمنين عليه السلام ويأمره لا بأمر زياد، ويجوز أن يكون أبو الأسود أظهر كتابه يومئذ، وكان ألّفه قبل ذلك، أو رتّب يومئذ ما كان تلقّنه من أمير المؤمنين عليه السلام وأضافه هو إليه فجعله كتاباً»(٢).

وأخيراً.. فالملاحظ أنّ هناك علاقة وثيقة بين النحو وإعراب القرآن، فالمتمكّن من إعراب القرآن الكريم والذي يقوم بمهمّة تحريك المصحف الشريف يدلّ على أنّ له علماً ومعرفة بالنحو وتركيزاً في التفكير، ولكن على كل حال فإنّ العمل بوضع النحو غير العمل بتحريك القرآن وتنقيطه كما يؤكّد ذلك المؤرّخون.

---

(١) أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي: ص٨٦.

(٢) أعيان الشيعة: ١ / ١٦٢.

**الخلاصة :**

من خلال ما ذكرناه نستطيع التوصّل للنتيجة التالية: إنّ الإمام عليه السلام شعر بضرورة وضع القواعد التي تحفظ اللسان من الخطأ، وخاصة في قراءة القرآن الكريم بعد أن وجد اللحن شائعاً على الألسنة، وبما أنّه خليفة المسلمين آنذاك كانت عليه مهمّة الحفاظ على سلامة القرآن الكريم من اللحن، وبما أنّ أبا الأسود كان مرجعاً للخلفاء والولاة في القيام بمثل المهام التي تمسّ اللغة العربية ـ نتيجة لثرائه في اللغة ولذكائه ومستواه الثقافي ـ فأعطى الإمام عليه السلام مهمّة وضع هذه القواعد لأبي الأسود بعد أن مهّد له الطريق بوضع بعض القواعد الأساسية ليسير على ضوئها ويواصل البحث من خلالها، وقد سار أبو الأسود في هذا الدرب الذي رسمه الإمام عليه السلام وواصل البحث فيه بصورة أشمل فاكتشف بعض المسائل والأبواب النحوية التي ترتبط وثيقاً بشيوع اللحن، أي أنّ المجال الذي يشيع فيه اللحن كان يدفع أبا الأسود للبحث والنظر فيه حتى يأخذ فكرة عامة عنه، وبسيطة بدائية لا فكرة مفصّلة متطوّرة كالتي نراها اليوم في الكتب النحوية، ولذلك قلنا: إنّ النحو الذي وضعه أبو الأسود كان بدائياً بسيطاً، ويقتصر على أبواب قليلة دعت إليها الحاجة وضرورة محاربة شيوع اللحن فيها خاصة.

والدليل على هذا الرأي تواتر الروايات، وتضافر الآراء، وكثير من الرواة قريبو العهد بعصر الإمام عليه السلام.

وقد احتمل البعض اكتساب النحو من الحضارات الأجنبية، ولم يتمّ مثل هذا الاتّصال الوثيق بالثقافات الأجنبية إلاّ في زمن متأخّر من عصر الإمام عليه السلام.

ولا يمكن أن يكون الاكتساب من النحو اليوناني، لأنّ النحو العربي كان موجوداً قبل ترجمة الكتب اليونانية، ولأنّه يختلف في طبيعته عن النحو اليوناني.

وكذلك لا يمكن أن يكون مكتسباً من النحو العبري، لأنّ مرحلة نشأته متأخّرة عن النحو العربي.

إذاً فلابُدّ أن يكون الاكتساب من النحو السرياني ـ على القول بأنّه سبق النحو العربي في وضعه ـ لوجود السريانيّين في المجتمع الإسلامي آنذاك، ونتيجة لاحتكاك المثقّفين من العرب بهم انتقل النحو منها.

ولكنّ هذا الاحتمال لا يؤخّر بداية النحو عن تلك الفترة من عصر الإمام عليه السلام إذ إنّ السريانيّين دخلوا الإسلام في خلافة عمر، وهم كانوا مقيمين داخل المجتمع الإسلامي، فيحتمل ـ ما دام الأمر يقوم على الاحتمال والفروض دون الاعتماد على الروايات التي لا تشير إلى هذه الفكرة ـ أن اطّلع الإمام ـ مع الغضّ عن فكرة علم الإمام المعصوم ـ أو اطّلع أبو الأسود على ثقافة السريان وعلى نحوهم فاكتسب منهم بعض قواعدهم وآرائهم النحوية، ولا يمنع مثل هذا الاتّصال والاكتساب أي مانع.

لكنّ هذا القول الأخير إنّما يعتمد على الفرض والاحتمال دون أن يكون

له أيّ سند روائي، وكذلك يعتمد على القول بأنّ النحو العربي مكتسب وليس أصيلاً، وهذه الفكرة الأخيرة ينفيها كثير من المحدثين من العرب والمستشرقين، بالإضافة إلى أنّ التاريخ لا يشير أبداً إلى فرضية الاكتساب مع اختلاف طبيعة النحو السرياني عن النحو العربي، كما ذكره البعض.

وعلى أيّ احتمال، فإنّ بداية وضع النحو العربي لا تخرج من تلك الفترة ـ فترة عصر الإمام عليه السلام ـ سواء قلنا بأصالة النحو العربي في بداياته كما هو الرأي الحقّ، ورأي إجماع القدماء وبعض المعاصرين، أو قلنا بأنّه مكتسب من النحو السرياني كما هو رأي البعض الآخر من المعاصرين.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

# الملحق الأول

## «دراسة حول تقسيم الإمام ﷺ للكلمة وتعريفاته لهذه الأقسام»

نرىٰ من الجدير ان نتعرف ولو بايجاز على تقسيم الإمام ﷺ للكـلمة، وتعريفاته لهذه الاقسام، مستفيدين في هذا البحث الموجز من آراء علمائنا المحققين، سواء في الفلسفة أو علم الاصول، ونستعرض خلاصة هذه الآراء بصورةٍ مبسطة، ولم نحاول ذكر مقدماتها أو التـعمق فـيها وتـرك التـعمق والتوسع فيها لمن يريد التوسع، وعليه مراجعة الكتب الفلسفية والاصولية في هذا المجال.

قسم النحويون الكـلمة الى ثـلاثة أقسـام: الاسم والفـعل والحـرف. واستدلوا على هذا التقسيم بالاستقراء وبعض الوجوه العقلية.

وعرفوا كل قسم منها بتعاريف، وبعض هذه التعاريف، كـانت نـاظرة للفظ، كتعريفهم الاسم بأنه ما يصلح ان يقع في الجملة مسنداً ومسنداً إليه، والفعل بأنه ما لا يصلح ان يكون إلا مسنداً. واما الحرف فما لا يصلح ان يقع مسنداً ولا مسنداً إليه.

ولكن الاشهر عندهم تعريفها من خلال ملاحظة معانيها لا الفاظها.

فالاسم: كلمة دلت على معنىً في نفسها من غير اقتران بزمان.

والفعل: كلمة دلت على معنىً في نفسها مع اقترانها باحد الازمنة الثلاثة، إما الماضي أو الحاضر أو المستقبل، أو انها دلت على معنىً وزمان.

والحرف: ما دل على معنى في غيره.

ولعل هذا التعريف هو الأقرب لآراء الاصوليين في هذا المجال.

تعرض بعض علمائنا في علم الاصول، في مباحث الالفاظ الى الرواية الشريفة عن أمير المؤمنين عليه السلام المنقولة عن أبي الاسود الدؤلي في تقسيم الكلمة، واعتمدوها في تفسيرهم لحقيقة الاسم والفعل والحرف، بل أن البعض منهم كتب فيه رسالة مستقلة، وفي هذه الدراسة نتعرض بايجاز الى بعض الآراء الاصولية، وخاصة الجديدة المتطورة في المعنىٰ الاسمي والحرفي، والفرق بينهما، وكذلك نتعرض الى معنىٰ الفعل.

ويجدر ان نشير في البداية، ان الاصوليين يرون ان المعنىٰ الاسمي بماله من معنىٰ عندهم يشمل ايضاً الفعل بمادته، لان الفعل مؤلف من مادة وهيئة، ومادته معنى اسمي، وهيئته معنىً حرفي، ولكن يتميز الفعل باقترانه بالزمان، وكذلك ليس المراد من المعنىٰ الحرفي، خصوص حروف الجر وامثالها، بل تشمل كل ما يصدق عليه المعنىٰ الاصولي للحرف، لذلك يشمل النسبة في القضايا، والهيئات وغيرها، فيقصد منه ما يقابل الاسم والفعل، فلا يشمل حروف الكلمة نفسها.

وبما ان مسائل هذا الموضوع كثيرة ولها علاقة بـالكثير مـن البـحوث الاصولية والفقهية، لذلك نحن نكتفي ببعض الآراء والخـطوط العـامة، بمـا يرتبط بالرواية الشريفة عن الإمام عليه السلام في مجال تقسيم الكلمة.

فانهم تعرضوا في بداية علم الاصول، في مباحث الالفاظ، الى مـبحث الوضع، فبعد ان بحثوا عن حقيقة الوضع، والآراء حوله، بحثوا عن أقسـام الوضع، حيث انه يعني وضع اللفظ لمعنى، فلا بد من تصور المعنىٰ ليوضع له اللفظ، ولا يمكن الوضع لمجهول، ومن هنا بحثوا عن ذلك المعنىٰ الذي وضع له اللفظ في الاسماء والحروف، وما يتصوره الواضع حين الوضع ثم ما يوضع اللفظ له، ومن هنا بحثوا عن المعنىٰ الاسمي، والمعنىٰ الحرفي. ونستعرض هنا الآراء الاساسية في المعنىٰ الحرفي.

الرأي الأول: ما ذهب إليه صاحب الكفاية، من ان معنىٰ الحـرف هـو بنفسه معنىٰ الاسم المشابه له، فمعنىٰ كلمة (من) الحرف هو نفس معنىٰ كلمة (الابتداء) الاسم، وهو كلي الابتداء، وهو الموضوع له في كليهما، ويـدلان على مفهوم واحد، وانما الاختلاف بينهما في اللحاظ والاستعمال، فالمستعمل تارة يلاحظ الابتداء بصورة مستقلة، ويريد استعماله مستقلاً، كما لو اراد ترتيب حكم على الابتداء نفسه، فيقول (ابتداء الامور خير من انتهائها)، ويسمىٰ هذا باللحاظ الاستقلالي، وكلمة (الابتداء) الاسمية تدل على هذا المعنىٰ ملحوظاً بهذا اللحاظ الاستقلالي، واخرىٰ يلاحظ الابـتداء نـفسه ولكنه مرتبط وقائم في غيره، ويستعمله كذلك قائماً بغيره، ويسمىٰ باللحاظ

الآلي، وكلمة (من) تدل عليه ملحوظاً بهذا اللحاظ، كما لو قال (سرت من البصرة الى الكوفة).

اذن، فعلىٰ هذا الرأي، ليس هناك اختلاف بين معنىٰ الاسم والحرف بالذات، وفي المعنىٰ الموضوع له، وانما الفرق بينهما في اللحاظ وفي مقام الاستعمال وهو أمر خارج عن ذات المعنىٰ الموضوع له، وطارئ عليه، ولا يؤخذ هذا اللحاظ الآلي أو الاستقلالي في معناهما الموضوع له.

ولعل هذا التعريف هو الاقرب لآراء الاصوليين في هذا المجال.

ويجدر هنا الاشارة الى بعض اراء الاصوليين من علمائنا المعاصرين حول هذه المفاهيم الثلاثة الاسم والفعل والحرف.

وقد تعرض بعض علمائنا في علم الاصول، في مباحث الالفاظ الى هذه الرواية الشريفة.

الرأي الثاني: وهو رأي المحقق الاصفهاني حيث ذهب الىٰ ان الاختلاف بين الاسم والحرف ذاتي، فهما برأيه متباينان، ولا علاقة لاحدهما بالآخر في المعنىٰ الموضوع له، وكل منهما وضع لمعنى معين. ومن المقدمة التي ذكرناها في تقسيم الوجودات يتضح هذا الرأي أكثر.

وفي رأيه ان الحروف وضعت للوجود الرابط، وذلك لان الحكماء بعد ان ذهبوا الى ان الوجود حقيقة واحدة مشككة فيكون لها مراتب واقسام، وقد قسّم الوجود ابتداءً للوجود المستقل والوجود الرابط. اما الوجود المستقل ويسمىٰ بالوجود النفسي والمحمولي وربما اطلق عليه بالمعنىٰ الاسمي، ما كان

مستقلاً في وجوده، وقد قسم بدوره لثلاثة اقسام: الى واجب الوجود بالذات، وهو ما لم يكتسب الوجود من غيره، ووجود الجوهر وهو ما اكتسب الوجود من غيره، ولا يحتاج في وجوده لموضوع، ووجود العرض، وهو ما احتاج في وجوده لموضوع، وهذه الاقسام الثلاثة مستقلة بالمفهومية ويمكن للذهن تصورها بنفسها.

واما الوجود الرابط، فهو ما ليس له وجود مستقل خارجاً، وما لا يمكن تصوره مستقلاً الا بالارتباط بالوجودات المستقلة، نظير وجود النسبة في القضية، فلو لا وجود الموضوع والمحمول لم يكن للنسبة وجود، وهو صرف الربط والتعلق لا شيء له الربط.

وقبل صدر المتالهين لم يقل احد بتحقق الوجود الرابط خارجاً، وانما في رأيهم المتحقق وجود الجوهر والعرض فحسب، ولكن صدر المتالهين ذهب لوجوده خارجاً ولكنه وجود ضعيف بالنسبة للوجود المستقل، وتطورت هذه النظرية من بعده اكثر، واقيمت الادلة على تحققه خارجاً، ووسعوا الوجود الرابط بما يشمل سائر الممكنات، بتوضيح عميق، ولسنا في مجال البحث حول هذه النظرية العميقة، وللتوسع في هذا الموضوع اكثر تراجع الكتب الموسعة.

ففي رأي المحقق الاصفهاني ان الحروف وضعت للوجود الرابط بواقعه الخارجي، أي انها وضعت للروابط الخارجية، التي تعرفنا عليها في المقدمة، والتي لا وجود مستقل في نفسها، وانما وجودها بوجود طرفيها، فلم توضع

الحروف لمفهوم الرابط، بل لواقع الوجود الرابط خارجاً، بعد قيام البرهان على وجوده، وذلك لأن الوجود الرابط لاماهية له لضعفه، ليتصورها الواضع ويضع اللفظ لها، اذ لا يمكن تصور الوجود الرابط في نفسه، مع تقومه بالطرفين، وانما يمكن تصور عناوين اسمية تشير إليه، فيقول وضعت (من) لذلك الوجود الرابط الخارجي الذي يعبر عنه بالابتداء، اذن فالحروف وضعت للوجود الرابط الخارجي.

وأما الاسماء، سواء كانت من الجواهر او الاعراض، فبما انها لها ماهيات، لذا يمكن تصورها مستقلة في الذهن، ويوضع اللفظ لماهياتها، ولا توضع لوجودها الخارجي، فيضع اسم (الابتداء) لماهية الابتداء ـ فلم يؤخذ في الموضوع له الوجود الخارجي أو الذهني أو العدم، لان المعاني الاسمية مفاهيم ومعانٍ مستقلة، ولها ماهيات يمكن تصورها مستقلة في الذهن، وتوضع الالفاظ لتلك الماهيات.

ولكن بعض الاعلام ذهب الى ان المحقق الاصفهاني لا يقول بوضع الحروف للوجود الرابط بالحمل الشائع في واقعه الخارجي، وانما الحروف وضعت للنسب بين المعاني الاسمية، وانما شبه النسبة بالوجود الرابط، فكما ان الوجود الرابط ليس له وجود مستقل خارجاً وماهية متصورة في نفسها، في مقابل الطرفين، لانه وجود لا في نفسه، كذلك النسبة لا يمكن ان توجد بدون طرفيها، فلا يمكن ان تتصور النسبة بين زيد وقائم، الا مع وجود زيد قائم، واما بدون هذه الجملة فلا يمكن ان يتحقق للنسبة أي وجود، ولا يمكن

تصورها وتحققها. ولعل هذا التفسير للمحقق الاصفهاني يتلاءم أكثر مع كلامه في حاشيته على كفاية الاصول.

الرأي الثالث: ما اختاره المحقق النائيني، وهو ان معاني الحروف ايجادية، بينما معاني الاسماء إخطارية.

بمعنىٰ ان الحرف، حين يطلق وحده، دون ان يكون مرتبطاً بغيره من المعاني الاسمية، فلا يخطر في الذهن منه معنىً، وانما يظهر له معنىً حين يقع في تركيب كلامي، وهو يوجد ويحقق الربط بين المعاني الاسمية، وكلماته، فلو لم تكن هناك حروف لم يتحقق الربط في الذهن بين الكلمات والمعاني الاسمية، وان كان الارتباط الخارجي بين المعاني الاسمية بوجوداتها الخارجية تكويني، ولكن الارتباط بينها في عالم المعنىٰ واللفظ لا يتم إلا بوساطة الحرف، فالحرف يمتاز عن الاسم بان الحرف هو الموجد لمعناه، وليس له قبل الاستعمال معنىً موجود في عالم الادراك كالاسماء لانه هو الذي يوجد الربط بينها، فلو قلت زيد دار، لم يوجد أي أرتباط بين معنىٰ زيد والدار، فلابد لاحداث الارتباط بين الكلمتين ومعنييها من كلمة (في) فتقول: (زيد في الدار) فالموجد للربط بين المعنيين، هو الحرف (في)، فالحروف وضعت لايجاد الربط بين المعاني، اضافة الى انها ليست لها معانٍ مستقلة، اذ لا يفهم منها معنىً بدون الارتباط بغيرها في تركيبٍ كلامي مشتمل علىٰ المعاني والاسماء.

فمعنىٰ الحرف آلي، بمعنىٰ:

١ ـ أن الحروف لا يظهر لها معنىً، ولا يتصور الذهن لها معنىً الا بالارتباط بغيرها.

وانها كالآلات تحقق وتوجد الارتباط بين المعاني الاسمية، وذلك لاجل ان استعمال الحرف في الجملة هو الموجد لمعناه الربطي اطلق على الحرف انه ايجادي.

واما الاسماء فالمعاني التي وضعت لها مستقلة في عالم المعنىٰ، وغير قائمة في الغير، فلا يعتبر في ظهور معنىٰ الاسم ان يكون ضمن تركيب كلامي، وانما يحضر الاسم في الذهن مستقلاً عندما يطلق وحده، فهو معنى قائم بنفسه في عالم المعنىٰ، فاذا قيل (انسان) حضر في الذهن المعنىٰ المقابل للشجر أو الفرس. اذن فمعنىٰ لفظ الانسان قائم بنفسه، ويحضر في الذهن بنفسه من دون الاحتياج لتركيب كلامي، فيخطر معناه في الذهن بنفسه وبصورة مستقلة دون احتياجه للانضمام لغيره، ومن هنا اطلق على المعنىٰ الاسمي، انه معنىً خطوري، ولفظ الاسم انه اخطاري، موجب لخطور معناه في الذهن.

وهناك آراء اخرىٰ في تفسير حقيقة الاسم والحرف، والمعنىٰ الاسمي والحرفي تلاحظ في الكتب الاصولية الموسعة والمعمقة، وقد ذكر كل واحد من هؤلاء الاعلام المحققين أدلة عديدة لرأيه كما تعرضت هذه الآراء الى اعتراضات ومناقشات ولكننا هنا ذكرنا أهم الآراء الاصولية المتطورة في هذا المجال.

ولعل هذه الآراء وأمثالها، تشترك في تعريف الحرف، بانه ما يدل على

معنىً غير مستقل في المفهومية، فلا يمكن للذهن ان يفهم من الحرف معنىً بمجرده، دون ان يكون ضمن غيره، بأن يكون ضمن جملة يرتبط بها الحرف، فلا يمكن ان يظهر للفظ الحرف معنى إلاّ اذا كان ضمن غيره من الاسماء، ولعله لهذا المعنىٰ يشير الإمام عليه السلام في تعريفه للحرف: بانه ما دل على معنى في غيره، أي انما يظهر له معنى اذا كان في غيره، ولفظ الحرف انما يدل على هذا المعنىٰ الارتباطي، أو ان الحرف يوجد الارتباط بين المعاني الاسمية، فيدل على ذلك المعنىٰ التركيبي في الاسماء كما وضحناه في رأي المحقق النائيني.

واما الاسم: فيدل على معنى مستقل في المفهومية، فيفهم الذهن من الاسم معناه بصورة مستقلة سواء كان ضمن جملة أم لا، ولفظ الاسم يحكي ويُنبيءُ عن هذا المعنىٰ المستقل في الذهن ولعله لهذا المعنىٰ يشير الإمام عليه السلام في تعريفه للاسم بانه (ما دل على معنى في نفسه)، أو (ما انبأ عن المسمىٰ).

وأما (الفعل)، فقد عرفه الإمام عليه السلام بانه (ما أنبأ عن حركة المسمىٰ).

وقد حاول علماؤنا تفسير حركة المسمىٰ، التي يُنبيءُ عنها الفعل ويدل عليها.

فقد فسر المحقق النائيني هذا التعريف بتفسير عميق، وذكر له بعض المقدمات العلمية الدقيقة نذكر خلاصة رأيه في هذا المجال.

فانه يرىٰ ان الفعل مركب من مادة وهيئة، وهيئته تدل على انتساب المبدأ للذات، واما المادة فهي المبدأ، فالمراد من المسمىٰ في هذا التعريف هو مبدأ الاشتقاق، وبما ان مبدأ المشتقات يشترط ان يكون غير متحصل وغير

متشكل بهيئة ما، فانه لو كان متشكلاً بهيئة ما، لم يكن مبدأ للاشتقاق، وساريا في جميع المشتقات، لذلك بما ان هذا المبدأ أو المسمىٰ معرى من الهيئة وغير متحصل، فان الفعل بهيئته يمنحه التحصل والشكل، (فبالفعل يخرج المبدأ عن اللاتحصلية، ويتحرك من القوة الىٰ التحصلية والفعلية، فالفعل بجملته يظهر ويُنبئ عن حركة ذلك المسمىٰ ـ الذي هو مبدأ الاشتقاق ـ من القوة الى الفعلية، ومن اللاتحصلية الى التحصلية في عالم المفهومية، حيث كان غير متحصل فصار بواسطة هيئة الفعل متحصلاً)[1].

وفسر المحقق الاصفهاني هذا التعريف: ان هيئة الفعل تدل على نسبة المبدأ أو المادة الى الذات، وهذه النسبة معنى حرفي، واما نفس المادة فهي معنى اسمي، (والنسبة في الفعل لها جهة حركة من العدم الى الوجود فيحضر في الذهن من سماع ضرب زيد مثلاً حركة الضرب حقيقة من العدم الى الوجود بحقيقة الحركة الصدورية، فكأنه يرىٰ الحدث المخصوص متحركاً من العدم الى الوجود)[2].

ويمكن ان نفسر دلالة الفعل على حركة المسمى: بان الفعل بما انه يدل على الزمان كما رأيناه في تعريف بعض النحويين للفعل، والزمان بنفسه متحرك، وغير قارّ، وإنما حقيقته التصرم وعدم الثبات. لذلك دل الفعل على حركة المسمىٰ، أي حركة معناه وعدم ثباته لاخذ الزمان فيه.

---

(١)فوائد الاصول: ١ / ٥.

(٢)نهاية الدراية: ١ / ٧٣.

ولكن علماءنا أنكروا دلالة الفعل على الزمان بالوضع، اذ لم يؤخذ الزمان في مدلوله. وذلك لان الفعل مركب من مادة وهو المبدأ، وهو معنى اسمي، بينما هيئته مثل هيئة (ضرب)، فانها معنىً حرفي، وهي تدل على انتساب المبدأ لذات ما، فأين دلالة الفعل بمدلوله على الزمان، اذ ليس فيه إلا الهيئة والمادة وقد رأينا عدم دلالتها على الزمان، ومن هنا عبر البعض عن الفعل بانه مركب من الاسم والحرف، وبذلك يمكن تفسير حركة المسمىٰ بتفسير يتلاءم ومدلوله.

فان الفعل كما ذكرنا، يدل على انتساب الحدث للذات، والملاحظ ان هذا الانتساب ليس ثابتاً قاراً، لعدم ثبات الحدث في حال انتسابه للذات، فالضرب مثلاً المنتسب للضارب، هو في حال انتسابه وصدوره منه، في حالة تجدد وحدوث وحركة، باي معنىً فسرنا الحركة، بتفسير المحقق النائيني، أو الاصفهاني بخروج الحدث من العدم الىٰ الوجود، او لاجل ارتباط الحدث بزمان، والزمان متحرك، أو بمعنىً آخر، وبذلك يُنبئ الفعل عن حركة المسمىٰ والحدث.

# الملحق الثاني

## مدىٰ تأثير العامل القومي في تصرفات المسلم الملتزم

ذكرنا ان البعض غالىٰ في دور العامل القومي في وضع النحو، واكد عليه كثيراً، مع تجاهله أو تقليله لدور العامل الديني، ولكن ذكرنا، ومن خلال الشواهد، ان الدافع الديني، وحفظ النصوص من التحريف والاشتباه والالتباس كان اقوىٰ الدوافع عند الواضعين الاولين امثال الامام أمير المؤمنين عليه السلام وأبي الاسود الدؤلي، كما كان له تأثيره في وضع الكثير من العلوم.

ولذلك رأينا من الجدير ان نستعرض بايجاز مدىٰ تأثير الدافع القومي في تصرفات المسلم الملتزم وان كان فيه استطراد، مع التأكيد على ان حب الانسان لقومه ولغته ووطنه، بما لا يتصادم وعقيدته الاسلامية، مما لا يرفضه الاسلام، ومنها تفكيره في وضع القواعد للغته حفاظاً عليها، وان هذا الحب والولاء كما سنذكره من الميول الطبيعية المغروسة في كل انسان وخاصة في تلك المجالات النبيلة والفاعلة المتعلقة بقومه وامته، ولكن وككل

الميول والرغبات، ربما تعرضت لعوامل الانحراف التي جاء الاسلام لتعديلها واعادتها الى حالة التوازن والاستقامة المشروعة.

ولذلك، ومن خلال الواقع الموضوعي للمسلم الملتزم، ورأي الاسلام في هذا الموضوع، في تعاليمه وتجارب المسلمين الملتزمين، نحاول هنا تسليط بعض الضوء على مدىٰ صحة المغالاة في العامل القومي، وهل له تأثيره الوحيد أو الاكبر في تصرفات المسلم الملتزم، وخاصة فيما لو كانت متصادمة مع التعاليم الاسلامية ورضا الاسلام وارادته.

فالقرآن الكريم يعتبر تقسيم البشر الى وحدات سياسية بطابع فئوي قطري أو قومي أو طبقي أو أمثال ذلك، عذاباً دنيوياً تتعرض له الامم، ويؤدي بالتالي الى دمار البشرية[1]. قال تعالى: ﴿او يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾[2].

وكذلك يعتبر تقسيم الامة، من أساليب الطغاة في سبيل اذلال الشعوب، والاستيلاء عليها، والقضاء على روح المقاومة والقوة فيها، فقد استخدم فرعون عدة اساليب في سبيل تحكيم سلطانه وطغيانه، ذكرها القرآن الكريم ومنها ﴿ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً﴾[3].

---

(١) الاسلام والقومية: ص ٩٥.

(٢) القصص: ٤١.

(٣) الانعام: ٦٥.

ولعل هذا العذاب الدنيوي، وانهيار روح الامة، نتيجة طبيعية لتقسيم الامة، بل البشرية عامة، وذلك لان هذا التقسيم سبب التفرقة والتنازع، والتفرقة سبب للضعف والفشل ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

والملاحظ ان جميع المبادئ الأرضية لا تملك عامل الوحدة الحقيقية بين البشر، وانما الايمان بالله والتقوى وحده، يملك هذا التأثير العميق في تكوين الوحدة، كما ان الايمان بالله هو الأساس المكين للالتزام بالمكارم الاخلاقية والقوانين العملية لما يملكه من دوافع دنيوية وأُخروية، ضاربة في عمق الفطرة، واما سائر المبادئ فتفقد المبرر القوي لذلك، وتوضيح هذه الفكرة أكثر في محله.

ويرى القرآن الكريم أن رسول الإسلام والرسالة الاسلامية لجميع البشر كافة على السواء لا لطائفة معينة ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾[1] ﴿وما هو الا ذكر للعالمين﴾[2]، ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾[3].

وان جميع البشر يرجعون الى اصل واحد فلا مبرر لاستعلاء البعض على البعض الآخر بالنسب، وانه لاميزة لاحد إلا بالتقوى ﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾[4]، ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس

---

(١) الانبياء: ١٠٧.

(٢) القلم: ٥٢.

(٣) سبأ: ٢٨.

(٤) الانبياء: ١.

واحدة﴾[1].

وان جميع البشر أمة واحدة في ظل الإسلام لا أمم ولا طوائف ولا ميزة إلا بالتقوىٰ وعبادة الله ﴿ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾. ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيها رجالاً كثيراً ونساءً﴾.

ويحدد القرآن الكريم معيار الفضل والكرامة للانسان أو الامة بالتقوىٰ فحسب، دون غيره من المعايير البشرية، وان على البشر الاتحاد والتعاون لا التفرقة والشقاق ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾.

وان العامل الوحيد في الوحدة الحقيقية للبشر، وفي سعادتهم في الدنيا والآخرة هو الاعتصام بحبل الله، واما غيره من المبادئ والمعتقدات الجاهلية فهي عوامل العداء والشقاق والشقاء: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً﴾[2]، وليس هناك شعب ممتاز أو ملة سامية متفوقة على سائر الملل ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارىٰ تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * بلىٰ من أسلم وجهه لله وهو محسن فله

---

(١) الانعام: ٩٨.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

وهناك آيات كثيرة في هذا المجال، لم نذكرها رعاية للاختصار، والملاحظ ان هذه الآيات تتضمن مفاهيم كثيرة لم نذكر إلا القليل منها.

واما الأحاديث النبوية في هذا الموضوع فهي كثيرة، نذكر القليل منها مع الإشارة لبعض مدلولاتها.

فقد صرح الرسول ﷺ في خطابه الأول بعد فتحه لمكة باستنكار العصبية الجاهلية، وتعظيم الآباء، والاستعلاء على القبائل والشعوب الاخرى، وان التفاخر بالتقاليد والمعايير الجاهلية، ليس لها اية قيمة في الاسلام.

قال ﷺ: «لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده، ألا كُل مأثرة أو دم أو مال يدّعى فهو تحت قدميّ هاتين. يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظّمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم من تراب» ثم تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثىٰ ...﴾[2].

وكأنه ﷺ استهدف من خطابه الأول هذا القضاء على البقية الباقية من تقاليد الجاهلية، والاشارة الى العامل المهم في تكوين الجاهلية والتخلف والتنازع والاختلاف لذكره في بيانه الاول بعد الفتح.

---

(١) البقرة: ١١١ ـ ١١٢.

(٢) سيرة ابن هشام: ٤ / ٥٤.

ويصرح الرسول ﷺ بانه لا فضل لاحد على أحد إلا بالتقوىٰ، والعمل الصالح، وأن الجميع يرجعون الى أصل واحد، فلا مبرر للتفاخر والاستعلاء ولا فضل للقوميات والعصبيات مهما كان نوعها.

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس الا ان ربكم واحد، وان اباكم واحد، الا لافضل لعربي على اعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لاحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوىٰ»[1].

وقال ﷺ: «ليس لاحد على أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح»[2].

(وعن فسيلة قالت: سمعت أبي يقول: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أمن العصبية ان يحب الرجل قومه؟ قال: لا، ولكن من العصبية ان يعين الرجل قومه على الظلم)[3].

اذن فالإسلام لا يرفض أن يحب الانسان قومه لانه أمر طبيعي، يعيشه ويدركه كل انسان وكيف يمكن للاسلام أن يرفض شعوراً طبيعياً دون ان يتنافىٰ ومسيرته ومبادئه. وخاصة فيما لو كان قومه متصفين بالصفات النبيلة، وكذلك لا يرفض الاسلام ان يحب قومه فيما اذا كانوا على حق، وكان حبه لاجل الله، فهو في واقعه حب للحق ذاته، وكذلك يرفض الإسلام ان يبغض الانسان قوماً إلا اذا كان بغضه لأجل الله أيضاً، فيكون في واقعه

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٥ / ٤١١، كنز العمال: ٣ / ٦٩٩ حديث ٨٥٠٢.

(٢) كنز العمال: ١٦ / ٣٩ حديث ٤٣٨٤٠.

(٣) سنن ابن ماجة: ٢ / ١٣٠٢.

بغضاً للباطل.

ويرفض الاسلام ان يحب الانسان قومه اذا كانوا على باطل، وان يعينهم على الظلم، والاصرار على البقاء على محبة قومه رغم ضلالهم وظلمهم للآخرين، كما يرفض ان يرى الانسان قومه اسمى من سائر الاقوام بدون استحقاق او مبرر شرعي وعلى اساس التقوى.

ولأجل ذلك رفض الاسلام العصبية، بان يذوب الانسان في حب قومه. حتى لو كانوا على باطل وان يعينهم على الظلم والباطل وسحق حقوق الآخرين ومشاعرهم وان يصر على حماية قومه وآبائه وتقاليدهم وحبهم وولائهم، رغم باطلهم وظلمهم، فان هذه العصبية والاصرار على تقاليد قومه وآبائه ومعتقداتهم ضلال، وهي عادة جاهلية، سواء كانت عصبية قومية أو قبلية أو غيرها، مما لا يقوم على أساس العقيدة والتقوى. قال الرسول ﷺ: (ومن قُتل تحت راية عمية[1] يغضب للعصبية أو يقاتل للعصبية أو يدعو للعصبية فقتلته جاهلية)[2].

ويحدد الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الفكرة بقوله: «العصبية التي يأثم صاحبها ان يرى شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين. وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم». وهذا حسم قيم في هذا المجال، حيث ان الميل الى العصبية والقبيلة أمر طبيعي،

---

(١) عمية: ضلالة.

(٢) سنن ابن ماجة: ٢ / ١٣٠٢، مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣٠٦، ٤٨٨.

جرت عليه العادة، فاذا كان على اساس الحب والولاء فهو أمر جيد، لكن اذا كان على اساس المحاباة وظلم الآخرين وعلى حساب حقوق الأباعد، أو كان من باب اعانة الظلم، فهذا هو المردود في الإسلام، والذي يدعيه أصحاب النعرات العنصرية وأهل الغرور والجهل الفارغين من القيم كبني أمية هو النوع الثاني)(١).

وقال الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى بعضه تداعى سائره بالسهر والحمى»(٢).

فان مثل هذا التراحم والتواد، كما هو مطلوب من المؤمنين، فانه ايضاً نتيجة الايمان حقاً بالله، فالايمان بالله وحده يمكنه التأثير في ذلك، وأما غيره من المبادئ والمعتقدات فانها لا تملك هذا التأثير الشامل والمتجذر في عمق الروح الانسانية وواقع الجاهلية القديمة والحديثة، والتنازع والحروب بين الامم، بل الامة الواحدة دليل على ذلك، وما نشب من صراع بين المسلمين ناشئ من عدم التزامهم حقاً بالإسلام الأصيل.

وأما الإمام علي عليه السلام فقد حارب العصبيّة أو الحميّة أو النخوة الجاهلية، بحسب تعبيراته عليه السلام، في الكثير من خطب نهج البلاغة، واعتبرها من رواسب العصر الجاهلي، ومن نفثات الشيطان التي يلزم المسلم التنزه عنها، ونذكر هنا القليل من أحاديث الإمام عليه السلام في هذا المجال: «فاطفئوا ما كمن في

---

(١)جهاد الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام السيد محمد رضا الحسيني الجلالي: ص١٦٣.

(٢) البحار: ٦١ / ١٥٠.

قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهلية، فانما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزعاته ونفثاته»[1].

«الله الله في الحمية وفخر الجاهلية»[2].

«فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الأخلاق»[3].

ويفسر الشيخ المجلسي العصبية، بعد ان يذكر حديث الرسول ﷺ «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه» بقوله: (من يعين قومه على الظلم، والتعصب المذموم في الأخبار هو ان يحمي قومه أو عشيرته أو أصحابه في الظلم والباطل، أو يلج في مذهب باطل أو مسألة باطلة، لكونه دينه أو دين آبائه أو عشيرته، ولا يكون طالباً للحق، بل ينصر ما لم يعلم انه حق أو باطل للغلبة على الخصوم، أو اختار مذهباً ثم ظهر له خطأه فلا يرجع عنه لألّا ينسب الى الجهل والضلال)[4].

وما ذكره الشيخ المجلسي من مصاديق العصبية بمعناها الواسع، ولعل من مصاديقها الحب المنحرف لغير الإسلام، بان يحب الارض أو الدم أو اللغة أو الاجداد أو غيرها من العلاقات الارضية، حباً منحرفاً بما يتنافىٰ وحب الاسلام، وكما ذكرنا من ان يحب أمثال هذه الامور ويتعلق بها حتىٰ لو كانت

---

(١)نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح: ص٢٨٨.

(٢)المصدر نفسه: ص٢٨٩.

(٣)المصدر نفسه: ص٢٩٥.

(٤)مرآة العقول: ١٠ / ١٧٤.

على باطل وضلال، ويتشبث بها دون محاولة الانفكاك عنها، وان يتفاخر بها ويشعر باستعلائها على غيرها، وان يقدم ارادتها والولاء لها على ارادة الاسلام، وان يصر في الالتزام بتقاليد قومه وآبائه ومعتقداتهم رغم ظهور بطلانها وضلالها، وان يساعد قومه على الباطل والظلم والتجاوز على حقوق الآخرين، والاستهانة بمشاعر الآخرين وعاداتهم ومعتقداتهم.

والملاحظ من سيرة الرسول ﷺ انه رفع من مكانة سلمان الفارسي المحمدي وبلال الحبشي وغيرهما وذلك لما يتمتعون به من سمو في الإيمان الحق والجهاد، ووضع من مكانة بعض اشراف العرب المشركين الذين وقفوا في وجه الإسلام، وذلك لما تميزوا به من باطل وانحراف وعداء للقيم والاسلام.

وكان من تأثير العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، ان يحارب المسلم قبيلته في زمان الرسول ﷺ، وبعده ايضاً من المسلمين المخلصين، بل ربما حارب اقرباءه، واباه وأخاه، الذين كانوا في معسكر المشركين، أو معسكر الباطل، وهكذا يجب ان يكون المسلم الحقيقي، حيث يقدم علاقته بالإسلام على سائر العلاقات والاغلال الارضية.

قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله

هم المفلحون﴾.

اذن فلا انتماء إلا لله، وحزب الله هم المفلحون. اولئك الذين يرضىٰ عنهم الله، وأولئك المؤمنون حقاً، والمؤيدون من الله.

والآية الشريفة تشير لهذه الفكرة: ﴿قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتي الله بأمره﴾.

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا واعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً في جهاد العدو)[1].

وهناك شواهد كثيرة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وغيره، قدم فيها المسلمون أواصر العقيدة على أواصر القرابة، حيث قاتل فيها الابن أباه أو قريبه، نذكر منها هذا المثال، في معركة بدر (كان عتبة بن ربيعة حين دعا الى البراز قام إليه ابنه أبو حذيفة يبارزه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس، فلما قام إليه النفر، أعان أبو حذيفة بن عتبة على أبيه بضربة)[2].

(١) نهج البلاغة: ص ٩٢، خطبة ٥٦.

(٢) المغازي للواقدي: ص ٥٠.

# الملحق الثالث

## المنع من التدوين

ذكرنا أن تأخر تدوين النحو كان بسبب الحظر الذي كان مفروضاً على التدوين في بعض المجالات، لذلك كان من الجدير البحث بإيجاز عن هذا الموضوع.

الملاحظ ان المنع في تلك الفترة من تاريخ الإسلام لم يفرض على كتابة الحديث النبوي فحسب، بل شمل أيضاً روايته ونقله، وقد بدأ هذا المنع من زمان الرسولﷺ، وكذلك في زمان خلافة أبي بكر، ولكنه اشتد في زمان خلافة عمر، ولعل هناك أسباباً سياسية وراء المنع، وقد كان له عواقبه الوخيمة على السنة النبوية خاصة وعلى التشريع الإسلامي عامة، بالرغم من حث الرسولﷺ على حفظ الأحاديث وتعلّمها وتعليمها، وكيف يتلاءم ذلك مع كتمانها، وعدم كتابتها، وقد شعروا بعد ذلك بالحاجة الملحة لتدوينه وبأخطار المنع منه، فرفع عمر بن عبد العزيز هذا المنع، وكتب إلى أهل المدينة (ان انظروا حديث رسول الله فاكتبوه فإني قد خفت دروس

العلم وذهاب أهله)[1]، ولكن لماذا لم يشعر بالخوف من كان قبله، وربما رفع المنع بعد ان توصَّل المانعون الى بعض اهدافهم في هذا المجال، وربما تدخلت بعض الأيادي في التدوين أيضاً، ولسنا في مجال الحديث عن هذا الموضوع، فقد بحثه علماؤنا بما فيه الكفاية، ودرسوا اسبابه ونتائجه، ولكن نشير هنا الى بعض الروايات في هذا المجال:

أما منعهم لكتابة الحديث في زمان الرسول ﷺ فقد (قال عبدالله بن عمرو بن العاص: كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول الله ﷺ فنهتني قريش، وقالت: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله [ﷺ]، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟!، فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فاومأ باصبعه الى فيه وقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق)[2].

وعلق عليه السيد العسكري قائلاً: (قد كشفوا النقاب في حديثهم مع عبدالله عن سبب منعهم من كتابة حديث الرسول وهو خشيتهم من ان يروي عنه حديثاً في حق اناس قال فيهم حال رضاه عنهم، وفي حق آخرين ما قاله في حال غضبه عليهم، ومن هنا نعرف سبب منعهم من كتابة وصية الرسول في آخر ساعات حياته، ولماذا احدثوا اللغط والضوضاء

---

(١) مقدمة الدارمي: ص١٢٦.

(٢) سنن الدارمي: ١ / ١٢٥، سنن ابن داود ٢ / ١٢٦، مسند أحمد ٢ / ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، مستدرك الحاكم: ١ / ١٠٥ ـ ١٠٦، وغيرها.

حتىٰ توفي دون ان يكتب وصيته)[1].

وذلك لان الرسول ﷺ حين حضرته الوفاة قال: (ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً. فقالوا: يهجر رسول الله [ﷺ ][2]).

وقد عين البخاري في حديث آخر يرويه عن ابن عباس قائل هذا القول. قال: (لما حضر النبي ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده. قال عمر: ان النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فنهم من يقول ما قاله عمر، فلما اكثروا اللغط والاختلاف قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع)[3]، بينما يقول القرآن الكريم عن الرسول ﷺ ﴿وما ينطق عن الهوىٰ * ان هو الا وحي يوحىٰ﴾، ولا يخرج منه ﷺ إلا الحق، دون تخصيص بمجال أو مقال دون آخر، كما ذكرناه في الحديث السابق.

ويعلم مما ذكرنا سبب منعهم لكتابة حديث الرسول ﷺ وروايته عندما تولوا الحكم ولم يبق مانع منه.

فقد منع أبو بكر نقل الحديث (روىٰ الذهبي ان أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: انكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها

---

(١) معالم المدرستين: ص ٢٩.

(٢) صحيح البخاري: ٢ / ١٠٢، ١٣٢، صحيح مسلم: ٥ / ٧٥، مسند أحمد، الحديث ١٩٣٥، طبقات ابن سعد: ٢ / ٢٤٤، تاريخ الطبري: ٣ / ١٩٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم: ١ / ٢٢.

والناس بعدكم اشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه)(١).

وقد اشتد المنع في زمان خلافة عمر وروي عن قرظة بن كعب قال: لما سيّرنا عمر الى العراق مشىٰ معنا عمر الى صرار ثم قال: اتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: اردت ان تشيعنا وتكرمنا، قال: ان مع ذلك لحاجة، انكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله، وانا شريككم، قال قرظة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله ﷺ)(٢).

(وعن عبد الرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب حتىٰ بعث الى أصحاب رسول الله ﷺ فجمعهم من الآفاق، عبدالله بن حذيفة، وابا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الأحاديث التي افشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا: تنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم ناخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقوه حتىٰ مات)(٣).

وروىٰ الذهبي (ان عمر حبس ثلاثة، ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الانصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله)(٤).

---

(١)تذكرة الحفاظ للذهبي في ترجمة أبي بكر: ١ / ٢ ـ ٣.

(٢)اخرجه ابن عبد البر بثلاثة اسانيد في جامع بيان العلم، باب ذكر من ذم الاكثار من الحديث دون التفهم له: ٢ / ١٤٧، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١ / ٤ ـ ٥.

(٣)كنز العمال: ٥ / ٢٣٩، الحديث ٤٨٦٥.

(٤)تذكرة الحفاظ: ١ / ٧.

وأما عن كتابة الحديث، فقد روىٰ أبو بكر في فضله حديثاً عن الرسول ﷺ (أخرج الحاكم في تاريخه بالإسناد الى أبي بكر عن رسول الله ﷺ قال: من كتب علي علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم أو الحديث)(١)، ولكن أبا بكر نفسه منع من كتابة الحديث في زمان خلافته فيروىٰ (ان أبا بكر اجمع أيام خلافته على تدوين الحديث عن رسول الله ﷺ فجمع خمسمئة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت عائشة: فغمني تقلبه، فلما أصبح قال لي: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فاحرقها... الحديث)(٢).

(وعن أبي وهب قال: سمعت مالكاً يحدث ان عمر بن الخطاب أراد ان

---

(١) السيوطي في تاريخ الخلفاء في أحاديث أبي بكر، الحديث ٨٩، ويعلق عليه السيد شرف الدين في النص والاجتهاد ص١٤٧ (وربما ايدوا مضمونه بما رووه عن كل من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبدالله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي الدرداء وانس بن مالك ومعاذ بن جبل وأبي هريرة من طرق كثيرة متنوعة ان رسول الله ﷺ قال: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة شاهداً وشفيعاً، وفي رواية: بعثه الله فقيهاً عالماً، وفي رواية أبي الدرداء: كنت له يوم القيامة شاهداً وشفيعاً، وفي رواية ابن مسعود: قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة ان شئت، وفي رواية ابن عمر: كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء، وربما ايدوه ايضاً بقوله ﷺ: يبلغ الشاهد منكم الغائب، وبقوله ﷺ: نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها).

(٢) كنز العمال: ٥ / ٢٣٧، الحديث ٤٨٤٥.

يكتب هذه الأحاديث أو كتبها، ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله)[1].

(وعن يحيى بن جعدة قال: أراد عمر أن يكتب السنة ثم بدا له ان لا يكتبها ثم كتب في الامصار من كان عنده شيء فليمحه)[2].

(وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: ان الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس ان يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها)[3].

(وفي ايام عمر جاء رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين، انا لما فتحنا المدائن أصبنا كتباً فيها من علوم الفرس وكلام معجب، قال: فدعا بالدرة فجعل يضربها بها حتى تمزقت، ثم قرأ: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾، ويقول: ويلك، أقصص أحسن من كتاب الله؟)[4].

ويعلق السيد شرف الدين على كل ذلك بقوله: (والأخبار متواترة في منعه الناس عن تدوين العلم وردعه اياهم عن جمع السنن والآثار، وربما حظر عليهم الحديث عن رسول الله مطلقاً، وحبس أعلامهم في المدينة الطيبة لكيلا يذيعوا الأحاديث في الآفاق، ولا يخفى ما قد ترتب من المفاسد

---

(١)المصدر السابق ٥ / ٢٣٩: الحديث ٤٨٦٠.

(٢)المصدر السابق: الحديث ٤٨٦١.

(٣)طبقات ابن سعد في ترجمة محمد بن أبي بكر: ٥ / ١٤٠.

(٤)اخرجه أصحاب السنن، وفي شرح نهج البلاغة: ٣ / ١٢٢، وعلق عليها السيد شرف الدين قائلاً: (وقد كان الواجب في حق هذه الكتب ان يأمر الخليفة بتمحيصها فيخص بالتمزيق ما لا فائدة فيه، أما ذو الفائدة كعلم الطب وغيره مما يبيحه الإسلام فلا وجه لتمزيقه).

التي لا تتلاقىٰ أبداً. فليت الخليفتين صبّرا نفسيهما مع علي بن أبي طالب وسائر الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهة من آل محمدﷺ والخيرة من اصحابه، فيحبساهم علىٰ جمع السنن والآثار النبوية وتدوينها في كتاب خاص يرثه عنهم من جاء بعدهم من التابعين فتابعيهم في كل خلف من هذه الامة، شأن الذكر الحكيم، فان في السنة ما يوضح متشابه القرآن ويبين مجمله ويخصص عامه ويقيد مطلقه، ويوقف أولي الألباب علىٰ كنهه، فبحفظها حفظه. وبضياعها ضياع لكثير من أحكامه، فما كان أولاها بعناية الخليفتين واستفراغ وسعهما في ضبطها وتدوينها، ولو فعلا ذلك لعصما الامة والسنة من معرة الكاذبين، اذ لو كانت السنن مدونة من ذلك العصر في كتاب تقدسه الامة لأُرتج على الكذابين باب الوضع، وحيث فاتهما ذلك كثرت الكذابة على النبيﷺ ولعبت في الحديث أيدي السياسة، ولعلك تعلم أنهم كانوا اعرف منا بلزومه، لكن مطامعهم لا تتفق مع كثير من النصوص الصريحة التي لا بد من تدوينها لوأُبيح التدوين لكونها مما لا يجحد صدوره ولا يكابر في معناه، ومن ها هنا أُتينا، فانا لله وإنا اليه راجعون)[1].

---

(١)النص والاجتهاد: ص١٤٩.

# مراجع الكتاب


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة.

٣ ـ أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني، (الكويت. وكالة المطبوعات ١٩٧٤).

٤ ـ اخبار النحويين البصريين، السيرافي (القاهرة ـ دار الرسالة).

٥ ـ اختيار معرفة الرجال، السيد الداماد، (قم ـ مؤسسة آل البيت).

٦ ـ أدب الطف، السيد جواد شبر (بيروت ـ دار المرتضىٰ ١٤٠٩).

٧ ـ الاستيعاب، ابن عبد البر القرطبي، هامش الإصابة (بيروت ـ دار إحياء التراث العربي).

٨ ـ أُسد الغابة. ابن الأثير (طهران ـ المطبعة الإسلامية).

٩ ـ الإسلام والقومية، الدكتور علي محمد النقوي (طهران ـ منظمة الإعلام الإسلامي ١٤٠٤).

١٠ ـ الأشباه والنظائر، السيوطي (حيدر آباد ـ مطبعة دار المعارف ١٣٥٩).

١١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (بيروت ـ دار

احياء التراث العربي).

١٢ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي (بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٨٤).

١٣ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (بيروت ـ دار التعارف).

١٤ ـ الأغاني، أبو الفرج الاصبهاني (بيروت ـ دار الفكر).

١٥ ـ الأمالي، السيد المرتضى (مصر ـ ١٣٢٥).

١٦ ـ إنباء الرواة على أنباء النحاة، القفطي (بيروت ـ دار الفكر العربي ١٤٠٦).

١٧ ـ بغية الوعاة، السيوطي (القاهرة ـ مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ١٣٨٤).

١٨ ـ بهجة الآمال، ملا علي العلياري (طهران ـ بنياد فرهنگ اسلامي ١٤٠٦).

١٩ ـ البيان والتبيين، الجاحظ (مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٤٩).

٢٠ ـ تاريخ الأدب العربي، بروكلمان (مصر ـ دار المعارف ١٩٦١).

٢١ ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات (مصر ـ مطبعة الاعتماد).

٢٢ ـ تاريخ الامم والملوك، الطبري (مصر ـ دار المعارف ١٩٦٠).

٢٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان (دار الهلال ١٩٥٧).

٢٤ ـ تاريخ القرآن، أبو عبدالله الزنجاني (طهران ـ منظمة الإعلام الإسلامي).

٢٥ ـ تاريخ الإسلام، الذهبي (بيروت ـ دار الكتاب العربي، ١٤١٠ ـ

١٩٩٠).

٢٦ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام (بغداد ـ شركة الطباعة والنشر العراقية المحدودة).

٢٧ ـ تدوين السنة النبوية، السيد محمد رضا الحسيني الجلالي. مخطوط.

٢٨ ـ تنقيح المقال، الشيخ عبدالله المامقاني (النجف ـ المطبعة المرتضوية ١٣٥٢).

٢٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين النوري (بيروت ـ دار الكتب العلمية).

٣٠ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر (دمشق ـ مطبعة الترقي).

٣١ ـ تهذيب التهذيب، العسقلاني (بيروت ـ دار الفكر).

٣٢ ـ خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي (بولاق ـ المطبعة الاميرية).

٣٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين، فريد وجدي (بغداد ـ مكتبة المثنىٰ ١٩٦٨).

٣٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين (طهران ـ منشورات جهان ١٩٦٦).

٣٥ ـ دراسات في اللغة، ابراهيم السامرائي (بغداد ـ مطبعة العاني ١٩٦١).

٣٦ ـ دلائل الصدق، الشيخ محمد حسن المظفر (طهران ـ مطبعة بو ذر جمهری ١٣٧٣).

٣٧ ـ ديوان أبي الأسود، تحقيق عبد الكريم الدجيلي (بغداد ـ شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ١٩٥٤).

٣٨ ـ الرجال، الشيخ الطوسي (قم ـ منشورات الرضي).

٣٩ ـ الرجال، ابن داود الحلي (قم ـ منشورات الرضي).

٤٠ ـ روضات الجنات، السيد محمد باقر الخوانساري (قم ـ مكتبة اسماعيليان).

٤١ ـ رياض العلماء، الميرزا عبدالله افندي الاصبهاني (قم ـ مطبعة الخيام ١٤٠١).

٤٢ ـ سفينة البحار، الشيخ عباس القمي (مشهد ـ منشورات فراهاني).

٤٣ ـ السياسة والاقتصاد في التفكير الاسلامي، أحمد شلبي (القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤).

٤٤ ـ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي (بيروت ـ دار الآفاق الجديدة).

٤٥ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٧٨).

٤٦ ـ شرح البداية، الشهيد الثاني (قم ـ مطبعة سيد الشهداء).

٤٧ ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة (بيروت ـ دار الثقافة ١٩٦٤).

٤٨ ـ ضحى الإسلام، أحمد أمين (بيروت ـ دار الكتاب العربي).

٤٩ ـ طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٨).

٥٠ ـ طبقات النحويين واللغويين (مصر ـ ١٩٥٤).

٥١ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد (بيروت ـ دار صادر).

٥٢ ـ العبقريات الإسلامية، عباس محمود العقاد (القاهرة ـ دار الفتوح).

٥٣ ـ العربية، يوهان فك (القاهرة ـ مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١).

٥٤ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي (بيروت ـ دار الاندلس ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨).

٥٥ ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (بيروت ـ مؤسسة الأعلمي ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨).

٥٦ ـ غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (مصر ـ مكتبة الخانجي ١٩٣٢).

٥٧ ـ الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني (طهران ـ دار الكتب الإسلامية ١٤٠٧).

٥٨ ـ في اصول اللغة والنحو، فؤاد حنا ترزي (بيروت ـ دار الكتب ١٩٦٩).

٥٩ ـ في اصول النحو، سعيد الافغاني (دمشق ـ مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧).

٦٠ ـ في رحاب أئمة أهل البيت، السيد محسن الأمين (بيروت ـ دار التعارف ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠).

٦١ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير (بيروت ـ دار صادر).

٦٢ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي (بيروت ـ دار الاضواء).
٦٣ ـ الكنىٰ والألقاب، الشيخ عباس القمي (صيدا ـ مطبعة العرفان ١٣٥٧).
٦٤ ـ كنز العمال، المتقي الهندي (بيروت ـ دار الرسالة ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩).
٦٥ ـ لسان العرب، ابن منظور (بيروت ـ دار صادر).
٦٦ ـ المدارس النحوية، شوقي ضيف (مصر ـ دار المعارف).
٦٧ ـ مدرسة البصرة النحوية، عبد الرحمن السيد (القاهرة ـ مطابع سجل العرب ١٩٦٨).
٦٨ ـ مدرسة الكوفة النحوية، مهدي المخزومي (القاهرة ـ مطبعة مصطفىٰ البابي).
٦٩ ـ مراتب النحويين، أبو الطيب الحلبي (مصر ـ مطبعة مصر بالفجالة ١٩٥٥).
٧٠ ـ مرآة الجنان، اليافعي (بيروت ـ مؤسسة الأعلمي ١٣٩٠).
٧١ ـ مروج الذهب، المسعودي (قم ـ دار الهجرة ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤).
٧٢ ـ المزهر، السيوطي (القاهرة ـ دار إحياء التراث العربي ١٣٧٨ ـ ١٩٥٨).
٧٣ ـ المسند، أحمد بن حنبل (بيروت ـ دار الفكر).
٧٤ ـ مصادر نهج البلاغة، الشيخ عبدالله نعمة (بيروت ـ مطابع دار الهدىٰ ١٣٩٢).

٧٥ ـ المعارف، ابن قتيبة (بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٧).
٧٦ ـ معالم العلماء، ابن شهر آشوب (النجف ـ المطبعة الحيدرية ١٣٨٠).
٧٧ ـ معالم المدرستين، السيد مرتضىٰ العسكري (طهران ـ دار الكتب الإسلامية ١٤٠٤).
٧٨ ـ معجم الثقات، أبو طالب التجليل التبريزي (قم ـ مطبعة مهر استوار).
٧٩ ـ معجم الأُدباء، ياقوت الحموي (بيروت ـ دار الفكر ١٤٠٠).
٨٠ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الاصبهاني (النجف ـ المطبعة الحيدرية ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥).
٨١ ـ مقباس الهداية، الشيخ المامقاني، ملحق بكتاب (تنقيح المقال).
٨٢ ـ مقدمة ابن خلدون (بيروت ـ دار الكتب العلمية).
٨٣ ـ مقدمة ابن الصلاح مع تعليقة البلقيني (مطبعة دار الكتب ١٩٧٤).
٨٤ ـ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (النجف ـ المطبعة الحيدرية ١٣٧٥).
٨٥ ـ من تاريخ النحو، سعيد الافغاني (بيروت ـ دار الفكر).
٨٦ ـ منطق ارسطو والنحو العربي، ابراهيم مدكور (مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء السابع (القاهرة ـ مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٣).
٨٧ ـ النحو العربي نقد وبناء، ابراهيم السامرائي (بيروت ـ مطبعة دار الصادق ١٩٦٨).

٨٨ ـ نزهة الالباء، الأنباري (بغداد ـ دار المعارف ١٩٥٩).

٨٩ ـ نشأة النحو، محمد الطنطاوي (الطبعة الثانية ـ ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩).

٩٠ ـ نشأة الخلاف في النحو، مصطفىٰ السقا (مجلة اللغة العربية، الجـزء العاشر (القاهرة ـ مطبعة التحرير ١٩٥٨).

٩١ ـ النص والاجتهاد، السيد عبدالحسين شرف الدين (بيروت ـ دار الأندلس، الطبعة السابعة).

٩٢ ـ النظم الإسلامية، صبحي الصالح (بيروت ـ دار العـلم للـملايين ١٣٨٥).

٩٣ ـ واضع النحو الأول، كمال ابراهيم (مجلة البلاغ. بغداد ـ السنة الأولىٰ الاعداد ٨ و ٩ و ١٠).

٩٤ ـ الوجيزة في فقه اللغة، محمد الانـطاكـي (بـيروت ـ مكـتبة دار الشروق، الطبعة الثانية).

٩٥ ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان (بيروت ـ دار صادر).

وهناك مصادر ومراجع أخرىٰ تلاحظ في الكتاب

# محتويات الكتاب


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| كلمة المجمع | |
| المقدمة | |
| الباب الاول ـ أبو الاسود سيرته وحياته | ٥ |
| عام ولادته ووفاته | ١٠ |
| طبقته وإسلامه | ١٦ |
| دراسته، وشيوخه، وتلامذته | ٢٤ |
| تقييمه في علم الرجال | ٣١ |
| سيرته خلال حياته | ٣٦ |
| طفولة أبي الاسود | ٤٢ |
| حياته في ظل الاسلام | ٤٥ |
| أبو الاسود في البصرة | ٤٦ |
| سيرته في خلافة الإمام علي عليه السلام | ٥٠ |
| نشاطه الحربي | ٦٤ |
| حياته بعد مقتل الإمام عليه السلام | ٧٤ |

| | |
|---|---|
| تشيّعه | ٧٥ |
| معاناته في سبيل عقيدته | ٨٤ |
| ١ ـ الاضطهاد | ٨٤ |
| الف ـ اضطهاد العشيرة | ٨٤ |
| ب ـ جفاء الاصدقاء | ٨٦ |
| ح ـ اضطهاد الحكام | ٨٦ |
| الإغراء | ٩١ |
| درجته في عقيدته | ٩١ |
| مجالات ثقافية | ٩٦ |
| الامثال والحكم | ١١٤ |
| الباب الثاني ـ عرض الروايات ـ | ١١٨ |
| القسم الاول | ١١٩ |
| القسم الثاني | ١٢٢ |
| المؤيّدون وأدلّتهم | ١٢٣ |
| المعارضون واعتراضاتهم | ١٢٨ |
| ١ ـ بداوة العقلية في عصر الإمام عليه السلام | ١٢٩ |
| ٢ ـ التأثر بالثقافات الاجنبية | ١٣١ |
| ٣ ـ تاريخ التدوين | ١٣٢ |

٤ ـ اختلاف الروايات ١٣٢
٥ ـ التنقيط والنحو ١٣٣
واضع النحو الأول ١٣٤
مناقشة الاعتراضات ١٣٦
مع الاعتراض الأول ١٣٧
علم الامام المعصوم ١٣٧
شيوع اللحن ومحاربته ١٤٦
١ ـ انتشار اللحن ١٤٦
٢ ـ خطر اللحن ١٤٨
٣ ـ محاربة اللحن ١٥٢
الوضع البدائي للنحو ١٥٣
١ ـ نضوج المستوىٰ الفكري ١٥٣
٢ ـ بدائية النحو ١٥٦
تقييم أبي الأسود ١٥٨
١ ـ شخصية أبي الأسود الثقافية ١٥٨
٢ ـ كتاب أبي الأسود ١٦٠
٣ ـ تلاميذ أبي الأسود ١٦٣
٤ ـ وجود النحو في تلك الفترة ١٦٤

مع الاعتراض الثاني ١٦٩
النحو العربي والثقافات الأجنبية ١٦٩
أصالة النحو العربي ١٧٤
١ ـ القائلون بالأصالة ١٧٤
٢ ـ فرضيّة الاكتساب ١٧٧
٣ ـ طبيعة التشابه ١٧٨
٤ ـ مدىٰ تأثير الثقافات الأجنبية ١٨٠
مرحلة الوضع الزمنية ١٨١
مع الاعتراض الثالث ١٨٥
١ ـ تأخر التدوين ١٨٥
٢ ـ بدائية آراء أبي الأسود ١٨٦
٣ ـ الرواة المعاصرون لأبي الأسود ١٨٧
٤ ـ سيبويه وأبو الأسود ١٨٨
مع الاعتراض الرابع ١٨٩
١ ـ الاختلاف في سبب الوضع ١٨٩
٢ ـ الاختلاف في متون النصوص ١٩٠
٣ ـ الاختلاف في الواضع ١٩١
زمن الوضع ومكانه ١٩٨

مع الاعتراض الخامس ٢٠٤
النموذج المصور لسورة النحل المنسوب للامام علي٧ ٢١٤
النموذج المصور لسورة ابراهيم٧ المنسوب للامام علي٧ ٢١٥
الملحق الأول
دراسة حول تقسيم الإمام٧ للكلمة وتعريفاته لهذه الاقسام ٢٢٤
الملحق الثاني
مدىٰ تأثير العامل القومي في تصرفات المسلم الملتزم ٢٣٥
الملحق الثالث
المنع من التدوين ٢٤٦
مراجع الكتاب ٢٥٣